Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

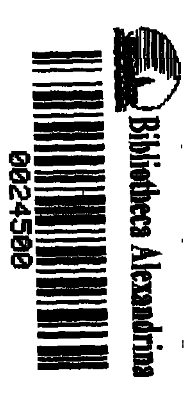
دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم

العراق . إيران

دكتور
أحمد أمين سليم
أستاذ التاريخ القديم المساعد
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٩٢

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - إسكندرية
ت: ٤٨٣٠١٦٣




Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم

العراق . إيران

دكتور

أحمد أمين سليم

أستاذ التاريخ القديم المساعد

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٩٢

دار المعرفة الجامعية

٤٠ ش سوتير - إسكندرية

ت : ٤٨٣٠١٦٣


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب الاول

حضارة العراق


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التنظيم السياسي والاداري

كانت تتكون دولة المدينة في العراق القديم من المدينة ومايحيطها من أراضي و كانت احيانا تضم اكثر من مدينة . واعتبر تأسيسا عملا دينيا لايستطاع القيام به الا بناء على اوامر الالهة العظام ،لان المدينة هي قبل كل شيء مركز للعبادة ،وعلى هذا كان لاسم المدينة احيانا واسم الاله الذي تنازل فرضى ان يستقر فيها مدلول واحد وعندما أنشأ ملوك الاسرة البابلية الاولى مدنا جديدة اعطوها اسماء تشمل اسم الاله ،مثل مدينة " كارشماش " التي تفيد معنى " قلعة الاله شماش " ومدينة " نور أداد " التي تفيد معنى " نور الاله أداد". الا انه بريادة السلطة المركزية وقوة الملكية قل الالتجاء الى الدين ،وبدأ الملوك يحلون اسمهم مكان اسم الاله في تسمية المدن .

وكانت تدار المدينة من معبد اله المدينة الذي أشرف كذلك على املاك المدينه وكان يوجد الى جانب ذلك المعبد معابد أخرى لزوجات الاله وأولاده ،وكان لكل معبد مخصصات خاصة به ،وعلى ذلك فقد كانت أراضي الدولة خاضعة الاشراف دور العبادة ،ومن ذلك نرى أن السكان جميعا كانوا يعملون عند الآلهه ،وعلى ذلك فقد اعتقد القوم ان الانسان خلق لتحقيق الراحلة للآلهة .

وهيمن المعبد على قسط كبير من الحياة الاقتصادية فقد أديت فيه بعض الحرف التى كان يقوم الكهنة بتدريب الاولاد عليها ،وكثرت تلك المهن ومثلت فيها كل الطبقات ابتداء من العبيد حتى ابناء الملوك ،والجميع كان تحت اشراف الكاهن الاكبر ،كما كان للمعبد املاك يؤجرها واخرى يقوم باستئجارها ،وكانت له مصانعه ومخازنه ،وعلى ذلك فقد كان للكهنه نفوذهم الدينى والدنيوى •

وقامت ادارة المعبد بتقديم البذور والحيوانات وجميع الوسائل الخاصة بالزراعة وذلك للارض المشتركة وكلف جميع الاهالى بالعمل فى هذه الارض ،يستوى فى ذلك اصحاب المراكز الكبرى والصغرى ،وفى مقابل ذلك فقد كفل المعبد تحقيق قوت أفراد المجتمع ،ويلاحظ أن هذا النظام قد افسح المجال لتكديس ثروة البلاد فى المعبد •

وبالرغم مما تمتع به الكهنة فى المعبد من امتلاك الارض والتصرف فيها وفى محاصيلها فلم يقوموا بالاشراف السياسى على المجتمع ،وفى الغالب كانت السلطة السياسية فى ايدى المواطنين • فلقد انحصرت السيادة السياسية فى مجلس مكون من جميع الذكور الاحرار ،ويقوم بارشاده جماعة من الشيوخ • والى جانب ذلك كانت تؤلف فى كل مدينة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جماعة من شيوخها يشرفون على المسائل العامة • ولم يستطع الكهنة كذلك تنظيم الحروب التي كانت تدور رحاها بين هذه الدويلات او بين احدى الدويلات والبدو • وعلى ذلك كان يخرج من بين افراد ذلك المجتمع احد الابطال هو الذي يتمكن من التغلب على الاعداء •

وتمكن سرجون الاكدى من القضاء على نظام دويلات المدن ،وانتقل ببلاد الرافدين الى نظام ملكي موحد يضم البلاد جميعها تقريبا ،وسلك هذا الطريق أسرة أور الثالثة واسرة بابل الاولى ،والدولة البابلية المتأخرة ،ونظرا لقيام هؤلاء الملوك بتوسيع رقعة بلادهم بالفتوح الخارجية وكان دافعهم لذلك حاجتهم الشديدة لمواد أولية غير متوفرة في بلادهم كالمعادن والاخشاب والاحجار،واقتضى نجاح التجارة الخارجية ضرورة توحيد بلادهم ،لأن نظام دويلات المدن ،وما كان يقوم بينها من حروب يقف حجر عثرة في سبيل تقدم مصالحهم•

و فيما يتصل بشكل الحكومة في بلاد الرافدين فكان هو الشكل الملكي الاوتوقراطي اى ان السلطة كانت متمركزة في يد الملك ،وقد ساد هذا الشكل منذ فجر الاسرات الى نهاية حياة الدولة البابلية • كان الملك هو صاحب السلطان المطلق • ومما هو جدير بالذكر ان هناك

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من الادلة مايشير الى انه قد قامت فى العراق شبه ديمقراطية خصوصا فى الفترة الشبيهة بالكتابة ، اى فى النصف الثانى من عصر الوركاء وجمدة نصر ،وكانت فيه شئون الدولة مقسمة بين الملك وبين مجلسين من مجالس الشورى المجلس الاعلى من أعيان المملكة وشيوخها ويتألف الثانى من جميع الرجال القادرين على حمل السلاح وعلى الرغم من جهلنا الكثير عن هذه المجالس و بخاصة كيفية تأليفها و صلاحيتها و علاقتها بالملك و بعضها ببعض فان الاشارات تدل على ان هذين المجلسين كانا يهتمان على الشئون المهمة فى الدولة كالحرب والسلام،و كان لهذين المجلسين كذلك الحق فى انتخاب الملك . الا ان هذا النظام الديمقراطى الذى ظهر فى فجر التاريخ فى بلاد الرافدين لم يتطور كما تطور فى بلاد اليونان ،وربما يرجع ذلك الى انفاته مع احوال البلاد ، اذ انه كان يحول دون التوسع السياسى من مدينة الى دولة كبيرة كما ان هذه الديمقراطية لاتصلح اذا مامر بالبلاد آزمة من الازمات خصوصا الحروب الخاطفة التى تتعارض مع البطء فى اخذ القرارات من هذه المجالس . على ان مجالس الشورى السابقة ظلت لها اختصاصات اخرى و هى الاشراف القضائى والنظر فى التشريعات . وظل فى بلاد الرافدين مجلسان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عامان فى كل مدينة ينظران فى الدعاوى المهمة مثل توقيع عقوبة الاعدام وتنفيذهـا .

ولقد كان مظهر الملكية فى العراق القديم دينيا وعبر الادب العراقى عن ذلك بأن شارات الملك كانت فى السماء عند الاله آنو ،وان الآلهه فى السماء قد أنابت عنها فى حكم البشر الملوك والحكام ،وان النظام الملكى هبط من السماء ،وعند ذلك قام الاله انليل والالهه عشتار بالبحث عن راع يرعى مصالح الناس ،وكانت الآلهه تقوم بانتخاب حكام الارض . ونجد صدى ذلك فيما بعد فى عصر الامبراطورية الاشورية اذ كان يقوم الملك بانتخاب احد اولاده ليكون خليفة له وتقر الالهه هذا الانتخاب ،وبعد ذلك يدرب على مهام منصبه الجديد ،وحينما يرتقى العرش تجرى احتفالات دينية يمنح اثناءها اسمه الملكى و شعارات الملك، واقيمت هذه الاحتفالات فى آشور المدينة المـ.ـــة للامبراطوريـة .

ومما هو جدير بالذكر ان ملوك العراق القديم لم يصبحوا آلهة كما هو الحال فى مصر الفرعونية ،بل كان الملوك ممثلين للالهه فقط تجاه الناس . ولقد تدرجت الالقاب التى كان يحملها الحكام ،ففى فترة دويلات المدن

وجد لقب " حاكم المدينة " ثم لقب " ملك " ،وفى اواخر عصر فجر الاسرات لقب " ملك البلاد" وأول من استعمل هذا اللقب " لوجال زاجيزى " ملك " أوما " الذى اصبح ملكا على كل البلاد . ومن هذه الالقاب كذلك " ملك الجهات الاربع " وكان هذا لقبا لبعض آلهة سومر العظام مثل آنو وانليل وشمش ، حيث كان العالم فى عرفهم مكونا من اربع جهات، وبذلك اصبح للملوك بموجب هذا اللقب معنى دينى ،واستخدم الاشوريون لقبا شبيها بذلك فلقب الملك " ملك الكون " ثم لقب ايضا بـ " ملك سومر وأكد " وقد حمله غالبا ملوك أسرة أور الثالثة .

اما عن واجبات الملك ،فقد كانت عليه واجبات دينية وأخرى مدنية وفيما يتصل بواجباته الدينية ، فيلاحظ انه كان الكاهن الاكبر للاله الوطنى ،وهو الذى كان يقوم بطقوس العبادة وبناء المعابد واستشارة الآلهة ومراقبة ادارة اموال الهياكل كما يقوم بتعيين الكهنة . اما عن واجباته المدنية فمن اهمها قيادة الجيش ، فقد كان قائد الجيش الاعلى كما قام الملوك بتعيين القضاة على جميع درجاتهم ،كما كان الملوك على دراية تامة بما يدور فى ولاياتهم ،واهتموا كذلك بشئون الرى وتطهير الانهار .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان للملك معاونون منهم الوزراء الذين يرأسهم وزير ،واختص هذا الرئيس غالب بشئون السياسة الخارجية ومن اخطر الوزراء منصبا وزير المالية اذ انه كان مسئولا عن الشئون الاقتصادية المختلفة ،ويلي هؤلاء الوزراء أهمية قواد الجيش الذين علت مكانتهم بعد ان زادت جيوش الملوك قوة وعددا ،واطاع هؤلاء المساعدون الملك طاعة عمياء .

وعين الملك حكاما وولاة للاقاليم ، وكان هؤلاء فى اقدم العصور أشبه بأمراء الاقطاع اذ كان يرثون مناصبهم ، ولكن زال عنهم هذا الحق فيما بعد حيث اصبح الحكم المركزى قويا ،كما عين الملوك قضاة مدنيين بدرجات متفاوتة الى جانب قيام الكهنة بتطبيق احكام الشرائع وتفسير نصوصها فى المعابد .

وبالاضافة الى ذلك فقد كان للملك حاشية من الموظفين منهم ناظر القصر أو رئيس الديوان الملكى ورئيس السقاة ورئيس الخبازين ... الخ ، كما كان للملك سفراء خاصون يوفدهم ليمثلوه فى بعض المهام لدى الدول الاخرى ، ورافق هؤلاء تراجمة وكتبة .

ومع وجود هذه الطوائف من الموظفين كان نشاط الملوك فى الاضطلاع بمهام الدولة المختلفة غير محدود ،ونتبين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى آثارهم مدى تنوع الاعمال التى قاموا بها ،كما نتبين مدى وتوفهم على مختلف شئون الدولة حتى فى بعض الامور البسيطة، مثل نظرهم فى بعض شكاوى الافراد ويعيدون الدعاوى الى المحاكم لاعادة النظر فيها لاستيفاء بعض الاجراءات . كذلك كانت بعض القضايا لا يبت فيها الا بقرار من الملك شخصيا وكان على الملوك ايضا - كما سبقت الاشارة - ان يقوموا بمشروعات عمرانية مختلفة مثل تطهير الانهار وشق القنوات وبناء المعابد ،وهم الذين يشرفون كذلك بتشييد معابد الآلهة ، وهم فى نفس الوقت يمثلون الرعية لدى الآلهة وهم الذين يرأسون الطائفة الدينية ويعينون رؤساء الكهنة ،والى جانب هؤلاء الاخيرين كانوا يعينون بعض الكهنة والعرافين الذين كانوا يرسلون الى جهات مختلفة لرصد النجوم ويرسلون الى الملك بتقاريرهم .

ومن ناحية أخرى فيلاحظ أن القوم قد اعتقدوا أن الملك هو المسئول أمام الآلهة عن سلوك البشر وأعمالهم ،كما أنه الوسيط بينهم وبين الآلهة ، وعلى ذلك فانه كان يقوم فى بعض الاحايين بالتكفير عن ذنوب البشر . ومما يشير الى ذلك بعض النصوص التى وصلتنا ومنها ما يذكر قيام أحد الملوك الاشوريين بالصلاة للآلهة لوقوع خسوف للقمر فسر بأنه نذير شؤم ، ووصف نص آخر ما ينبغى للملك أن يفعله فى حالة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حدوث زلزال ،فكان عليه أن يقدم القرابين الى الآلة آنو وانليل وايا ، ويلزم عليه بعد الصلاة أن يحلق ويزيل شعر جسمه ويضع الشعر فى اناء خاص يضعه فى حدود بلاد الاعداء.

وفى بعض الطقوس الدينية كان من الممكن للملك أن يرسل رداءه بدلا من حضوره الشخصى ، وكان الكهنة يمثلون الملك فى طقوس العبادة اليومية فى المعابد . ومن الشعائر الخاصة فى بلاد الرافدين عادة تعيين شخص بديل للملك ليقوم ببعض الشعائر الخطرة ،حين تظهر نذر مخيفه غامضة من الآلهة تهدد الدولة ، وفى حالة القيام باجراء العلميات السحرية على جيش العدو قبل بدء المعركه كان محظورا على الملك الاشتراك فيها لئلا يتعرض لأثر السحر ،فينوب عنه بديل أو شئ خاص به كصورته أورداءه .

ومن أهم واجبات الملوك ازاء الآلهة بناء المعابد وتجديد بنائها ومرتها بالاثاث وتزويدها بما يلزمها من أدوات وتماثيل للآلهة واستنزفت هذه الاعمال موارد كثيرة من ايرادات الدولة وكذا جهد الملوك .

وفيما يتصل باعتلاء العرش ، فانه يلاحظ أن الملوك الآشوريين فى عهد الامبراطورية الثانية كانوا يتبعون قاعدة تعيين ولى العهد واشراكه فى الحكم ،وكانت الآلهة تستشار

فى أمر تعيين ولى العهد ،ولم يكن من الضرورى أن يكـــون ولىالعهد أكبر أبناء الملك ،وفى ذلك يذكر الملك اسرحدون كيفية تعيينه لولاية العهد فى عهد أبيه فيقول :" كنت أصغر أخونى ، ولكن أبى الذى ولدنى شرفنى فى مجلس أخوتى بأمـر الآلهة أشور وشمش ومردوخ وبنو عشتار نينوى وعشتار اربيـلا مصرحا بقوله : هذا خليفتى " ثم يشير الى أن والده قـــد قام بذلك بطريق الفأل وبعد ان تمت مراسم تنصيبه وليــا للعهد دخل الى بيت ولاية العهد ،وهو قصر عظيم كان يـدرب فيه ولى العهد على شئون الملك ،فكان يمثل الملك فـــى الاحتفالات الرسمية ويشرف على اقامة الشعائر الدينية ويعـد بحيث يكون مهيأ لتولى مسئوليات الدولة بعد وفاة والده .

أما عن المراسيم الخاصة بالتتويج ،فكانت تبدأ بتسلم الملك الجديد شارات الملك فى معبد اله المدينة الرئيسى، وقد جسم السومريون التاج والصولجان وجعلوهما بهيئـــة الهتين سموهما " سيدة التاج " و " سيدة الصولجان " وكانا يوضعان على دكة مذبح المعبد.

ويوجد نص آشورى يصف حفلة التتويج ، ويستدل منـــه أن الملك الجديد كان يقصد معبد الاله أشور فى مدينة آشور وهو محمول على اكتاف الرجال فوق عرشه ،ويسبق الموكـــب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كاهن يضرب الطبول ويصيح : آشور هو الملك ، آشور هو الملك وبعد أن يصل الموكب الى المعبد يدخله الملك وأول مايفعله أنه يقبل الأرض ويحرق البخور ثم يعتلى منصة عالية فى نهاية المعبد حيث يقوم تمثال الاله ، وهنا يلمس الارض بناصيته ويقوم أمام تمثال الاله هدايا يحملها خصيصا لهذه المناسبة ، وتتألف من إناء ذهبي وزيت ثمين وكمية من الفضة ورداء موشى مطرز ، ثم يهيأ منضده القرابين الخاصة بالاله آشور ، ثم يتوج الكاهن الملك بتاج الاله آشور واسلحة الالهة انليل ، وبعد ذلك يرجع موكب التتويج الى القصر الملكي حيث يجتمع الوجهاء أمام عرش الملك ليقدموا اليه الولاء والطاعة ، وكانوا يخلعون شاراتهم وأوسمتهم المميزة ويضعونها أمام الملك ، ويقدمون انفسهم بدون مراعاة لمناصبهم فى البلاط ، والمقصود من ذلك أنهم تخلوا عن مناصبهم فى الدولة بمناسبة تتويج الملك الجديد لينتخب هو أعضاء حكومته وكبار موظفيها ومن بينهم وزيره الاول الذى يستقيل معهم أيضا ، وبعد ذلك يقوم الملك بتعيين أعضاء حكومته .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحواشــــــــــى

(١) طـه باقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة ،القسـم الاول ص ٣٧٥ — ٤١٢ •

(٢) Contenau, Everyday Life in Assyria and Babylonia, New York, 1966.

(٣) Frankfort, H., Kingship and the Gods,1948

(٤) Jacobsen, T.,"Pri-itive Demacry in Ancient Mesopotamia" in J.N.E.S, vol. II, 1943, pp.159

(٥) Kramer, S.N., "Sumerian Similes" in Journal of American oriental society, vol. 89(1969) pp 1 - 10.

(٦) Olmstead, A.T., History of Assyria, Chicago, 1923.

(٧) Roux, G., Ancient Irag, Cleveland, 1965.

(٨) Waterman, L., Royal correspondence of the Assyrian Empire, vol. 4, 1936.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجيـــــــــــــــش

كان الجيش واحدا من أهم نظم المجتمع فى العراق القديم فمنذ أقدم العصور ومدن الفرات الاولى فى صراع فيما بينهـا فى سبيل مد النفوذ والسيطرة ولم تبدأ الجيوش النظامية فـى بلاد سومر الا فى آواخر عصر فجر الاسرات ، ومنذ ايام الاكديين حيث اقتضت الحروب الخارجية ضرورة وجود جيوش منظمة ، وكانت الخدمة العسكرية تعتبر " خدمة الملك " فكانت تخصص بعـض الاراضى للداخلين فيها ،ولكن مع جواز اعطاء هذه الاراضى الى الابناء على شرط القيام بخدمة الملك ،فان مثل هذه الاراضـى لم يكن من الجائز بيعها او رهنها، ويبدو ان ضباط الجيـش كانوا يعتبرون من ضرورات الأمن فى المدينة ،حيث كان المعبد يقوم بدفع الفدية عنهم فى حالة أسرهم اذا لم يتمكنوا مـن دفعها بأنفسهم ، بل كانت المدينة كذلك ملزمة بدفعها اذا لم يوجد فى المعبد المال اللازم لذلك .

وتوضح المادة الاثرية التى عثر عليها كيفية تكويـن الجيوش ومعداتها ومن هذه الادلة الاثرية " لوحة العقبان " التى اقامها الملك " اياناتوم " فى لجش عقب نصره على أوماء ويستدل من المناظر المنقوشة على وجهها كيفية تكوين الجيـش السومرى فى هذا العهد والصورة التى كانت عليها معداته .

فكان الملك يسير الى الحرب على رأس جيشه ، وكـان

يغطى كتفه جلد ماعز ،وتحمى رأسه خوذة شبه مخروطية يتدلى منها من الخلف مايستر العنق ،وسواء أكان يحارب راجلا أم راكبا عربته ،فان سلاحه كان يتكون من حربة وأداة مقوسة مكونة من عصى و نصال ،ربطت الى بعضها بواسطة سيور او حلقات • ومن الاسلحة التى شاع استخدامها منذ أقدم العصور فأس القتال •

ويستدل من النقش السابق ان الجيش كان ينقسم الى فريقين من المحاربين : سلاح الهجوم وهو الذى ينزل رجاله فى المعركة بانتظام ومعهم الملك راجلا وهم متقدمون فى طوابير كل منها من سبعة من المحاربين يحمل أولهم سلاح الدفاع وهو درع مستطيل ، اما الباقون فمزودون بالحراب ،ويمسكها كل منهم بيديه من طرف العصا تقريبا •

ويستدل من الخوذ الواقية التى لبسها جنود الملك " أيا ناتوم " أن الجنود كانوا يتعرضون أثناء المعركة الى قذائف تأتيهم من اعلى ،ولذلك صممت الخوذ الواقية بشكل مخروطى لان هذا الشكل يساعد على تخفيف الصدمة اذا ماسقطت على الخوذة قذيفة ما ،وهذه القذائف كانت توجه اليهم من القوات المساعدة للجيش المهاجم •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومما قد يؤكد ذلك النصوص التى تصف المعركة التى حدثت بين مدينتى الوركاء وآراتا وذلك حوالى عام ٢٦٠٠ ق٠م ،وقد جاء فيها :

" فى ذلك الوقت تبع سكان أسرة الوركاء الملك انميركار مثل رجل واحد ،فعبرت جيوشه الجبال المحيطه بمدينة أرتا (زحفا) كما تزحف الافعى بين اكوام الحبوب وعندما وصلت الجيوش الى منطقة لاتبعد كثيرا عن مدينة أرتا بدات راجمات الاحجار ترمى أحجارها التى سادت كميتها كمية الامطار التى تسقط خلال سنة كاملة ،فسقطت لذلك الاحجار بكثافة على أسوار مدينة أرتا "

ويلاحظ من ذلك ان كتيبة راجمات الاحجار كانت تقوم خلال الالف الثالث ق٠م بمساعدة المشاه داخلها تسبه حاليا سلام المدفعية ٠

ولقد ورد فى النصوص الخاصة بالحرب السابقة مايفيد ان الضابط من رتبة (اوكلا) كان يقوم بقيادة ٣٠٠ جندى ،والضابط من رتبة (نوبندا) كان يقود ٦٠٠ جندى و الضابط من رتبة (شاركينا) كان يقود ٢٥٢٠٠٠وكان الـ" شاكينا " ثانى شخصيته فى الجيش بعد شخصية الملك٠

وتبين من النصوص المسمارية انه كان للملك ولقصره حرس خاص يسمون باللغة السومرية " شوب ـ لوجال "أى بمعنى التابعين الى الملك ،وقسم الجنود الى نوعين الاول ويسمى " ايرن " ويعنى الجند النظاميين ،والآخر يسمى " كوروش " و هم الذين كانوا يلتحقون بالخدمة العسكرية وقت الحرب •

وفى العصر البابلى القديم كان الملوك يتسلحون ببلطة سطحها ضيق وقوس مزدوج وسهام• اما قواده فقد يتسلح الواحد منهم بحربة وبلطة ذات نصل محدب ،أو بلطحة فقط، بينما يحمل فريق المحاربين حرابا او قسيا ابسط من قوس الملك او ان يحمل الواحد منهم بلطة وحربة او بلطحة وعلم •

ويستدل من لوحة ترجع الى هذا العهد على ان الخرزات قد صنعت من الجلد و كانت تستعمل فيه جلود الثيران او الصوف ،كما ان غيرها كان يصنع من البرونز اما البلطات فكانت من البرونز و كذلك رؤوس الحراب ،واما فى صناعة الجعب فكان يستعمل الجلد و الصوف •

وقد وجدت عربات حربية تجرها الحمير والخيول الوحشية ،ولم تستعمل الخيول المستأنسة الامن عصر متأخر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نسبيا ،و كانت هذه العربات ثقيلة عجلاتها صماء ولم تظهر العجلات الخفيفة الا فى حوالى الالف الثانى قبل الميلاد .

وكان رؤساء الجيش مسئولين بالاضافة الى قيادتهم للجند عن الاشراف على السخرة التى تتطلبها المشاريع العامة و يبدو ان طائفة من الناس كانوا ملزمين بمثل هذه الاعمال وبالخدمة العسكرية الاجبارية ،وكان لهؤلاء قوادهم ورؤساؤهم ولايستطيع احد الملزمين التهرب من اداء الالتزام وهو خدمة الملك وان كان الامر قد تطور فيما بعد فأصبح من الممكن الحصول على الاعفاء فى مقابل دفع ضريبة سنوية ،وكانت تسمى هذه الضريبة " مال الايلكو " والايلكو هو " خدمة الملك " وفى معناها الواسع املاك الدولة تمنح على صورة معاش مدى الحياة يمنح للمشتركين فى الجيش وهو عبارة عن حديقة او بيت او حقل او حتى مواشى .

ويرجح انه كان يقوم باستدعاء الرجال للخدمة طائفتين من القواد او المشرفين ، اختص بعضهم بجمع المجندين لوظائف الجيش و كلف البعض الاخر بأعمال البوليس ومنح الملكفون بالجيش املاكا من اموال الدولة فى هيئة معاش مدى الحياة ،كما ان المكلفين بأعمال البوليس كانت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لهم امتيازات شخصية وامتيازات بالنسبة لاملاكهم لايمكن للحاكم ان يتعرض لهما والا كان مصيره الاعدام،واذا ما تغيب احد هؤلاء المكلفين فان ابناءه يديرون املاكه واذا كان هؤلاء الابناء لم يشبوا عن الطوق بعد ،فان الزوجه كانت تدير هذه الاملاك فى مقابل ثلث الايراد. وكان على المنتفع بهذه الارض المحافظة عليها فى حالة جيدة وان تعمد مالكها الذى منحت له اهمالها فلا يجوز تملكه لها ،واذا احتلها آخر لمدة ثلاث سنوات فلا يجوز تملكه لها ويصبح واضح اليد عليها هو المنتفع الشرعى .

ولقد ورد فى قوانين حمورابى العديد من المواد المتصلة بشئون الجيش و منها :

المادة ٢٧ : " اذا أسر جندى او سماك فى اثناء الخدمة المسلحة للملك وبعد ذلك (أى أثناء غيابه اعطوا حقله وبستانه لرجل آخروأو فى (الرجل الاخر)مايملك من الالتزامات الاقطاعيه ،فاذا عاد (الجندى أو السماك) ووصل بيته فعليهم ان يعيدوا له حقله وبستانه وعليه ان يمارس حقوقه الاقطاعيه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المادة ٢٨ : " اذا أسر جندى او سماك فى اثناء الخدمة المسلحة للملك و كان ابنه قادرا على القيام بالالتزامات الاقطاعية ،فعليهم ان يعطوه الحقل والبستان وعليه ان يمارس حقوقه والده الاقطاعية .

المادة ٣٦ : "لايجوز للجندى ولا للسماك ولا للمزارع ان يبيع بالمال الحقل والبستان والبيت .

المادة ٣٢ : اذا اسر جندى او سماك فى اثناء حملة مسلحه للملك واعتقه تاجر واوصله الى بلدته فاذا كان فى بيته (من الاموال) مايكفى لعتق نفسه فعليه ان يعتق نفسه ،واذا كان لايوجد فى معبد اله بلدته مايكفى لعتقه فعلى القصر ان يعتقه ،ولايجوز ان يعطى حقله وبستانه مقابل عتقه .

المادة ٣٦ : اذا طلب الالتحاق جندى او سماك فى حمله للملك ولم يذهب بل اجر بديلا عنه وارسله بدلا منه فأن ذلك الجندى او السماك يعدم اما بديله فله ان يأخذ بيت الجندى او السماك .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويرى بعض الباحثين انه وجدت فى العراق القديم قبل عصر حمورابى جهاز للمخابرات كان من أولى مهامه الحد من نشاط مايسمى حاليا بالطابور الخامس وتوفير المعلومات الضرورية عن العدو ،وكان هذا الجهاز مرتبط مباشرة مع الملك ،ولقد ورد فى قوانين حمورابى مادة قد يستدل منها هذا الامر ،وقد جاء فيها وهى المادة رقم ١٠٩ : " اذا تجمع محتالون (مجرمون) فى بيت بائعة الخمر ولم تلق القبض عليهم ولم تقدمهم الى القصر ،فان بائعه الخمر هذه تعدم ".

وتؤكد هذه المادة أن جميع الاماكن التى يؤمها الناس الذين يميلون بطبيعة تربيتهم الى خلق المشاكل والاخلال بالامن كانت توضع تحت الرقابة وأن أصحاب هذه الاماكن ملزمون باخبار السلطة بكل سلوكيات الاشخاص التى من الممكن أن ينجم عنها مايربك الامن والاستقرار او يهدد سلامة البلاد .

كان الاشوريين قواد حرب من الطراز الممتاز ،وقد طغت عليهم الحياة الحربية ،فقد كان ملوك اشور قواد حرب اكثر منهم رجال دولة ،فكانوا يقومون بحملات سنوية تقريبا ،وكان ذلك على الارجح فى شهر يوليو (تموز) ،وتروى

الاساطير العراقية ان الاله " نن ايجى آزاج " سيد العلم قد كتب فى اللوحة القديمة انه فصل تجمع الجيوش وانشاء المعسكرات ولكن يلاحظ ان الملوك الاشوريين كانوا لايخرجون فى حملاتهم دون استشارة الالهه بواسطة العرافين الذين يقومون بدراسة أمعاء الذبائح ويتقبلون الامر الالهى فى الاحلام او بواسطة المتضلعين فى معرفة النجوم ،كما انهم كثيرا ماقاموا بحملاتهم بناء على أمر الهى يتراى فى احلامهم ولم يعتمد ملوك اشور على ذلك فقط بل كانوا يرسلون العيون الى المقاطعات المزمع مهاجمتها ويتلقون التقارير عن هذه الجهات ومدى النجاح المتوقع لحملاتهم وحينما لايكون الملك على راس الجيش ،كان ينوب عنه اكبر موظف فى البلاط الذى يدعى الـ " تورتان " فى قيادة الجيش •

وفيما يتصل بتسليح الجيش الاشورى ،فتوضح الادلة الاثرية ان المشاة الثقيلة فى الالف الاول كان يضع افرادها فوق رؤوسهم خوذات مخروطية مزودة بقطع جانبية لحماية الاذنين ، اما الصدر والجزء العلوى من الساعدين فكانا يغطيان بزرد من قشور محاربة مروحية الشكل تلبس فوق الدثار • وكان يكمل الزى سراويل واحذية طويلة • وتكونت المشاه الثقيلة من مجموعتين : حملة الاقواس وحملة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرماح ،ومع كل منهم سيف قصير للحرب عن قرب ،وكان رجال المجموعة الثانية يحملون رمحا طويلا ودرعا مصنوعا من المعدن وهو على هيئة مستديرة او محدبة ،او يكون مصنوعا من الخيرزان المجدول وهو مستدير عند القمة • واما حملة الاقواس فكان لديهم القوس والجعبة المعلقة على الظهر وضمت المشاه الخفيفة كذلك حملة الاقواس و حملة الرماح ولكن حملة الاقواس لم يكونوا يلبسون الزردووضع حملة الرماح الخوذات التي تنحني من أعلى الى الخلف كما حملوا درعا صغيرا من الخيزران المجدول •

ومن الملاحظ ان الجيوش الاشورية ادخلت نظام الفرسان ،و كانت معداتهم تشابه معدات المشاه ،وكان تسليحهم طبق الاصل تقريبا ولكن القوس كان أقصر على حين كان الرمح اطول ولم يكن للدرع وجود ،فكان الفرسان الاوائل يركبون الخيل دون الاستعانة بالسرج ويصحب كل منهم خادم يركب مثله ليقود الجياد اثناء المعركة ثم تقدمت الفروسية فوضعت السروج فوق الخيل واستغنى عن الخدم •

وفضلا عن ذلك وجد عربات حربية يجر كل منهما زوج من الخيل ويركبها ثلاثة رجال احدهم للقيادة والثاني

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مسلح بحربة او قوس والثالث يحميهما بدرع ٠ و كانت عربة الحرب المركبة فوق عجلتين ضخمتين عاليتين تتكون من صندوق يعتمد على المحور مباشرة وكان جسمها مكونا من لوحات مزينة بالنقوش والتطعيم ٠ و كانت عدة الخيل خفيفة و كان يضاف اليها احيانا بعض السروج او الزينة ٠

وتوضح بعض النقوش المتعلقة بحصار بعض المدن ان الاشوريين قد استخدموا آلات للهدم تحميها سقوف من اغصان متشابكة ،كما استعملوا أبراج عالية تسير على عجلات الى ان تصل الى قرب السور المحاصر،و يعتلى هذه الابراج رماة السهام الذين يرمون بسهام الجند الذين يعتلون الاسوار للدفاع عن المدينة المحاصرة ٠

وقد اشتهر الاشوريين بالقسوة فى حروبهم ،وفى معاملة اعدائهم والمدن التى تسقط فى ايديهم، اذ كانوا يبيحون لجنودهم بعد انتصاراتهم البلاد المفتوحة فيعملون فيها السلب والنهب والتدمير ،وكثيرا ماكانوا يقومون بتخريب المحاصيل وحرق القرى ،وهم أول من استن سنة نفى سكان البلاد التى تخضع لهم واحلال سكان آخرين فى مكانهم ليمزجوا بين الشعوب الخاضعة لهم حتى تفقد صفاتها القومية ،فهم الذين نفوا سكان اسرائيل الى ميديا وأحلوا مكانهم مواطنين آخرين من جهات مختلفة ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واذا ما أعطينا امثله لهذه القسوة فى الحرب فسنجد على سبيل المثال شلمنصر الثانى الذى حول مدن اورارتو الى اكوام من الخرائب ،وكوم اهراما من الجماجم ووضع المهزومين على الخوازيق واحرق القرى واقتلع المزروعات واجتث اشجار الفاكهه فى البساتين ،وسلب ونهب كل ما استطاع حمله ومادون ذلك فقد أضرم فيه النيران ومنهم كذلك تجلات بلا سر الثالث الذى كان يشير الى تدميره الكامل للمدن حتى سواها بالارض ،وبقطعه للاشجار ووضعه زعماء الثوار على الخوازيق ،ومما يذكر انه الذى استن نفى سكان الاقاليم المهزمة الى اقطار اخرى من الامبراطورية .

وفيما يتصل بالرتب العسكرية فى الجيش الاشورى فيما يخص الجنود ،فقد زادت أصنافهم عما كانت عليه فى الفترات السابقة ،فكلمة الجندى الاعتيادى كانت تلفظ " صابو " وهى ترجمة لكلمة " ايرن " السومرية ،واسم المقاتل فى الجيش الشعبى كان يلفظ " قرادو" ويعنى القوة فهو بذلك ترجمة لكلمة " كوروش " السومريه .

وعلاوة على هذين الصنفين ، توجد فئات أخرى ذات تدريبات وتخصصات عسكرية أفضل وذلك مثل " بيرو" "كونو" " كلبو " و " موتير " [٧]

وفيما يخص الضباط ،فأعلى رتبة فيالجيش الاشوري هى رتبة " الترتانو " وهو بمثابة رئيس أركان الجيش أى على غرار رتبه " الشاكينا " ،وكان لحامل رتبة " الترتانو " بديل يسمى " ترتانو شنو " وذلك فى حالة اذا ما اصابه مكروه أو آلم به شيء أثناء قيادة المعارك فان البديل يتولى المسئولية فورا ،ومعنى لقبه الترتانو الآخر .

و كان يرتدى الترتانو حلة طويلة نهايتها السفلى مزخرفة وفى وسطها حزام عريض وآخر ضيق ويرتدى فوقها شالا يتكون من ضفائر طويلة ويترك عادة كتفه الايسر عاريا وكان يرتدى على راسه عصابه مزخرفة عريضة من الامام يتدلى منها شريطان من الخلف ،ويلبس حذاء شبيها بما ينتعله الملك وهو مثبت بالقدم بسيور تدور حول الاصبع الكبير وحول العقب .

ويلى الترتانو رتبة " الراب شاقة " والتى تعنى كبيرا السقاه ،وهى تفيد اهمية توفير الماء اللازم للجنود أثناء المعارك ،ويليه " ناقر ايكالى " اى بمعنى منادى القصر ،ومهمته دعوة الشباب الى الخدمة العسكرية ويليه " الابركو " وصاحبها مسئول عن الناحية المالية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

و كانت هذه الرتب الاربع بجانب الملك تكون الرتب العسكرية العليا •

ويلى هذه الرتب الرئيسة رتب أخرى مثل " راب موكس " بمعنى كبير الضباط وكان تحت امرته الخيالة والعربات ،ورتبة " راب كيصر " بمعنى قائد سرية وكان صاحبها يقود مائه جندى مع خمسين عربة ،وكان يليه قائد فرقة تتكون من خمسين جنديا وخمسة وعشرين عربة حربية ،كما كان هناك من تحت امرته عشرة جنود •

و كانت هناك وظائف أخرى مساعدة فى الجيش ،ومنها " راب ـ آسى " بمعنى كبير الاطباء ،و " راب زمارى" رئيس الموسيقى العسكرية •

المراجـــــع

- فوزى رشيـد : الجيش والسلاح ،مجلد حضارة العراق ،جـ ٢ ، بغداد ،١٩٨٥ ،ص ٣٩ – ٦٢

- يوسف خلف عبد الله : الجيش والسلاح فى العهد الاشورى الحديث ،بغداد ،١٩٧٧

- ل. ديلابورت ،بلاد ما بين النهرين ،الحضارتان البابلية والاشورية ، ترجمة محرم كمال الالف كتاب (٣٥)ص٨٣

Brinkman, J.A., A political History of post- Kassite Babylonia, Roma, 1968.

Salonen, A., Notes on wagon and chariots in Ancient Mesopstamia, Helsinki, 1950.

القضـــــاء

اشتهرت بلاد النهرين بما عثر عليه فيها من قوانيـــن تعد اقدم ما عرف حتى الآن ، اذ لم تصلنا اية مجموعة قانونية تسبقها في التاريخ ،ومع ان بعض الاشارات والمواد القانونية وردت الينا في بعض النصوص المصرية وهي توحي بوجود قوانين كانت متبعة ، الا ان هذه القوانين لم تصلنا نصوصها في أي مجموعة تشريعية حتى الآن .

ولئن اشير الى شرائع العراق القديم بأنها اولى جهود البشر في تنظيم الحياة الاجتماعية وفق قواعد واصول معينـــة فان اهل العراق القديم انفسهم كانوا يعدون الاله مصـــدرا لهذه الشرائع . والواقع انها بلغت من الكمال حدا يدفعنـــا الى القول بأنها ان لم تكن من صنع الاله كما يزعمون ،فانها ثمرة جهد وتفكير يستحقان الاعجاب والتقدير .

وعلى اية حال فقد كانت النظرة القانونية لاهل الرافدين علامة ثابتة مميزة لمنحاهم في التفكير خلفت طابعها علـــى جميع صور حياتهم الاجتماعية ، فثمة ميل طبيعي الى التمييز والتقنين يكمن وراء النظام التشريعي الضخم الذي نهضت بـه الحضارة البابلية والاشورية ،والذي كان بدوره احدى الوسائل الاساسية التي امتدت بها تلك الحضارة الى البلاد المجاورة .

ونحن نلحظ فى هذا المجال خاصة ذلك الامتزاج بين العناصر السومرية والسامية الذى يميز حضارة الرافدين عامة ابلغ تمييز ،ولكن من الصعب هنا ايضا فصل العناصر التي خلفها السومريون عن العناصر السامية الاصل ،وان كنا نستطيع ان نتبين بعض الملامح البدوية فى تشريعات وعادات معينة ، ومصادرنا هنا ليست شرائع مدونة فحسب بل مئات الالوف من العقود والمستندات والوثائق القانونية التى تشير الى ان كافة المعاملات كانت تجرى على اساس شرعى قانونى .

ولعل التفكير في ان مصدر القوانين الهي وان الملوك حين اصدروها فانما بوحي من الاله جعل منها قواعد قد تتصف بالثبات والاستقرار وربما نشأت ـ عادة وعرفا اكتسبت فيما بعد صفة الالزام فى تنظيم العلاقات الاجتماعية . ولئن لم تكن شرائع العراق القديم اقدم شرائع معروفة فانها على الاقل من انضج وارقى ما تفتق عنه الذهن البشرى من تقنين وتشريع وهى مدونة بأسلوب قانونى يتسم بالدقة وهى تتناول فى مجموعها العلاقات الاجتماعية بين الافراد بعيدة عن العبادات والمؤثرات الدينية ، وهى ليست فى صلب كتب مقدسة بل هى جديدة على نظائرها فى هذا الميدان .

والاكتشاف الاكبر فى ميدان القانون بأرض الرافدين هو قانون حمورابى الذى كشف فى اول هذا القرن بين اطلال " سوسا "

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان قد نقله اليها ملك عيلامى بعد غزوه لبابل ،وهو مكتوب على نصب كبير يرى فى جزئه الاعلى صورة بارزة للملك واقفا امام المعبد ،ويجرى النقش تحت الصورة وهو يبدأ بمقدمة يمجد فيها الملك المهمة التى القتها الآلهة على عاتقه من نشر العدل فى الارض والدفاع عن الفقير ضد الغنى وعن التقي ضد الآثمين ،وتلى ذلك مجموعة القوانين ثم تأتى اخيرا خاتمة يمجد فيها الملك مرة أخرى عمله ،ويرجو ان يجد فيه المضطهدون كلمات عزاء وعدل • وقد عد قانون حورابى زمنا طويلا انتاجا مبتكرا الى حد كبير ،ولكن عدل هذا الحكم بعد ان اكتشفت مجموعات اقدم القوانين •

ومن الجائز ـ حسب ما وصلنا حتى الآن ـ ان نعتبر "اوركا جينا" ملك لجش اول مشرع فى تاريخ البشر حيث وردت بعض الاشارات من عصر فجر الاسرات ومن العهد الاكدى تشير الى اصلاحاته الاجتماعية وتنظيمة للادارة وازالته للظلم عن الطبقات الفقيرة ،كما وجدت بعض النماذج لوثائق القانونية ، وفى عهد الاكديين بالذات يمكننا ان نتتبع وجود طبقة خاصة من القضاة المدنيين ،وكان هؤلاء يتمتعون بمكانة سامية، كما نتبين ان " سرجون الاكدى " أدخل نظام القسم باسم الملك بين المتعاقدين عند تثبيت نصوص العقود•

وهناك شريعة اخرى ترجع الى عهد الملك " اور ـ نمو مؤسس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اسرة اور الثالثة وهى ترجع الى حوالى ٢١٥٠ق ٠ م وقد عثر عليها فى عام ١٩٥٢م وهى وان كانت غير كاملة من الناحية التشريعية ، اذ لم يرد منها الا المقدمة وبعض الموادالقانونية الا أنها تسبق شريعة " حمورابى "بنحو ٣٠٠ سنة ،كما انها تختلف عنها من حيث انها تأخذبمبدأ التعويض لا بمبدأ القصاص أو الجزاء الذى يتبين فى شريعة حمورابى ،وهى تنقسم كأية شريعة اخرى الى مقدمة ومواد تنص على الاحكام وخاتمة ،وتتلخص المقدمة فى انها تفويض من الآلهة بمزاولة السلطة ونشر الشريعة ٠

وهناك محاولة تشريعية اخرى بعد اوركا جينا واور ـ نمو هى قانون أشنونا (٢)٠ وقد نسب " جوتز" هذا التشريع الى ملك دعاه " بيلا لاما" ثم عدل هذه التسمية واكتفى بنسبة التشريع الى مدينته ، وقد دون هذا القانون على لوحين من الطين باللغة البابلية (السامية) لاشك انهما جزء من مجموعة لم يعثر عليها حتى الآن ، وهو بحالته الحاضرة يحتوى على نحو ٦١ مادة من المواد القانونية ،فيعادل بذلك قرابة الربع من شريعة حمورابى (٢٨٢ مادة) ويعنى ذلك ان قانون " حرمل" هذا أوسع قانون مدون بعد قانون حمورابى ٠

يبدأ قانون أشنونا بمقدمة قصيرة تتضمن اسم الملك الذى وضعت فى عهده وتاريخ كتابته ،ويلى ذلك المواد القانونية الخاصة بتحديد الأسعار والأجور والسرقات والاعتداءات والدية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الواجب دفعها فى حالة إصابة أعضاء الانسان بأذى والديون والبيع والشراء ، والاحوال الشخصية . ونورد فيما يلى نماذج من هذه القوانين :

المادة (٥) : اذا أهمل المراكبى وتسبب اهماله فى غرق المركب فانه يلزم بدفع ثمن كل الأشياء التي تسبب فى غرقها .

المادة (٦) : اذا استولى رجل على قارب ليس له ، فانه يدفع عشرة شيقلات من الفضة .

المادة (١٢) : اذا قبض على رجل فى حقل شخص من طبقة " المشكينم " (الطبقة الوسطى) نهارا فانه يدفع عشرة شيقلات من الفضة غرامة ،ومن قبض عليه فى أثناء الليل فانه يموت ولن يحى .

المادة (١٣) : اذا قبض على رجل فى منزل شخص من طبقة "المشكينم" نهارا فانه يدفع عشره شيقلات من الفضه ، ومن قبض عليه أثناء الليل فانه يموت ولن يحى .

المادة (١٥) : لايجوز للتاجر أو بائعة الخمر أن يتسلم من عبد أو أمه فضة أو حبوبا أو صوفا أو زيتا كرأس مال للمتاجرة .

(يرجع ذلك الى أن الرق بحكم القانون لايستطيع أن يملك شيئا لأنه كان هو ومايملك ملكا لسيده) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المادة (٢٧) : اذا دخل رجل بابنة رجل آخر بدون إذن أبيها وأمها ولم يعقد عقدا بالزواج مع ابيها وأمها فلا تكون تلك المرأة زوجة شرعية حتى لو عاشت فى بيته لمدة سنة •

المادة (٢٩) : اذا فقد رجل فى أثناء حرب أو غارة أو أخذ أسيرا وبقى فى بلد غريب زمنا طويلا ،فاذا تزوج رجل آخر زوجته وولدت له طفلا ،فاذا رجع الزوج الاول فان له الحق فى استرجاع زوجته •

المادة (٣٠) : اذا كره رجل مدينته وملكه فهرب ثم أخذ زوجته رجل آخر ،فاذا رجع فلن يكون له حق فى استرجاع زوجته •

المادة (٤٢) : اذا عض رجل أنف رجل وقطعة فانه يؤدى " مينا " واحدا من الفضه (يعادل المن ستين شيقل) ودية العين " مين " واحد من الفضه ،ودية السن نصف " مين " من الفضه ،ودية الصفع على الوجه عشرة شيقلات من الفضة •

المادة (٤٣) : اذا قطع رجل أصبع رجل آخر يدفع له ثلثى " مين " من الفضة •

المادة (٤٥) : اذا كسر رجل قدم رجل آخر فإنه يدفع له نصف " مينا " من الفضة •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهناك تشريع رابع مكتوب في عهد " لبت ـ عشقار " (٣) (حوالى ١٨٧٥ ـ ١٨٦٥ق٠م) خامس ملوك آيسين ، وسجل رجال " لبت ـ عشتار تشريعهم على نصب حجرى كبير لم يعثر عليه بعد ، وسجلوا نسخا أخرى منه على ألواح متفرقة عثر منها حتى الآن على سبع لوحات تفاوتت في مدى اكتمالها واعداد سطورها وتضمنت في مجملها ثمان وثلاثين مادة يحتمل أنها كانت تؤلف نحو نصف مواد التشريع ،وقد عثر على ست لوحات منه في نيبور، ونقلت منها الى متحف الجامعة بلندن ،ويحتفظ متحف اللوفر باللوحة السابعة ،ولكن مصدرها غير معروف ٠

وبعد المقدمة تأتى مواد القانون ، ونورد فيما يلى نماذج منها :

المادة (٨) : اذا أعطى رجل آرضه الجرداء لآخر ليزرع فيها حديقة ،ولم يتمكن الآخر من استكمال زرع هذه الأرض كحديقة ،فانه يعطى الرجل الذى زرع الحديقة الارض البور التى اهملت كجزء من أجره ٠

المادة (٩) : اذا قبض على رجل وهو يسرق في بستان رجل آخر فانه يدفع عشرة شيقلات من الفضة ٠

المادة (١٠) اذا قطع رجل شجرة من حديقة رجل آخر ،فانه يدفع نصف مينا من الفضه ٠

المادة (١٢) اذا هرب خادم أو خادمه من سيده والتحق أوالتحقت بالعمل عند رجل آخر لمدة شهر ،فانه يلزم بأن يؤدى لصاحبه خادما مكان الخادم الذى لجأ اليه ٠

المادة (١٣) : واذا لم يكن لديه خادم،فانه يدفع ١٥ شيقل من الفضة .

المادة (٢٥) : اذا تزوج رجل بامرأه وانجب منها ،وعاش هؤلاء الاولاد ، وفى ذلك الوقت انجبت العبدة لسيدها أولاد ،ومنحها سيدها حريتها هى وأولادها منه ، فان أولاد العبدة لا ينالون نصيبا من تركة والدهم وتكون خالصة لأبناء الزوجة الحرة .

المادة (٢٧) : اذا لم تنجب زوجة الرجل ،ولكنه انجب أطفال من العاهرة الموجودة فى الميدان العام ، فانه يعطى للعاهرة الحبوب والزيوت والملابس ، ويصبح الاطفال الذين انجبهم منها هم وارثيه ، ولكن لا يحق للعاهره ان تعيش مع زوجته فى بيت واحد.

ولعل هذه القوانين جميعا تدل على أن أهمية قانون حمورابى ترجع الى انه جمع ماكان متوارثا من قبل وقننه اكثر مما ترجع الى اصالة محتوياته ،ولكن لايغير هذا من أن قانون حمورابى حظى بأسرع انتشار وصيت واثر فى كل ماتلاه من قوانين .

وقد نقش قانون حمورابى(٤) هذا على كتلة من الديوريت ارتفاعها ٢ر٢٥ م ومحيطها ٩٠ر١ م عند القاعدة ،وقد تكسرت الى ثلاث قطع ونقشت مواد القانون التى تبلغ ٢٨٢ مادة فى ستة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وارجعين عمود أعلى محيط الكتلة الحجرية . وقد تناولت هذه المواد امور القضاء والأمن وحقوق المحاربين ومسئولياتهم وعقود الزراعة وشروط القروض والاحوال الشخصية بما تتضمنه من تقاليد الزواج والطلاق والمواريث ـ والقصاص والتعويضات وأجور اصحاب المهن ومسئولياتهم ،وتضمنت فى ثناياها احكاما راقية يتقبلها المنطق فى كل عصر واحكاما أخرى يصعب علينا قبولها الا بمنطق الحياة فى عصرها . هذا ويرى الباحثين فى ترتيب بنود هذا التشريع مايسمح بتقسيمها الى ثلاث مجموعات :مجموعة تتضمن المواد (١ ـ ٥) وتتعلق بأمور القضاء والتقاضى ومايشبه أصول المرافعات ،ومجموعة ثانية تتألف من البنود (٦ ـ ١٢٦) وتتضمن قانون الاموال او المعاملات ،ثم مجموعة ثالثة من البنود أو المواد(١٢٧ ـ ٢٨٢) وتتضمن قوانين الاسرة او الاحوال الشخصية ،غير ان هذا التقسيم يصعب تتبعه حرفيا فى بنود التشريع .

هذا ويلاحظ بصفة عامة ان قانون حمورابى كان قاسيا فى توقيع العقوبات على كل من يخرج على العرف السائد او يقترف اثما لايتفق مع الاخلاق العامة ،فمثلا عقوبة الاعدام كانت فى : هتك العرض و خطف الاطفال وقطع الطريق على القوافل والجبن فى ميدان القتال وسوء استعمال الوظيفة ،والمرأة التى تتسبب فى قتل زوجها لكى تتزوج من غيره . اما مشاكل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الوراثة فحين تعرض القانون لها نراه يخص ابناء الرجل بتركته دون زوجته ،واذا مات الرجل عن زوجته فقط كان لها الحق في مهرها وفي هدية عرسها ،وظلت ربة البيت مادامت على قيد الحياة ،ولم يكن حق الارث محصورا في الابن الاكبر فقط بل كان الابناء كلهم سواسية في الميراث ،ومن ثم لم تلبث الثروات ان تقسمت وتفتت وامتنع تركزها في افراد قلائل .

ويبدو واضحا ان قانون حمورابي لم يعترف للفرد بأية حقوق قبل الدولة فلم تكن هناك حرية فردية او حماية سياسية ، الا اننا نجد القانون فرض حماية اقتصادية ،و من امثلة ذلك : اذا ارتكب رجل جريمة السطو وقبض عليه كان على المعتدى عليه ان يقدم بيانا مفصلا بخسائره مدليا بهذا البيان في مواجهة الاله بالمعبد وعندئذ على المدينة التي ارتكبت السرقة في داخل حدودها ،والحاكم الذي ارتكبت الجريمة في دائرة اختصاصه ان يعوضاه على مافقده ، اما اذا أدى السطو الى خسارة في الارواح دفعت المدينة ودفع الحاكم تعويضا كافيا الى ورثة القتيل .

ويبدو المجتمع البابلي في قانون حمورابي منقسما الى ثلاث طبقات ،فأفراد الطبقة العليا ،ويسمى الواحد منهم " اويل " وهم " الاشراف " يتمتعون بحرية كاملة وبجميع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حقوق الرعوية وامتيازاتها • والطبقة الثانية وتتكون من مواطنين يسمى الواحد منهم " مشكين " ويمكن ان نسميهم العامة ،وكانوا احرارا ،ولكنهم يخضعون لقيود قانونية معينة ولاسيما فيما يتعلق بتحويل الملكية المنقولة •والطبقة الثالثة هى طبقة العبيد ويسمى الواحد منهم " ورد" وكان المجتمع الاشورى ينقسم ايضا الى طبقات تقابل اعلاها وادناها مثيلاتهما فى المجتمع البابلى ،ولكن لانعرف على وجه اليقين طبيعة الطبقة الوسطى • وتختلف الطبقات الثلاث بعضها عن بعض فى الوضع القانونى ،مثال ذلك ان الاساءة الى العامة عقوبتها اقل قسوة الى حد كبير من عقوبة الاساءة الى الاشراف ، او يعاقب عليها تبعا لمبدأ مختلف فإذا أفسد شريف عين شريف آخر ،فليفسدوا عينه ،واذا كسر عظم شريف آخره ،فليكسروا عظمه ،واذا افسد عين رجل من العامه او كسر عظمه ،فليدفع (منا من الفضة) و هنا نجد قانون العين بالعين والسن بالسن مطبقا على الاشراف وحدهم ، اما غيرهم فدية تدفع • ذلك أننا لو رجعنا الى قانون حمورابى لوجدنا كثيرا من مواده لاتعترف بالمساواة بين الناس وانما تعاملهم على حسب طبقاتهم ،فمثلا (المادة ١٩٦) تنص على ان " من يتسبب فى اتلاف عين عضو من جماعة النبلاء تقلع عينه " ،بينما تنص المادة ١٩٨ على ان من يفقد رجلا من العامة عينه يدفع مينا من الفضة ،والمادة (١٩٩) تنص على ان من يفقد عبدا عينه ،او احدى عظامه يدفع نصف القيمة ،وتنص المادة (٢٠٠)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على ان من يسقط سن رجل من طبقته تكسر سنة " بينما تنص المادة (٢٠١) على ان من يسقط سن رجل من العامة يدفع ثلث مينا من الفضة ،وتنص المادة (٢٠٢) على ان من يلطم خد آخر أعلى منه مرتبة يجلد ٦٠ جلدة بسوط من جلد الثور علنا، بينما تنص المادة ٢٠٣ على انه (اذا لطم نبيل خد نبيل من نفس المرتبة يدفع مينا من الفضة) بينما تنص المادة (٢٠٤) على انه " اذا لطم رجل من العامة خد آخر يدفع ١٠ شوفل من الفضة ٠ " بينما تنص المادة (٢٠٥) على انه " اذا لطم عبد خد نبيل تصلم اذنه "٠

هكذا تظهر التفرقة بين المواطنين فى " قانون حمورابى" فالناس فيه غير متساوين بحكم القانون ،فالمواد (١٩٦،١٩٨ ، ١٩٩) ،تبين ان عقاب اتلاف عين نبيل اتلاف عين بدلا عنها (العين بالعين) ،واما اتلاف عين رجل من العامة فدية قدرها مينا من الفضة ، اما عين العبد فنصف ذلك ،بمعنى آخر ان عين النبيل لاتعادلها الا عين نبيل مثلها ،وغير النبيل قدر من المال ، اما عين العبد فنصف القدر المعين لغير النبيل والامر كذلك فى سن من آسنانه ٠ والمواد (٢٠٣ ، ٢٠٤، ٢٠٥) ، فتحدد مقدارا من المال تعويضا عن لطمة من رجل لآخر من نفس طبقته ،ولكن ان كان اللاطم اقل درجة فليجلد بسوط ٦٠ جلدة بشرط ان يكون ذلك على رؤوس الاشهاد ، اما اذا كان اللاطم عبدا تجرآ فلطم نبيلا ،فعقاب ذلك صلم اذنه لتكون عاهة

تلازمه بقية حياته وتذكره بفعلته وهكذا كان قانون جمورابي اعترافا صريحا بنظام الطبقات الذى ساد المجتمع البابلي والذى قسمه الى طبقة الاجرار ثم الطبقة الوسطى بين الاحرار والعبيد ولها حق تملك العبيد ،ثم طبقة العبيد الذين لم ينظر اليهم كبشر وانما كمتاع يتبع صاحبه .

وهكذا بينما يعترف القانون العراقي بأن الناس غير متساوين وان العقوبة تختلف طبقا للطبقة الاجتماعية التى ينتمى اليها الذى وقع منه الجرم ،نرى مصر الفراعنة تعلن فى وثائقها الرسمية وفى توجيهات الفراعين لوزرائهم ، الغاء مثل هذه الفوارق ،وان الكل ،كل الناس يعاملون على قدم المساواة . وعندما قال افلاطون فى مقالته عن السياسه " الدولة تجسيم العدالة المنظم " ربما لم يكن يعلم الاقليلا ان مصر كانت قد اتخذت منذ الف وخمسمائه سنة خلت هذا المثل الاعلى ،وحاولت ان تجعله حقيقة واقعة ، او ان هذا دليلا آخر على ان افلاطون كان فى مصر ،وان ذلك الرأى استحوذ عليه هناك .

ومع ذلك فاننا نستطيع القول بأن قانون حمورابي قد تضمن بين ثناياه احكاما راقية يتقبلها المنطق فى كل عصر ،وان كانت هناك بعض احكامه التى يصعب علينا قبولها الا بمنطق الحياة فى عصرها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فمن احكامه الراقية فى شئون التقاضى والقضاء، انه ايما مواطن اتهم مواطنا آخر بجريمة يعاقب عليها بالاعدام، ثم لم يستطع ان يثبتها عليه قتل عوضا عنه . واذا اتهمه بجريمة يعاقب عليها بالتجريم ،ثم لم يستطع ان يثبتها عليه دفع غرامتها . وانه أيما قاض أصدر حكمه ودون حكمه

ووقع عليه ثم ور فيه لعرض ما وثبت ذلك عليه ، أقيل من منصبه وحرمت عليه مناصب القضاء ودفع ما يوازى اثنى عشر ضعفا من قيمة الشىء الذى زور فيه .

وتضمنت مبادئه الراقية فى مسئولية الدولة عن شئون الامن ، انه اذا سرق مواطن ولم يتيسر القبض على سارقه واسترجاع المسروقات ،عوضته مدينته وحاكم اقليمه عما سرق منه بعد ان يعلنه ويثبت صحة دعواه امام تمثال معبوده و رجال الادارة فى بلدتهم (٢٣) واذا قتل مواطن ولم يتيسر معرفة قاتله والاقتصاص منه ،تعاونت المدينة وحاكم الاقليم على دفع دية الى اهله مقدارها مينا من الفضة (٢٤) . واذا شبت حريق فى دار مواطن وكلف آخر باطفائه فاستغل وجوده فى الدار واختلس بعض متاعها ،ألقى به فى النار(٢٥).

ومن مبادئه الراقية كذلك فى تقرير حقوق المحاربين ومسئولياتهم ، انه اذا افتدى ممول محاربا (ريدوم) اومتعهده

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للجيش (بيشيروم) من الاسر واعانوه على العودة الى بلده ، رد المحارب فديته من املاكه المنقولة ،فان لم يستطيع تولاها عنه رب مدينته (اى حصل عليها من املاك معبده) ،فان لم يتيسر ذلك تولت الدولة سدادها عنه (٣٢) حتى لايضطر الى التضحية باملاكه الثابتة التى تقطعها الدولة له فى سبيل افتداء نفسه (وكان اقطاع المحاربين يسمى كوك ،وقد يتألف من حقل او بستان او دار ، او يضم الثلاثة جميعا ،ويدفع عنه صاحبه ضريبة ويورث حق الانتفاع به لولده الاكبر ولكن لايحق له ان يبيعه او يرهنه او يورثه لزوجته اولابنته ويمكن ان ينزع منه هذا الاقطاع بامر ملكى ويوهب لشخص آخر) .

و اذا استشهد محارب ،آلت املاكه الى ولده (٢٨) ،فاذا كان ولده صغيرا تولت أمه ادارتها نيابة عنه ان استطاعت وربته من ريعها نظير انتفاعها بثلث آيرادها (٢٩) فاذا لم يكن له ولد وآلت اقطاعيته الى شخص آخر ،ثم ظهر انه حي وعاد الى بلد ،حق له ان يسترد اقطاعيته (٢٧) .

و أخذت تشريعات حمورابى بقوانين اشنونا من حيث حق المحارب الذى يؤسر فى ديار الاعداء فى ان يسترد زوجته اذا عاد الى بلده ،ولو كانت فى فراش زوج آخر (١٣٥) وحرم هذا الحقل على من شارك بلده كارها لها (١٣٦) ،وحتمت على زوجه الاسير ان تلزم داره مادام فيها مايكفيها ،والاتلجأ

الى فراش آخر والا ألقى بها فى النهر (١٣٣) ،فاذا لم يكن لديها مايقيم أودها ،فلا بأس عليها فيما فعلت(١٣٤)

وجعلت تدوين عقود القروض والمشاركة والامانات ،وشهادة الشهود عليها ، اساسا لحق التقاضى بشأنها (٩٩) ،وحددت ارباح القروض (١٢٢ – ١٢٣) بالخمس (٨٨) واشترطت سدادها بنفس المكاييل والاوزان التى أقرضت بها (٩٤) • وعلى هذا الاساس جعلت ربح كور الغلة ٦٠ قو ،وفائدة شيقل الفضة سدس شيل وست سيات ،(ولو ان بعض لوحات القروض الفعلية من نفس العصر قد دلت على زيادة ارباح القروض ونقصانها عن هذه النسبة فى بعض الحالات ،وتتمثل حالات النقص فيما كانت تقرضه المعابد والادارات الحكومية الى مايوازى ١٢ ٪ تقريبا)

واحاطت تشريعات حمورابى افراد الاسرة وتقاليدها بضماناتها ،وعقوبتها وزادت على مانصت عليه تشريعات ايسين فى حقوق الزوجه الشرعية ،فأباحت لها ان تسترق جاريتها ذات الولد ان تبينت منها تطلعا الى مساواة نفسها بها واباحت لها بيعها ان كانت غير ذات ولد ،حتى ولو كانت اثيرة عند زوجها • و(ولقد قرر رجل فى عهد سين اوباليط والد حمورابى ،فى عقد زواجه ان على زوجته ان تغسل قدمى زوجته الاولى وان تحمل لها مقعدها حتى ولو شاءت ان تذهب به الى معبد مردوك) واكدت التشريعات حق الزوجه فى استرداد

باشنتيها (ريتشو) حين طلاقها ، ان لم تكن ناشزا ، واضافت الى باشنة المطلقة ذات الاولاد نصف املاك زوجها لتستغله في تربية ابنائها حتى يبلغوا اشدهم ، ثم تجتزئ منه نصيبا تستعين به على زواج جديد ان استحدثت فراقهم (١٣٧) . واضافة الى باشنة المطلقة العاقر تعويضا يبلغ مينا من الفضة بالنسبة للطبقات العليا ، وثلث مين بالنسبة لاهل الطبقات العادية (١٣٨ - ١٤٠) ، وورثت باشنة الزوجة المتوفاة ذات الاولاد على أولادها (١٦٢) ، وجعلت باشنة الزوجة العاقر المتوفاة من حق ابيها بعد ان يسترد منها زوجها قيمة هدايا البيها حين عرسها ، وجعلت للزوج حق الوصية او الهبة لزوجته دون اعتراض من ابنائه ، وسمحت لها بأن تتنازل عن جزء من هذه الهبة لاولادها ، ولكن دون الغرباء (١٥٠) واعترفت بحقها في ان تلزم بيت زوجها المتوفى الا اذا أرادت ان تتركه لتتزوج وحينذاك يكون لها حق الخروج بباشنتها دون هدايا عرسها (١٧٢) وقضى المشرع على من اتهم سيدة بسوء السلوك دون بينة اكيدة بحلق نصف شعره في ساحة القضاء (١٢٧) ... فاذا اتهمها زوجها ولم يقدم بينة على فجورها ، كفاها ان تقسم على طهرها امام معبودها وتعود الى دار زوجها (١٣١).

وفي مقابل هذه الضمانات الواسعة التي كفلتها التشريعات للزوجة ، ألزمت الزوجة بواجبات زوجها وبيتها ، ... شكاها زوجها امام مجلس المدينة وتبين انها اهملت ...

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لواجباتها الزوجيه حرموها من باشنتها وسمحوا لزوجها بأن يتزوج عليها ويستبقيها فى داره ان شاء ويلزمها بخدمته (١٤١) فان تبينوا نشوذها واضرارها بزوجها ألقوا بها فى النهر(١٤٣) فان ثبت عليها الزنا ربطوها هى ومن زنى معها وألقوا بهما فى النهر ،الا اذا عفا عنها زوجها وعفا الملك عن عشيقها (١٢٩) ،فاذا تآمرت زوجة على قتل زوجها من اجل عشيقها أعدمت على الخازوق (١٥٣)٠

وفصلت التشريعات صلات الاولاد بأبويهم وحقوقهم فى الهواريشه فجعلت من حق كل ولد على ابيه ان يعينه بمهر يتزوج به ، فان مات الوالد دون ان يتزوج احد ابنائه أفرد له اخوته قيمة مهر يناسب ثروة ابيه قبل ان يقتسموا ميراثه (١٦٦) ، وكفلت نفس الامر بالنسبة للابنة وباشنتها... بحيث اذا مات أب دون ان يزوج ابنته ودون ان يخصص لها باشنة مسجلة أفرد لها اخوتها باشنة مناسبة من ميراثه (١٧٨ — ١٧٩) وقيدت حق الوالد فى حرمان ولده بحكم القضاء فى مدى عصيانه ،فان أدانوه أنذروه ،فان لم يرتدع وافقوا على حرمانه ،وان تبينوا براءته حموه منه (١٦٨ — ١٦٩) ،وجعلت للابناء الذكور حصصا متساوية فى ميراث ابيهم وباشنة أمهم ،الا اذا اوصى الاب لولده ، البكر الرقبة لاخوتها ولايحق لها ان تتصرف فيها (١٨١) ،واستثنت من ذلك من ترهبت فى معبد مردوك فى بابل

سمحت لها بأن تستغل حصتها كما تشاء ،وتهبها لمن تشاء بشرط الا ترث حقوقا اقطاعية ،حتى لاتنتقل الى أسرة غير أسرتها (١٨٢)٠

ونصت التشريعات على انه اذا تزوج عبد بحرة ، احتفظ اولادها بحريتهم (١٧٥) فاذا مات عنها زوجها استردت بائنتها واذا كانت ذات ولد ،قاسمت مولى زوجها المقتنيات التى شاركت زوجها فيها بعد زواجها به ،واحتفظت بنصفها من اجل اولادها (١٧٦ مكرر) ونصت التشريعات للاب بحق الاعتراف بأولاده من جاريته ،فاذا اعترف بهم شاركوا اولاده الشرعيين الميراث بشرط ان يتركوا لولده الشرعى البكر حق اختيار نصيبه بنفسه (١٧٠) وان لم يعترف صراحة ببنوتهم حرموا من ميراثه ،مع حرمان اخوتهم الشرعيين من استرقاقهم (١٧١)٠

ونصت على ان من باع جاريته أم أولاده ،أو أجرها لآخر فى سبيل سداد الضرائب المستحقة عليه ،حق له ان يستردها من شاريها او مستأجرها بنفس ماأدياه له فى مقابلها (١١٩) ، ولكنها حفظت مكانة الزوجة الشرعية بالنسبة للجارية ،بمثل ماقدمنالها به ،وبأن نصت على انه اذا أهدت زوجة زوجها جارية فأحبها وشجعها ذلك على ان تشارك الزوجة مكانتها ، حق للزوجه ان تعيدها الى الرق وتبيعها ،فان كانت قد حملت منه أوولدت له دمغتها بميسم العبودية [illegible]

دارها من اجل اولادهـا (١٤٦ - ١٤٧).

وأباح المشرع ثلاثة ايام للمشاورة فى شراء العبد او الجارية ،وشهرا يستطيع المشترى ان يعيد العبد خلاله الى بائعه ويسترد ثمنه اذا تبين انه مصاب بصرع ،فاذا انقضى الشهر كان مالكا له مسئولا عن الدعاوى التى تقام بشأنه . ونصت على انه اذا اشترى رجل عبدا او امه من بلد غريب ثم عاد الى بلده وتبين له ان العبد من اهل بلدته وملك لمواطن آخر ،وطالبه به سيده ،وجب تسليمه اليه دون تعويض ،فاذا كان العبد من بلد آخر دفع فيه سيده مادفعه فيه مشتريه واسترده ،فاذا انكر العبد تبعيته لسيده ثم ثبتت التبعية عليه صلمت اذنه (٢٧٨ - ٢٨٢).

وتضمنت لوحة من لوحات النخاسة التى اخذت بتشريع حمورابى ،ولو انها متأخرة عن عهده ،مايذكر اسم الجارية واسم بلدتها واسم سيدها واسم مشتريها ،وقيمة ثمنها الاصلى وماراده المشترى عليه ،ثم سجل الكاتب اسمه وأشهد خمسة أشخاص على لوحته .

و نظمت التشريعات امور التبنى ،فسمحت للرجل بأن يتخذ ربيبه ولدا له ،فان فعل ،ثم تنكر له ربيبه وأبى أبوته وكان لقيطا وتطلع الى اللحاق بأبويه بعد ان عرفهما قطع لسانه او فقئت عينه . وحرمت استرجاع الربيب اذا تبناه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صانع رباه وعلمه صنعته ،ولكنها من ناحية اخرى ،اجازت رجوع الربيب الى ابويه اذا عرفهما ولم يكن متبنيه قد اعترف به ولدا له ،وأجازت ارجاع الربيب الى ابويه اذا لم يعلمه متبنيه الصانع حرفته ،واشترطت على من يتبنى طفلا ثم يستغنى عنه بعد ان ينجب اولادا من صلبه ،ألايرده الى اهله صفر اليدين ،وان يهبه مايساوى ثلث نصيب ولده من صلبه من ثروته المنقولة (١٨٥ – ١٩٣)٠

وقضت التشريعات على من ضرب أباه يقطع يده (١٩٥) ،وعلى من ضاجع أمه بعد وفاة أبيه بأن يحرق معها (١٥٧) ،وعلى من ضاجع زوجة أبيه الارمل ذات الاولاد باستبعاده من أسرته (١٥٨) وقضت بالنفى على من يضاجع ابنته (١٥٤) ،وبالهلاك غرقا على من يضاجع زوجة ابنه بعد دخوله بها (١٥٥)٠

و عنيت التشريعات بأمور المعاملات التجارية ،وتوسعت فيما تضمنه تشريع اشنونا واسين عن أجور العمال الزراعيين وشروط المشاركة فى الزراعة والتجارة وتربية الاغنام والماشية وتعويضاتها ،واجور المراكب تبعا لحمولتها وأجور حيوانات النقل والزراعة ،واجور النساجين وصانعى الجلود والصناعة والبنائين امثالهم ،وكان خير مازادته هو تحديد اجور الاطباء ،ومراعاة الحالة الطبقية والاقتصادية فى معاملة المرضى ،بحيث حدد أجرت العملية فى البدن او فى

العين بالنسبة للشرى بعشرة شواقل ،وبالنسبة للشخص العادى بخمسة شواقل ،وبالنسبة للعبد بشقيلين يتحملهما عنه سيده (٢١٥ - ٢١٧) . وحددت اجرة العلاج العادى وجبر العظام بالنسبة للطبقات الثلاث بخمسة شواقل وثلاثة وشيقلين على التوالى (٢٢٠ - ٢٢٣) ،ولم تنص فى ذلك اجور علاج الحيوانات وتعويضاتها (٢٢٤ - ٢٢٥) .

كانت هذه اهم النواحى الطيبة فى تشريعات حمورابى، اما مايعاب عليها ،فهو اعترافها بالتفاوت فى الحقوق والعقوبات بين الطبقات ،فهى وان استحدثت مبدأ العين بالعين والسن بالسن (١٩٦) والولد بالولد ، الا انها أقصرت تطبيقه وامثاله على افراد الطبقة الواحدة ولمصلحة الطبقة العليا بخاصة بينما قضت بالتعويض المادى وحده جزاء اعتداء احد افراد الطبقة العليا على فرد من طبقة أخرى اقل منزلة من طبقته ،فجعلت عقوبة فق عين العاصى أو كسر عظمه نصف مين من الفضة ،وجزاؤهما بالنسبة للعبد نصف ثمنه واذا صفع رجل رجلا أرقى منه جلد يتم جلده علنا ،واذا صفع رجلا من طبقته دفع مينا من الفضة ،واذا صفع عامى عاميا آخر دفع عشرة شواقل من الفضة ،وجعلت غرامة اجهاض امرأة من الخاصة عشرة شواقل فاذا ماتت قتلت ابنة قاتلها ،وغرامة اجهاض امرأة من العامة خمسة شواقل ،فاذا ماتت فديتها نصف مينا من الفضة ،وغرامة اجهاض الامة شقلين فاذا ماتت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فديتها ثلث مينا من الفضة (١٩٦ - ٢١٤) . وقضت بتغريم من يختلس شيئا من مقتنيات المعبد او الحكومة ثلاثين ضعفا لما اختلسه ،فان اختلسه من " موشكينوم" دفع عشرة اضعاف ،فان كان معدما قتل (٨)، اى انها فرقت بين غرامة سارق المعبد والدولة وبين عقوبة سارق المواطن العادى وجعلت الاعدام جزاء المفلس فى الحالتين ،وألزمت الابناء احيانا بجرائر آبائهم ،فاذا اهمل معمارى فى عمله وانهار المنزل الذى بناه على ابن صاحبه قتل ابنه ،واذا اجهض رجل سيدة من طبقته فماتت قتلت ابنته (٢١٠).

واصطبغت أغلب مواد تشريعات حمورابى بالقسوة فى مواجهة الاعتداءات على النفس والمال والاضرار بمصالح الدولة ،وليس من المستبعد ان تكون قد تعمدت ذلك لمجرد التخويف ومنع الجريمة قبل وقوعها ، او لتقيدها بتعاليم دينية متشددة ، او لشيوع الفساد فى مجتمعها وفيما قبل عهدها ،فجعلت الاعدام عقوبة للتآمر على مصالح الدولة وأمنها والوقوف فى سبيل تنفيذ اوامرها كايواء ثائر اومجرم هارب ،او التكتم على مؤامرات قطاع الطرق (١٠٩) او التهرب من خدمة الجيش ولو عن طريق تقديم بديل ،وعقوبة للضابط الذى اراح مثل هذا الابدال او تكتم امره (٢٣).وجعلت عقوبة للاعتداء على المعابد واملاك القصر ،وعقوبة لمن يعجز عن رد المسروقات ودفع التعويضات عنها ،وعقوبة لمن يسم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عبدا بغير سيم سيده وبدون علمه (٢٢٦ ـ ٣٢٧) ،وعقوبة لخطف الاطفال ،واخفاء العبيد ،ونقب الدور (٢١) ،وعقوبة لمن يتجر فى المسروقات ،ومن يدعى ملكيته لاشياء مسروقه ثم يتبت تدليسه (١ ـ ١١) ،وعقوبة للكاهنة التى تفتح حانة او تتردد عليها لتسكر فيها (١١٠) ،وعقوبة للمعمارى الذى يتسبب اهماله فى انهيار منزل على صاحبه (٢٢٦)٠ وجعلت عقوبة للرؤساء الاداريين (ديكوم،ولوبوتوم) اذا حرموا جنديا مما انعم الملك عليه به ،او اغتصبوا متاع داره اثناء غيابه أو أجروها لصالحهم او تخلفوا عنها لصاحب نفوذ فى ساحة القضاء (٣٤)،وحرمت عليهم شراءها والاخسروا ما اشتروها به (٣٥)٠

وتضمنت التشريعات احكاما غريبة يأباها منطقنا الحالى وان تقبلها عصرها ،ومنها انه اذا اتهم مواطن مواطنا آخر بالاشتغال بالسحر ،كان على المدعى عليه ان يلقى بنفسه فى النهر ،فاذا ابتلعه الماء ورثة الآخر ،واذا نجا أعدم من اتهمه وآلت املاكه اليه ٠ وقضت انه اذا أدت العملية الجراحية الى وفاة مريض حر أو الى ذهاب نور عينه قطعت يد الطبيب (وليس مايعرف ان كان ذلك مشروطا باهمال الطبيب ام لا)،فاذا كان المريض عبدا عوض الطبيب سيده عن حياته بعبد مثله وعن عينه بنصف ثمنه من الفضة (٢١٨ ـ ٢١٩) ٠

القوانين الاشوريـــــة (٥)

لقد جاءتنا نماذج من القوانين التى كانت تنظم احـــوال المجتمع الاشورى ،ومما يقال عن هذه القوانين انها مجموعـــة مواد اى اجزاء لعلها تعود الى قانون كامل لم يأتنا بعـــد وبوسعنا ان نقسم هذه النماذج من حيث زمنها الى مجموعتيـــن تشمل المجموعة الاولى على مايسمى بالقوانين الاشورية القديمة وهى اجزاء غير كاملة وترجع الى العهد الاشورى القديم مـــن اواخر الالف الثالث ق.م وقد راى الباحثين فى هذه القوانيـن الاشورية القديمة انها لم تكن خاصة ببلاد اشور وانمـــــا تعود الى مستعمرة تجارية اشورية تكونت فى آسيا الصغـــرى فى وسط الاناضول هى " كول تبه " وان الاشوريين الذين عاشوا هناك ظلوا مرتبطين بموطنهم الاصلى من الوجهه الثقافيـــة فقد استعملوا طريقة التقويم الاشورى والطريقة العشريـــة فى العدد واستعملوا الموازين والمكاييل الاشورية ومـــن الصعب تحليل المواد القليلة التى جاءتنا لانها غير كاملـــة فلم يستقر الرأى على ترجمتها ترجمة اكيدة ،ويظهر ان اكثـر ماجاء فيها يتعلق بنظام المحاكم واصول المرافعات ولاسيمـــا فى تنظيم الشئون التجاريـــة .

اما المجموعة الثانية فهى تعرف عند الباحثين باسـم القوانين الاشورية المتوسطة ،وقد عثر عليها مدونة فى جملة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الواح من الطين فى التنقيبات التى اجراها الالمان فى اشور (١٩٠٣ – ١٩١٤) وقد امكن تاريخها بوجه التقريب بين ١٤٥٠ و ١٢٥٠ ق٠م فهى بذلك تعود الى العهد الاشورى الوسيط ،وقد جاءتنا مصادر آخرى عن القانون الاشورى من الوثائق والمستندات القانونية التى وجدت كذلك فى اشور ٠ وتشبه لغة القوانين الاشورية المتوسطة لغة السجلات الملكية التاريخية ،ولكنها غفل من اى اشارة او دلالة الى معرفة مقننها أو مشرعها وانما يستنتج منها ان احكامها كانت سارية فى مدينة اشور ومايجاورها من المدن ٠ ومما يقال فيها بوجه العموم انها لاتؤلف فى الحال الذى جاءتنا فيه قانونا كاملا او وحدة قانونية مثل قانون حمورابى ،والمواد التى فيها لايتم بعضها بعضا ،وقد خصص جزء كبير من المواد للاحكام الخاصة بالمرأة والاحوال الشخصية ،ويتعلق قسم كبير منها بالجنايات والعقوبات الخاصة فى هذا الموضوع ،ويرى بعض الباحثين ان مواد القانون الاشورى فى اصلها لم تكن سوى قرارات او أقضية سلفة صدرت بخصوص قضايا معينة فدونت وصيغت بهيئة مواد قانونية ٠ ويذهب البعض الى ان مواد القانون الاشورى وتفسيرات لمواد قانون آخر لم يصلنا بعد ،وهو اما ان يكون قانونا اشوريا مستقلا او انه قانون حمورابى بالذات ٠

ومع التشابه بين القوانين الاشورية والبابلية فى بعض النواحى فان الاولى تختلف عن الثانية فى احكامها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولعل أبرز ماتمتاز به القوانين الاشورية القسوة والشدة بالنسبة الى العقوبات ،وان الاشوريين بوجه عام لم يعنوا عناية البابليين بأمور الشرائع والقوانين المدونة ،ومما لاشك فيه ان كان فى المجتمع الاشورى عرف قانونى يسار عليه كان بمثابة القوانين المدونة ،ولكن الاشوريين لم يهتموا بالناحية الفقهية ولم يعنوا بالبحث فى الشرائع وتدوينها كما فعل البابليون .

المحاكم والقضاة

اعتبر الملك فى العراق القديم أصل العدالة والتشريع وكان باستطاعة الملك ان يعالج شئون المجرمين و يصدر العقاب بشأنهم ،ولكن كان المعتاد ان يحيل الملوك القضايا الى ولاتهم فى الاقاليم او الى محكمة خاصة ،وكانت قرارات الملك ،ومن ينيبهم عنه نهائية ،ومع ذلك فقد كان بامكان الناس تقديم التماس للملك للنظر فى شكاويهم ورفض المحاكمة فى حالة عدم قبول الحكم ،وكانت توجد محاكم للاستئناف ولكنها ليست بصورة منتظمة ،ولكن كان يأمر الملك بتشكيلها فى بعض القضايا الخاصة .

وكان القاضى أقرب مايكون الى المحترف او الممتهن اكثر منه ان يكون موظفا ،وكان هناك عدة أنواع من القضاء فكان هناك " قضاة معبد الاله شمش " ،وقضاة الاديرة الخاصة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالكهان والكاهنات ،وكان هناك قضاة مدنيون ،وهؤلاء كانوا اما قضاة محليين فيسمون باسماء المدن الموجودين فيها، او قضاة خاصين بالملك .

واعتبر المعبد من اماكن المحاكه التى يجلس فيها القضاه الكهنة و غير الكهنه ،وذلك لملائمة بناء المعبد من جهة ،ولان جزءا من أصول المرافعات بتعلق بالقسم داخل المعبد ،وبجانب المعبد كانت هناك محاكات تجرى فى قصر الملك أو قصور حكام الولايات و بجانب القضاة كان هناك عدد كبير من الموظفين و منهم المبلغون والحلاق والجراح وحافظ السجلات والكاتب ومسئول التنفيذ المختص باحضار المجرمين.

ولم نجد فى الوثائق مايستدل منه على وجود المحاميين فى بابل ،وكان المدعى يترافع فى قضيته بنفسه دون ان يستعين بالالفاظ المنمقة التى تحتمها الاصطلاحات القانونية ،ولم يكن الناس يشجعون على التقاضى ،ولعل ذلك راجع الى تشديد العقوبة على من يتهم شخصا ولا يستطيع ان يثبت ادانته ،ولقد جاء فى قانون حمورابى أنه " اذا اتهم رجل شخصا آخر بجريمة يعاقب عليها بالاعدام ثم عجز عن اثباتها حكم على المدعى نفسه بالاعدام "(٦)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحواشي

(1) Kramer, S.N., in Bulletin of the University Museum, vol.17, no 2 (1952).,

Finkelstein, J.J."The Laws of Ur- Nammu in ANET, PP. 523

(٢) طه باقر : فى مجلة سومر ، المجلد الرابع ، الجزء الثانى

وكـــذا مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمـــة

القسم الاول ،تاريخ العراق القديم ،ص ٢٨٨ – ٢٩٠ .

Gootze, A., " The Laws of Eshnunna" in ANET, PP. 161

(3) Kramer, S.N., " Lipit - Ishtar Lawcode" in ANET, PP. 159 ff.,

Steele, " Libit - Ishar Law - Code" in American Journal of Archaeology vol. L11(1948), PP 425 ff.

(4) Meek, T. J., " The Code of Hammarabi", in ANET, PP. 164 ff .

(5) Meek, T. J., " The Middle Assyrian Laws " in ANET, PP. 180 ff.

(6) Dtiver, Miles, The Balylonian Laws, vol I , 1952. PP. 490 ff.

الاســرة

مـن خـلال أدب الحكـم والنصـائـح

مقدمــة

كشـفت الحفـائر التي أجريت في العراق عن عشـرات الآلاف من اللوحات الطينية المكتوبة ، الا أنه يلاحـظ أن ما يقرب من تسعين في المائة من هذه المادة المكتوبـة تتصـل بصفة خاصة بالناحيتين الاقتصادية والادارية ،والجـزء المتبقى منها نستطيع أن نستخلص منه شيئا عن الحيـاة الفكرية • وتنـاهز تلك اللوحات التى سجلت أعمالا أدبيـة متنوعة ما يقرب من خمسة آلاف لوح •

وتتراوح الوثائق الأدبية السومرية فى حجمها، مابين لوحات كبيرة تتكون من اثنى عشر عمودا سجل فيها مئـات الأسطر ، الى قطع صغيرة لا تحتوى الا على أسطر قليلـة مهشمة • ووصلت الآداب السومرية فى بعض مناحيها الى درجة عالية من الابداع الانسانى • ولقد نهل الأكاديون والآشوريون والبابليون من هذه الآداب ، كما نقل الحيثيون والحوريـون والكنعانيون بعضها الى آدابهم ، وقاموا بتقليدها بشـكل كبيـر •

ولقد تم الكشف عن معظم هذه الوثائق فى النصف قـرن الاخير ويتطلب تجميعها وترجمتها جهدا يستغرق عشـرات السنين • ويلاحظ فى هذا المجال ،أن معظم هذه اللوحـات قد استخرجت من الأرض فى حالة مهشمة ،وعلى ذلك فانه لـم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يحفظ من محتوياتها الأصلية الا أجزاء قليلة ،الا أنه عوض هذه الخسارة شيء هام ، وهو أن الكتبة القدامى كانوا عادة يكتبون أكثر من نسخة لأى موضوع ،كما تم نسخ الكثير من اللوحات فى المدارس ،وعلى ذلك فان أى تحطيم أوفجوات فى لوحة أو قطعة قد يمكن استكماله قدر الامكان من القطع الأخرى التى تعالج نفس الموضوع •

ويرجح أن السومريين قد بدأوا يسجلون أعمالهم الأدبية منذ حوالى عام ٢٥٠٠ ق • م ، وذلك على الرغم من أن أقدم وثائق أدبية كشف عنها تؤرخ بحوالى عام ٢٤٠٠ ق•م، حيث عثر على اسطوانة طينية صلدة ترجع الى هذا الوقت تقريبا ، وقد نقش عليها نص مكون من عشرين عمودا ،ويتصل موضوع هذا النص بأسطورة تتعلق بالاله انليل وأخته ننحرساج وذكر فى سياق الأسطورة بعض المعبودات السومرية المعروفة مثل انانا وانكى ونينورتا •

وازداد الأدب السومرى بمرور القرون ،وازدادت خصوبته قرب نهاية الألف الثالث قبل الميلاد عندما أصبحت المدرسة السومرية " أى دبا Edubba المركز الرئيسى والهام للتعليم ، اذ يرجع الفضل الى رجال العلم والكتاب فيها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى جمع وترتيب الحكم بالشكل الذى وجدت عليه فى مجموعات اذ يبدو أن مجموعات الحكم السومرية قد استخدمت فى المدارس وفى كل مستويات نظام التعليم .

واستمر الأدب السومرى لم يخفت وهجه خلال النصف الاول من الألف الثانى قبل الميلاد ،على الرغم من أن اللغة السامية الاكدية أخذت تحل تدريجيا مكان اللغة السومرية . وخلال عصر أسرة أيسين (٢٠١٧ - ١٧٩٤ ق . م) وما بعدها درست الآداب المبكرة ،وتم نسخها ،ونتيجة لذلك فان معظم الأعمال الأدبية التى وصلتنا قد تمت معرفتها من النسخ المأخوذة من الأصول فقط .

أما فيما يختص باللوحات المتصلة بأدب الحكم والأمثال والنصائح ،فلقد تم التعرف على ما يقرب من سبعمائة لوحة وقطعة تتصل بالحكم السومرية ،ولم يكن من الميسور تحديد معظمها قبل عام ١٩٥٣م . وضمت هذه اللوحات مجموعات الحكم ،والحكم الشائعة من هذه المجموعات ، وكان بعضها يضم أحيانا حكمة واحدة . وقد رتبت بعض هذه الحكم طبقا لعلامات فى بدايتها ،وأحيانا تسجل الحكم التى تعالج موضوعا واحدا بجوار بعضها وقد تم الكشف كذلك عن ما يقرب من عشرين لوحة وقطعة ترجع الى العصر السومرى الأكدي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وجدت فى مكتبة الملك آشور بانيبال (٦٦٨ – ٦٢٦ ق ٠ م) فى نينوى القديمة ٠ وبالاضافة الى هذه اللوحات ، فقد نشرت لوحتين من الحكم الأكدية التى عثر عليها فى بوغازكوى والتى يرجح أنها ترجع الى عهد الملك سرجون الثانى (٧٢١ – ٧٠٥ ق ٠م) فى آشور٠ هذا وقد وردت أحيانا حكم مفردة فى نصوص الأدب السومرى والاكدي ، وفى خطابات ماري وتل العمارنة وبصفة خاصة من عصر الأمبراطورية الأشورية الحديثة ٠ كما يوجد حاليا فى المتحف البريطانى عدد من لوحات الحكم التى ترجع الى عصر الأمبراطورية الاشورية الحديثة والدولة البابلية الحديثة ٠

وجاءت بعض هذه الحكم والأمثال مزدوج اللغة ، وتراوحت طريقة التعبير ما بين التعبير الواقعى الصرف والرمزية الرفيعة ،وتراوحت طريقة كتابتها ما بين الشعر والنثر ، ومما يقال عنها بصفة عامة ،أنها مثل أقرانها فى آداب الشعوب الأخرى ، يصعب فهم الكثير منها حتى لو كانت مفهومة من الناحية اللغوية ، لأنها عبارة عن جمل قصيرة مقتضبة ومركزة المعنى ،وتعبر عن تجارب وحالات خاصة فى حياة المجتمع ،كما أن الكثير منها نشأمن وقائع أو حوادث قيلت فيها تلك الأمثال والحكم والنصائح ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(١)

الزواج

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عبر الحكيم السومرى عن الشخص العزب الذى لايرغب فى الزواج عزوفا أو خوفا من المسئوليات الأسرية بقوله :

" إن الذي ليس له زوجة أو ولد لا تحتمل أنفه القيد"

وعلى الرغم من أن هذه الحكمة يبدو منها أنها توجه النقد للشخص العزب ، الا أن الكناية الواردة فيها تثير تناقضا ملحوظا في الهدف منها ، فقد شبهت الشخص المتزوج بالأسير المشدود وثاقه ، وكأن المسئوليات الأسرية من وجهة نظره كالأغلال التى يرسف فيها المتزوج ولايستطيع أن يتحملها العزب .

وجاء النص الأكدى لهذه الحكمة مختلفا عن النص السومرى بعض الشئ ، الا أنه كان شديد الوضوح فى توجيه القدح للشخص العزب ، فقد جاءت على النحو الآتى :

" ان الشخص الذى لايعول زوجة ، لايعول ابنا ، انه شخص لايؤتمن ، ذلك الذي لايعول نفسه "

وبذلك فقد وصمت النسخة الأكدية الشخص الذي لايرغب فى تكوين أسرة بأنه انسان لايمكن الثقة به والاعتماد عليه ، لأنه شخص غير جدير ، وغير كفء لتحمل المسئولية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما المرأة غير المتزوجة ،فقد اعتبرت كالحقل غير المزروع ،وبالتالى تنعدم الاستفادة منه ،ووردت حكمة بهذا المعنى فى خطاب ربعدي حاكم جبيل وذلك فى الفترة من ١٤٠٠-١٣٦٠ ق ٠ م ،وذلك على النحو الآتى :

" ان المرأة من غير زوج كالحق من غير زرع"

كما وردت فى مجموعة الأمثال الأشورية ،مثل يشير الى أن المرأة غير المتزوجة مثل المنزل الذى لاصاحب له :

" المنزل بدون صاحب ،كالمرأة من غير زوج "

وترك الحكيم السومرى للفتى حرية اختيار زوجة فقال :

" تزوج امرأتك طبقا لاختيارك
وانجب طفلا حسب رغبات قلبك "

وجاءت حكمة سومرية فى أسطورة زواج المعبود الأموري " مارتو" تشير الى هذه الفكرة ذاتها ،وتقع أحداث هذه الأسطورة حينما كانت تعيش هذه القبائل الأمورية السامية الى الغرب والجنوب الغربى من سومر ، وجرت أحداث هذه القصة فى مدينة نيناب التى اعتبرتها الاسطورة مدينة المدن وبلدة الامارة ، ولكن لم يتم تعيين موقعها فى بلاد ما بين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النهرين حتى الآن • وورد في هذه الاسطورة تصميم الاله "مارتو" على الزواج ،وطلبه من أمه أن تختار له زوجه :

قال (مارتو) لأمه
وهو يدخل الدار
فى مدينتى ،جعل أصدقائى لأنفسهم أزواجا
وجيرانى جعلوا لأنفسهم أزواجا
وفى مدينتى (أنا وحدي) من بين أصدقائى ، لا زوجةلى
ليس لي زوجة ، ليس لي أولاد •

وتنتهى القصيدة بالبيتين التاليين :
يا أماه خذي لى زوجة
وسأقدم لك هديتى

ولكن أمه نصحته
ابحث لنفسك عن زوجة طبقا لرغبتك

وتستمر الأسطورة ، فتذكر أنه في أحد الأيام ، أقيم احتفال ضخم فى مدينة نيناب حضره " نمشدا " الاله الحارس لمدينة " كازالو" التى تقع الى الشمال الشرقى من سومرووبعه زوجته وابنته • وفى اثناء الاحتفال قام " مارتو" بأعمال بطولية جلبت السرور " لنمشدا " الذى قدم " لمارتو"مكافأة

على ذلك من الفضة واللازورد ،الا أن " مارتو" رفض هذه المكافأة وطلب بدلها الزواج من ابنته ،فوافق " نمشدا" وكذلك ابنته على هذا الطلب بسرور ،على الرغم من محاولة أحد أقربائها الحط من شأن " مارتو" واظهاره بمظهر انسان متوحش ، يسكن الخيام ،ويأكل لحما غير مطبوخ، ولايجد له مثوى حين يموت .

ويتضح لنا من ذلك ،أن هذه الأسطورة السومرية ، قد حفظت لنا في ثناياها حرية الفتى في اختيار زوجه ،وموافقة الابنة على الزواج ،وهو ما يتفق ويعبر عن وجهة النظر السومرية التي جاءت في أدب الحكمة لديه بالنسبة لهذا الموضوع .

ولقد وردت مجموعة من الحكم السومرية المرتبطة ببعضها، والتي يمكن اعتبارها أنها تمثل حوارا بين شاب وأخته حول نوعية الرجل الذي ترغب في الزواج منه ،ومهمة الأخ هو أن يجد الزوج الملائم لأخته . وينتمي الأخ وأخته الى الطبقة الفقيرة وبخاصة طبقة الصيادين . ويلاحظ من هذا الحوار أن الفتاة تشترط فيمن يكون زوجها أن يعيش كما تعيش هي ، ويعمل كما تعمل هي ، مما يشير الى نوع من حرية الاختيار المكفول للفتاة في اختيار زوجها . وجاء في هذه الحكم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(الأخ :) لأختـه : ألا يستطيع أخواك أن يختـار لك !

(الأخت :) ما الذى يمكن أن تختاره .

(الأخ :) انسان مثلى تماما ،مثل أخـوك .

(الأخـت :) دعه (ذلك الشخص) يعيش كما أعيش ، يعمل مثلما أعمل ... الأعشاب (؟) فى الهواء .. دعه يأكـل الزيت فى الندي .

ويمكن أن يستدل من بعض الأمثال الأشورية ما يرتبـط بذلك أيضا . فقد ورد فى لوحة أمثال آشورية تحمل رقـم VAT 10251.

" إن قلبى حكيم ،ومشاعرى سلوك وكبدى ذو جلال ووقـار، لا تتحدث شفتاي الا بالأشياء الجميلة ،فمنذا الذي سيكـون زوجى المختـار" .

ويمكن أن يكون المتحدث هنا رجلا أو امرأة ، وهى تشير على أية حال الى نوع من الحرية فى اختيار الزوج أو الزوجة

وجاء فيها كذلك :

" من المقتر ؟ من الموسر ؟ الذى أصون له فرجـى "

ويمكن القول بأن هذا المثل قد يشير الى رغبة الفتـاة فى اختيار زوجها ،وتفضيلها بين الرجل البخيل الشحيح المقتر، والغنى الميسور .

وورد مثل آخر فى هذه اللوحة كذلك يعبر عن رغبة الفتاة وتمنيها فى أن يكون زوجها قويا فحلا فى رغباته الجنسيـــة ، وهى تشير الى مفاتنها وجمالها الأخاذ :

"عينــاى عينـــا أسد وجسمى جسم الملاك الحارس ، وشفتاي تتناقلان بالفتنة والسحر ، فمن سيكون زوجى شديد الفحولة " .

وعبرت بعض الحكم السومرية عن تودد الفتى لفتاة قبل الزواج ، مظهرا لها أنه أكثر اهتماما وحرصا على تحقيق مصلحتها والرفاهية لها من أخيها :

" أيها العذراء ، لم يعطك أخوك الأفضليـــة
فلمن يجب أن تعطى الأفضليـــة ؟ " .

ويبدو منها أنها شكوى من المحب لفتاته ، مشيرا لها أنه هو الذي يبحث عن مصالحها وليس أخوها ، وأنه هو الجدير بأن تمنحه ثقتهـــا .

ويواصل الفتى تودده الى فتاته قائلا :

" أيها العذراء هل أخوك مثلى ؟ ، هل تركك أخـــوك تعيشين حياتك الخاصة كما تركتك أنا ؟ " .

ويوجد العديد من الأدلة الادبية التي تشير إلى وجـــود

عواطف متبادلة بين الفتى وحبيبته قبل الزواج . ومن أقدم ما وصلنا من شعر الغزل قصيدة سومرية يمكن عنونتها " الحب يجد الطريق " أو " الأم المخدوعة " وتدور حول الالهة انانا (عشتار) سيدة السماء والاله " دموزى (تموز).وفيها تذكر انانا أنها حينما كانت ترقص وتغنى حول السماء قابلت دموزى الذى أخذ بيدها وعانقها، الا أنها طلبت منه أن يتركها لأنها لا تعرف بماذا تخبر أمها عن سبب تأخيرها ،فدبر لها دموزى حيلة ،وهى ،أن تذكر لأمها أنها كانت مع احدى صديقاتها وتنتهى القصيدة بذهاب دموزي الى منزل انانا وطلبه من أمها الزواج منها ،حيث تم زواجهما.

ومن الجدير بالملاحظة أن اختيار الزوجة فى العراق القديم لم يكن أمره متروك تماما لرغبات قلب الفتى ، بل كانت هناك عوامل أخرى متعددة تتدخل فيه ،وترتيبات عملية توزن فيها المصالح والثروات . فلقد جرت العادة فى عهد حمور ابى (١٧٢٨ – ١٦٨٦ ق.م) أن يختار والد الشاب خطيبة ابنه ، وعندما يتم الاتفاق بين العائلتين على الزيجة يشرع في اعداد الخطبة . ومن مظاهر هذا الاحتفال أن يرسل الى بيت والد العروس بعض قطع الأثاث ، كما يقدم الشاب ، أو والده مبلغا من المال الى والد العروس كان يطلق عليه " تيرهاتو"

وهو المهر ، ولم يكن ذلك اجباريا ، فقد كانت هناك أحيانا خطبة بغير " تيرهاتو" ،كما أنه لم يكن يعني ارتباطا نهائيا وكان يترك لوالد الفتاة اذا سحب الشاب وعده بالزواج منها. أما اذا كان والد الفتاة هو الذى عدل عن وعده بتزويج ابنته فانه يرده كاملا • وكان هناك كذلك " الشريقتوم" وهو مبلغ من المال تهديه عائلة الزوجة ،وكان وديعة للزوج أن يتصرف فيها وان ظلت ملكا لزوجته تورثها أبناءها أو أهلها ان لم يكن لها ولد ،أوتعاد اليها فى حالة الطلاق ،ثم ال" نودونو" وهى هبة من أموال منقولة وثابتة يمنحها الزوج عروسه ولها منها حق الانتفاع وليس البيع بل هى لأولادها من بعدها وهناك كذلك " البيبلوم " وهو عبارة عن هدية مالية تقدم برفقة هدية الزواج الى والد الزوجة الذى يستلمها نيابة عن ابنته، ويبدو أن هذه الهدية التى تشبه هدايا الخطوبة لم تكن لها صفة ثابته حيث لم يرد ذكرها فى حالة الطلاق الذى كان يرافقه أحيانا استرجاع الزوج لهدية الزواج التى دفعها سابقا ، واعادة مهر زوجته اليها أو الى ذويها •

ولقد كان عقد الزواج فىالعراق القديم يبرم بين الرجل، الزوج فى المستقبل ، وبين رجل آخر ،يكون أبا الفتاة، الزوجة مستقبلا ، أو أخاها أو ولى أمرها ،ولهذا السبب اتجه بعض الباحثين الى القول بأن العائلة العراقية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القديمة كانت عائلة أبوية بسبب هذا الموقف الرسمى فـــي عقد الزواج .

ولقد عبر الحكيم الأشورى عن مسئوليات الزواج بقوله :

" ان من تحب سوف تحمل نيره "

ويشير ذلك الى المسئوليات الملقاه على عاتق الـــزوج تجاه زوجته ،وأنه كان مكلفا بتحمل نفقاتها .

وحذر الحكيم العراقى القديم الفتى من الزواج ببعض أنواع النسوة ؛ومنهن العاهرات المقدسات ، وجاء فى ذلـــك كما ذكر لانجدون .

" لا تتزوج من المحظية التى لايحصى عدد أزواجهـــــــا

أو البغى المخصصة للالـــه .

أو المكرسة لنذر ،والتى تنوعت اهاناتها .

فانك ان فعلت ذلك لن يتركك الأسى أبـدا .

واذا تشاجرتما فسوف تهزأ وتسخر منـــك .

إن الخوف من الاله والخضوع ليس من طبيعتهـا .

حقيقة ،فانها ان سيطرت على المنزل ،فتخلص منها .

انها توجه اهتمامها لتتبع خطوات الغرباء .

(أو) انها ستدخل أشخاصا آخرين الى المنزل .

انها مبعثرة والذى يتزوجها لايفلح " .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقام لامبرت بترجمة ونشر هذا النص ،ولكن مع بعـــــض التغييرات وان أدى فى النهاية نفس الغرض ، وذلك على النحو الآتى :

" لا تتزوج من العاهرة التى يقدر أزواجها بالآلاف ٠
والمرأة البغى المخصصة للالـــه ٠
والمرأة المحظية التى يعجب بها كثيرون ٠
لأنها فى مصابك لن تسندك ٠
وفى نزاعك تسخر منك ٠
ليس الاحترام أوالخضوع من خصائصهـا٠
فحتى اذا كانت تسيطر على منزلك ،فاطردها منه
حيث انها توجه اهتمامها الى مكان آخـر٠
(وبشكل آخر) انها تحطم كل بيت تدخله ،ولا يفلح مـــن يتزوجهــــا ٠

ويمكن أن يستدل كذلك من احدى الحكم الواردة في خطاب الملك الأشورى " اسرحدون "(٦٨٠ - ٦٦٩ ق٠ م) الى البابليين ما يشير الى أن أمر المرأة الآثمة يشمل زوجها معها ٠ ويمكن أن تفيد فى هذا المجال التحذير من الارتباط بها لتوريطهـــا زوجها معها ٠ ولقد وردت هذه الحكمة على النحو الآتــى :

" فى المحكمة يشمل أمر المرأة الآثمة زوجهـا "

ولما كانت المرأة المبذرة سببا فى تعاسة الأسـرة فاننا نجد العديد من الحكم التى توضح النتائج الوخيمة المترتبة على الزواج من المرأة المبذرة ،ومن ثم فانها تعتبر تحذيرا من مغبة الزواج منها ،ومما جاء فى النصائح السومرية معبرا عن ذلك :

" بزواجى من امرأة مبذرة وبانجابى ابنا مسرفا ، يصبح الحزن زخيرتى " .

" ان فجيعة الرجل فوق تبذير أسرته " .

ومنها أيضا :

" ان المرأة المبذرة فى بيتها تبتلى بجميع أمراض الشياطين " .

ويلاحظ ان شوركيلد جاكوبسن قد ترجم هذه الحكمة على النحو الآتى :

" الزوجة غير المناسبة تعيش فى المنزل أسوأ من جميع الشياطين " .

وربما كان المقصود بالزوجة غير الملائمة هنا ،الزوجة المبذرة .

وعبرت الأمثال الأشورية عن المرأة المبذرة ،ونتائج تبذيرها السيئة على البيت الذى توجد فيه ،بنفس الصورة

التى صورتها بها الأمثال السومرية ،ومما جاء فى ذلك .

" إن المرأة المبذرة فى المنزل أسوأ من جميع الشياطين "

وأخيرا فقد حذر الحكيم العراقى من مغبة الزواج من الخادمة ،لانها لن تستطيع المحافظة على بيت الزوجية،كما أنها تودى الى انهيار البيت الذى تصبح فيه هى المسيطرة. ومما جاء فى ذلك :

" لا تعامل الخادمة فى منزلك بحفاوة

فانها لن تستطيع السيطرة على فراشك مثل الزوجة

.... لا تسلم نفسك للخادمات .

فانها ان ذهبت الى .....

فانك لن تستطيع النزول اليها.

دع هذا يقول لك بين أهلك :

ان البيت الذى تحكمه خادمة ،ستؤدى الى تمزيقه "

ولقد جاء فى قصيدة بابلية اشتهرت بين الباحثين بعنوان " حوار بين سيد وعبده" ، وهى من أدب السخرية والتشكيك والتشاؤم ، بعض النصائح الهدف منها التحذير من المرأة ، ووصفت المرأة فى هذه النصائح بأنها بئر أو حفرة ،وأنها خنجر يقطع عنق الرجل .

ومما جاء فى هذه القصيدة ويتصل بهذه النصائح ، هذا الجزء من الحوار بين السيد وعبده :

السيد : أريد أن أحب امرأة •

العبد : أحب ياسيدى ،أحب •

ان من أحب امرأة نسي الألم والتعب •

السيد : لا ياعبد ،لن أحب •

العبد : لا تحب ياسيدى ،لاتحب !

فالمرأة شرك لايسهل ادراكه ،فالمرأة بئر ،خندق

فالمرأة خنجر من حديد مسنون •

يقطع الشاب به عنقه !"

ويتصل بهذا الامر كذلك ،ما جاء فى احدى الحكم السومرية التى تشير الى أنه ليس من الحكمة فى شيء مناقشة المشاريع المتصلة بمستقبل الانسان والتى يترتب عليها تحديد مصيره مع امرأة •

" اذا ذكرت مصيري لصديقتى ،فان التوبيخ يتكوم فوقى "

وفيما يتصل بالسن المحددة للزواج ،فيتضح من الحكم والأمثال السومرية أن الزواج كان يتم فى سن مبكرة ، ولذلك فهناك بعض الحكم التى تنقد المغالاة فى تزويج

الاطفال وهم فى سن صغيرة ،كما أن هناك حكما أخرى تنصح الازواج الذين تزوجوا من فتيات صغيرات بالصبر عليهن والتريث معهن حتى ينضجن جنسيا .

ومن الحكم التى تنقد الزواج المبكر :

" لن أتزوج من زوجة يبلغ عمرها ثلاث سنوات فقط كما تفعل الحمير ! "

ويلاحظ ان المقارنة قد أجريت هنا مع بعض الحيوانات التى تبلغ نضجها الجنسى فى سن مبكرة مثل الحمير.

أما عن الحكم التى تنصح الأزواج بالتريث مع زوجاتهم الصغيرات ،فمنها :

" الخبز الذى لايحتاج الى وقت للنضج ، مثل العروس الصغيرة التى لا تعانق زوجها ، لا يستمر ذلك فترة طويلة ".

فمثلما يحتاج الخبز الى قليل من الوقت لينضج ،فان العروس الصغيرة تحتاج الى وقت لتصل الى مرحلة النضج الجنسى ، فانه أمر لايسبب انزعاج ،فانها بمرور الوقت سوف تنتبه اليه .

ثم أردف الحكيم السومرى هذه الحكمة بحكمة أخرى مكملة لها ،جاء فيها :

" لا تقل لها : كل ما هو ردئ هو نتيجة عملك ! "

حيث أنه بمرور الزمن تستطيع الزوجة الصغيرة تحسين أعمالها ،والا فانها لن تجد لديها الشجاعة لتستمر فـــي اتجاهها لتحسين نفسها •

ومن الأشياء الأخرى التي رأى الحكيم السومري أنهـــا طبيعية الحدوث من الفتاة الصغيرة ولكنها لاتستمر طويـــلا، هو أن تخرج ريحا وهي بين أحضان زوجها •

" انه الشي الذي لا توجد له سابقة من قبل :
أن لا تخرج الفتاة الصغيرة ريحا في أحضان زوجها "

ثم اتبع ذلك بحكمة أخرى أوضح فيها أن ذلك الأمـــــر لا يستمر فترة طويلة ،ومن ثم فانه لايستدعي القلق •

" انه الشي القصير الأجـــــل "

وعبرت احدى الحكم السومرية عن أهمية المرأة فيحياة الرجل ،ودورها الكبير والفعال في تحديد مستقبله فـــــي عبارة قصيرة بليغة جاء فيها :

" المرأة مستقبل الرجل "

وعلى ذلك فلا نعجب أن رأينا بعض الحكم والأمثـــــال السومرية وقد بالغت في تدليل المرأة وبلغت في ذلك شـــأوا بعيدا ، فقد جاء في احداها :

" يكوم زوجى الحبوب من أجلى .

ويوزعها ابنى من أجلى ،

هل يمكن أن يزيل زوجى العزيز العظام من السمك من أجلى .

وجاء فى مثل سومرى آخر :

" ان الدقيق الفاخر يخصص للنساء والقصر ؟ " .

ويذكر أيدموند جوردون ، أنه اذا كانت قراءة هذا المثل وترجمته صحيحة ، فانها تفيد أن الدقيق الفاخر كان شهيا . بدرجة تكفي لتقديمه للسيدات والأميرات وهى تقدم لنا مثالا آخر لمدى تدليل المرأة فى هذا العصر .

كما ورد فى مثال آخر أنه كانت هناك من الاعمال مالاتقوم به الزوجة ، مثل جمع الأخشاب ، ويبدو أن ذلك كان قاصرا على الخدم :

" لا تذهب الزوجة الجميلة لتجمع الأغصان الجافة "

وعلى النقيض من ذلك ، فهناك أمثلة تشير الى حالة الأسر غير السعيدة ، ووصلنا فى هذا النوع مثال ، الا أنه مدمر الى حد كبير ، ومع ذلك ، فانه يمكن معرفة مايرمى اليه مما تبقى منه ، ولقد جاء فيه :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

" انها الأسرة التى لاتتحدث فيها المرأة حيث .....
لاتوجد كلمة سارة على الاطلاق حيث .....؟ "

ومنها كذلك مايشير الى أنه فى بعض الحالات يدخل العريس و العروس الحياة الزوجية وهما فى مزاجين يختلف أحدهما عن الآخر ،كما يؤخذ من المثل الذى جاء فيه .

" القلب الفرح - العروس "
" القلب المغتم - العريس "

ويستدل من الحكم والامثال السومرية على أن تعدد الزوجات كان موجودا و مسموحا به ،ومن الامثلة التى تشير الى ذلك :-

" يستطيع الانسان الزواج من عدة نساء ،
ولكن الالهة فقط هى التى تبارك الزيجات بالذرية "

وأشار مثل سومرى آخر الى أنه طالما كان الزواج مصدرا للسعادة فى بعض الحالات ،فانه فى حالات أخرى يكون سببا فى الطلاق :

" لسعادته تزوج
و لتفكيره فى ذلك - طلق "

وتوجد زخيرة كبيرة من الأمثال و الحكم والنصائح التى تجرم جريمة الزنا ،وتحذر من النتائج الوخيمة المترتبة على من يقدم على اقتراف هذه الجريمة ،وتوضح بعض هذه الامثال و الحكم أن الزانية لاينكحها الا زان مثلها،ومنها ماينفر من اقتراف هذه الجريمة ويدعو الى البعد عنها وعما تأتى به ٠

و من هذه الأمثال و الحكم :

" اذا كان طعامه ملوثا بالجنس ،فان المرء يجب أن لايعمر به "

ويبدو أن ذلك يتصل بالتحذير من أولئك الذين يتكسبون من وراء الدعارة ،وأنه يجب على الانسان أن لايستمر فى هذا الطريق

ومن الحكم السومرية التى توضح أن الزانى لاينكح الا زانية :

" لايقوم القضيب الخائن بتدمير للفرج الخائن أبدا "

ويمكن ترجمة هذه الحكمة بشكل أدبى على النحو الآتى:

" القضيب الخائن يوضع فى الفرج الخائن "

وجاء في احدى الحكم كذلك :

ان قضيب الزوج الخائن ليس أفضل من فرج الزوجة الخائنة ".

وورد في احدى اللوحات التي ترجع الى العصر الكاسي ونقلت الى آشور في أواسط العصر الآشوري ما يوضح أن جريمة الرجل الذي يكون على علاقة بزوجة رجل آخر تكون كبيرة ،و آن أثمة يكون فاحشا :

" ان الذي يكون على علاقة مع زوجة رجل آخر، يكون اثمة فاحشا " .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢ ـ الأطفـــــــــــال

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

توضح الحكم والامثال العراقية القديمة ،رغبة الانسان العراقى القديم فى الانجاب ،وسعادته ، البالغة بذلك،وتقديره الخاص للمرأة المنجبة التى تلد الكثير من الاطفال . وهناك من الحكم و الأمثال كذلك مايصف حال المرأة حين الولادة ، وتربية الأطفال و تنشئتهم ،والعلاقة مابين الوالدين وأبنائهم ،ومابين الأبناء وبعضهم البعض .

ومن الحكم والامثال التى توضح الرغبة فى الانجاب :

" تزوج امرأتك طبقا لاختيارك
وانجب طفلا حسب رغبات قلبك "

ولقد سبق مناقشة الجزء الاول من هذه الحكمة فيما يتصل باختيار الزوجة ،أما الجزء الثانى منها ،فهو يرتبط بالجزء الاول على أساس أن النتيجة الطبيعية للزواج ،بل الهدف الاول منه هو انجاب الأطفال ،وهو هنا يتمنى له انجاب طفل حسبما تشتهيه نفسه ،وأن يكون هذا الطفل متفقا مع مايتمناه ويريده .

وورد فى حكمه سومرية آخرى التمنى والدعاء بأن تهب الالهة اناننا الانسان أطفالا أقوياء ،ومما جاء فى هذه الأمنيات :

" هل يمكن أن تجعل الالهة اناننا الزوجة ذات
السيقان الدائمة أن تضطجع لك ،هل يمكن أن
تمنحك أبناء أقوياء ،هل يمكن أن تبحث لك
عن مكان للسعادة ".

وجاء فى الحكم السومرية التى تتصل بالامنيات كذلك ، حكمه أخرى ،تدعو لصاحبها بأن يرزق بتوأم من الأطفال وأهمية هذه الحكمة تتصل فيما جاء بها من التمنى بأن يؤسس البيت بتوأم من الأطفال ،وهذا ايضاح و تركيز على أهمية الأطفال فى تشبيت دعائم الأسرة .

" ليتك تكون أسرة قائمة على توأم من الأبناء "

وجاء فى حكمه سومرية أخرى أن الزواج من عدة نساء هو أمر فى يد الانسان يستطيع التحكم فيه والسيطرة عليه ،ولكن انجاب الأطفال هو أمر ليس للانسان يد فيه ولكن الالهة هى التى تتحكم فى وهب الذرية لمن تشاء.

" الزواج من عدة زوجات هو أمر فى يد الانسان
انجاب العديد من الاطفال هو أمر فى يد الالهة "

ولقد سبق مناقشة الجزء الأول من هذه الحكمة فى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجزء الخاص بتعدد الزوجات ،والذى يهمنا فى هذا المجال هو الجزء الثانى الخاص بانجاب الاطفال وأنه منحه من الآلهه .

ويتصل بالاعتقاد بأن الآلهة هى التى تمنح الذرية نصيحة وردت فى النصائح التى اصطلح الباحثون على تسميتها ب " نصائح المتشائم "
ولايمكن وضع تاريخ محقق لها ، الا أنه يمكن القول أنها ليست مبكرة عن الاسرة البابلية الاولى ،كما أنها ليست متأخرة عن عهد آشور بانيبال لان هذه اللوحة قد عثرعليها فى مكتبته ،ومما جاء فى هذه النصائح .

" انحنى لإلهة مدينتك التى سوف تهبك الذرية "

وواضح من هذه النصيحة أنها تنصح المرء بأن يخضع ويقدم الولاء لالهة مدينته ،لانه سيحصل على نتيجة خضوعه وولائه على مايتمناه ويرغب فيه وهو أن تمنحه الهته الأبناء .

كما عثر على نص أكدى جورى مزدوج اللغة فى رأس الشمرة يؤرخ بالقرن الرابع عشر قبل الميلاد ،وهو عبارة

عن نصائح متعددة من بين ماجاء فيها نصيحة للمرء أن يحترم قسمه ،وأن لا يقسم زورا ،حيث أن من يقسم زورا يلقى بـــه في النهر ،وأكثر من ذلك أن زوجته لاتنجب نهائيا :

" احترم قسمك و احفظ نفسك ،
ان الذى يقسم زورا فى محنة النهر .. ميراثه ،
ولاتنجب زوجته أبـــدا ".

وواضح من هذه الوصايا أنها تحذر المرء من اليمين الزور ،وترهبه من مغبة ذلك ،وهي أن يلقى به في النهر وأن لايتمتع بالذرية نهائيا.

و على ذلك فلا غرو ،أن نجد بعض الحكم السومرية وقد اعتبرت أن وفاة الاطفال كارثة كبيرة تحل بالمنزل ونذير شؤم وتعاسة ،ومن هذه الامثال الى صيغت فى أسلوب استفهامـــى .

" من الذى يأتى بك الى منزل نزعت ذريته ".

اد يبدو أن هذه كلمات رجل تدمر بيته بدرجة كبيرة لوفاة أطفاله لزائر جاءه بعد هذه المأساة مباشرة.

ورغم هذه الحكم والامثال التى توضح وتبرز رغبـــة

الانسان العراقى القديم فى الانجاب ،ورغم اعتبار المرأة المنجبة ـ وبخاصة التى تلد سبعة أبناء ـ نموذج الامالمثالية فى العراق القديم التى تستحق أكبر قدر من الحب والرعاية فاننا نجد بعض الأمثال التى يستدل منها على أنه من الامهات المنجبات لعدد كبير من الابناء ماكن يعانين من الحاجة والفقر والضعف و الاستكانة • ومن هذه الإمثال :

" الأم التى تلد سبعة صبية تتمد فى فقر "

ومنها كذلك :

" الام ذات الثمانية صبية هى تلك التى مازالت قادرة على حمل المزيد من الاطفال ، انها تمارس الجنس باستكانة "

وهناك بعض الحكم والأمثال التى تعبر عن الآلام الشديدة التى تعانيها المرأة اثناء الولادة ،ويبين بعضها بقدر مايكون الحمل شيئا سعيدا تكون الولادة أمرا عسيرا،وممن هذه الحكم والأمثال :

" تحمل المرأة يكون ذلك أمرا سارا
أما فى حالة الولادة فهو أمر يثير الضيق "

ومنها كذلك مايذكر أن آلام المرأة فى حالة الولادة لايعادلها اية آلام أخرى ،وان المرأة المريضة فى حال

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تكون حالتها بالغة السوء :

" الشخص المريض يكون (نسبيا) بخير ،
انها المرأة فى حالة الولادة هى التى تكون مريضة
حقا ،والمرأة المريضة تكون فى حالة الولادة أسوأهم
جميعا " .

وتوجد بعض الحكم البابلية التى تذكر أن الحمل هو النتيجة الطبيعية للاتصال الجنسى ،كما أن الحمل يؤدى الى ادرار اللبن للرضاعة ،وقد صيغت هذه الحكم فى أسلوب استفهامى توضح العلة والمعلول ،ومما جاء فيها .

" هل يمكن لسيدة أن تحمل بدون جماع "

و منها كذلك :

" يؤدى الجماع الى ادرار اللبن للرضاعة "

و فيما يتصل بتربية الاطفال ،فهناك العديد من الحكم والامثال التى تتصل باعدادهم للحياة ،فلقد كانت الطبقات الفقيرة توجه أطفالها الى العمل فى سن مبكرة للمساعدة فى كسب ما يسد رمق الحياة ومتطلباتها . أما أبناء الطبقات الاخرى فكانت وسائل الحياة ميسرة لهم . وكان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أبناء الدعارة يتبنون فان أراد أحدهم معرفة نسبة أو العودة لابيه أو أمه قلعت عيناه .

و من الامثلة التى توضح الاهمية الاقتصادية للاطفال فى الأسر الفقيرة ماورد احدى الحكم السومرية. وجاء فيه :

" لايضرب الرجل الفقير ابنه مرة ،انه يحتفظ به للأبد " أو " أنه يعامله ككنز "

ومعنى ذلك أن الأبناء كانوا يقومون بدور كبير فى الحياة الاقتصادية للاسر الفقيرة لما يقومون به من أعمال تدر دخلا عليهم ،وبالتالى فانهم كانوا يعتبرونهم ثروة بالنسبة اليهم .

ومن هذه الحكم والامثال كذلك ماورد فى احدى اللوحات البابلية و هى اللوحة رقم A. K. 4347 وجاء فيها :

" يحصل الرجل القوى على طعامه من كده ،
أما الرجل الضعيف فانه يحصل على طعامه من عمل أطفاله "

و فى المقابل فاننا نجد أمثلة أخرى يتضح منها أن أبناء الاغنياء كانت تلبى لهم جميع متطلباتهم ،ومن هذه الامثلة :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

" انك تأكل كثيرا! هل ينقصك شيء
انك ابن .. اننى أعطيك دائما كل شيء "

و فيما يتصل بتعليم الابناء ،فقد كان معظم التلاميذ الذين يتعلمون من الاسر الغنية ، اذ لم تكن الاسر الفقيرة بقادرة على تكاليف التعليم وكذلك المدة التى يتطلبها وكان من حق المرأة التعليم كذلك ، اذ عثر على اسم امرأة فى احدى الوثائق وصفت فيها بأنها كاتبة .

و كان الاب يشعر بخيبة أمل عندما يرى ابنه يرفض أن يتبع خطواته العملية ويصبح كاتبا ،ونراه يقوم بنصحه وحثه على منافسة زملائه و أخوته وأصدقائه ،وأن يتبع مهنته الاصلية ،وهى فن الكتابة ،على الرغم من أنها كانت من أصعب المهن .

ومن الحكم التى توضح الصفات المطلوبة فى الكاتب النموذجى :

" ان الكاتب الذى تتحرك يده طبقا لحركات الفم ،
انه يكون كاتبا فعلا " .

و من هذه الحكم كذلك مايعقد المقارنة بين يد الكاتب وحنجرة المغنى :

" ان الكاتب بدون يده (مثل) المغنى بدون حنجرته "

و حفظ لنا أدب النصيحة فى العراق القديم قطعة أدبية عبارة عن نصائح موجهه من أب لابنه صيغت فى أقوال بليغة هدفها ارشاد الابن الى الطريق الصحيح ،وحثه على الذهاب الى المدرسة ،واتخذت هذه النصائح فى بدايتها شكل حوار مابين الاب وابنه ،وفيها يحث الاب ابنه على الذهاب الى المدرسة وطاعة المعلم والانتباه اليه ، والعودة بعد المدرسة الى البيت دون ابطاء وعدم التلكؤ فى الشوارع والميادين ولكن يبدو أن الابن لم يسر فى الطريق الذى حدده وتمناه له والده ،فنجد الاب وقد تملكه الغضب ،فأخذ يعبر عما يجول فى نفسه من خواطر غاضبة مؤنبا ابنه ومذكرا اياه بأنه لم يكلفه بأى عمل من الاعمال التى يقوم بها أقرانه ويدرون بها دخلا على أسرهم ،وينهى حديثة اليه بأنه يتعذب من أجله ليلا ونهارا بينما هو يعيش فى ملذاته الخاصة ، ثم يذكره بأن أهل عشيرته سوف تتملكهم الشماتة فيه .

و مما جاء فى هده النصائح التى تبدأ بسؤال يوجهه الأب لابنه .

" الى أين أنت ذاهب "

" لن أذهب الى أى مكان "

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

" اذا لم تكن ذاهبا الى آى مكان ،فلم تكون كسولا ؟
اذهب الى المدرسة ،وقف امام معلمك واسمع دروسك
افتح حقيبة كتبك ،واكتب لوحك ،ودع العريف يكتب لك
لوحك الجديد ،وعندما تنتهى من دروسك وتقدمها للعريف
احضر الى المنزل ،ولاتتجول فى الشوارع
احضر فورا ،هل تعرف ماقلته لك ؟"
" نعم آعرف ،ويمكننى أن أقوله لك "
" تعال ،وكرره الآن لى "
" سوف أكرره لك "
" تعال اذن وأخبرنى به "

" لقد طلبت منى أن أذهب الى المدرسة ،وأسمع دروسى،
وأفتح حقيبة كتبى ،وأكتب لوحى ،بينما يكتب العريف
لوحى الجديد ،وعندما انتهى من دروسى ،أحضر اليك بعدما
أكررها للعريف ،فذاك ماطلبته منى "

" تعال الان ،كن رجلا ،لاتقف فى الميدان العام ،
و لاتتجول فى الشارع الفسيح ،وعندما تمشى فى الشارع
لاتنظر فى كل الاتجاهات .

" كن متواضعا ،واظهر الخوف أمام عريفك ،فعندما تظهر
الخوف سوف يحبك العريف "

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

" ... اذا تجولت فى الميدان العام ،هل ستحقق نجاح؟
اذا أبحث عن الاجيال الاولى ".

" اذهب الى المدرسة ، انها مفيدة لك .
ولدى،ابحث عن الاجيال الاولى ،واستعلم عنهم"

" لقد وقفت أراقب الشخص الاحمق ،
اننى لااكون انسانا حينما لا أسهر على رعاية ابنى
لقد تكلمت الى عشيرتى ،وقارنت رجالها ،
ولكننى لم أجد فيها أحدا مثلك "

" ان ماأطلبه منك يحول الاحمق الى رجل حكيم ،يمسك الحية كما لو كان يمسكها بفعل الرقى ،سوف يمنعك من تقبل العبارات الكاذبة " .

" لقد امتلا قلبى بالضجر منك ،لقد بقيت بعيدا عنك
ولم أنتبه الى خوفك وتزمرك لا لم أنتبه الى خوفك وتزمرك،

بسبب ضجيجك ،نعم بسبب ضجيجك
لقد غضبت معك ،نعم أنا غاضب منك ،
لانك لاتهتم بانسانيتك ان قلبى ينتزع منى كما لو كان ريحا شريرة . لقد وضع تزمرك نهايتى ،لقد جعلتنى أقف على هاوية الموت .

" انني طوال حياتي لم أجعلك تحمل البوص الى أجمات البوص .

ان نبات السمار الذي يحمله الشباب والصغار ،لم تحمله أبدا طوال حياتك ،

انني لم أقل لك طوال حياتي " اتبع قوافلي ".

انني لم أرسلك للعمل أبدا .

لم أجعلك تحرث حقلي

لم أرسلك للعمل أبدا لتحرث حقلي

لم أرسلك أبدا لتعمل كعامل بالاجر

لم أقل لك طوال حياتي

" اذهب واعمل وساعدني "

" ان من هم مثلك يساعدون آباءهم بالعمل .

اذا تحدثت الى عشيرتك وقدرتها حق قدرها ،لكنت مثلهم

ان كل واحد منهم يحضر عشر جور Guri من الشعير،

حتى الصغار منهم يزودون آباءهم كل واحد منهم بعشر جور،

انهم يضاعفون الشعير لاباشهم

انهم يساعدونهم بالشعيروالزيت والصوف

ولكنك انت ! انك رجل سيئ الطبع

وعندما تقارن بهم لاتصبح رجلا على الاطلاق
انك بالفعل لاتعمل مثلهم
انهم ابناء الاباء الذين جعلوا ابناءهم يعملون ،
ولكننى لم أجعلك تعمل مثلهم "
" اننى أتعذب بسببك ليلا ونهارا ،
و أنت تقضى الليل والنهار فى ملذاتك
لقد كدست الكثير من الثروات
التى زادت اتساعا وضخامة
ولكن عشيرتك تنتظر بترقب سوء حظك
وسوف تفرح بذلك لانك لم تهتم بانسانيتك "

و هناك العديد من الحكم والامثال التى تدور حول نوعيات غير صالحة من الابناء ،وتوضح هذه الحكم والامثال مدى المعاناة التى يعانيها الاباء من جراء ذلك .

ومن هذه النوعيات ، الابن المسرف ، الذى يصبح مصدر تعاسه لابيه ،ومما جاء فى ذلك :

" بزواجى من امراة مسرفة ،وبانجابى ابنا مسرفا ،
يصبح الحزن ذخيرتى "

ولقد سبق مناقشة هذه الحكمة فيما يتصل بالزوجه المسرفة ولكن الحديث هنا يتصل بالابن المسرف كذلك ،واذا حدث

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان كل من الزوجة والابن مبذرين فان فجيعة الرجل تكــــون شديدة وهذا ماتعبر عن حكمه آخرى متصلة بالحكمة السابقــة ومرتبطة بها ،ولقد جاء فيهـــا :

" ان فجيعة الرجل فوق تبذير أسرتــــه "

و أشارت الحكم الى الابناء الذين يدمرون فى ثـــورة غضبهم ممتلكات آبائهم دون اكتراث الى مغبة هذه الاعمــال الحمقاء ،وأنها تعود عليهم فى النهاية بالضرر • وممــا جاء فى هذا المجال :

" (••••) ،يدمر الأبناء فى غضبهم ممتلكات آبائهـم"
" انه كمن يضرب أنفه نكاية فى وجهـــه " •

ومن هذه النوعيات غير الصالحة من الابناء ، الابــن العاق ،ويستدل من احدى الحكم التى وصلتنا ان هذه النوعيـة من الابناء ،كانت أول من تتنصل وتبتعد عنهم أمهاتهـــم كما تغضب عليهم آلهتهم • ومما جاء فى ذلــك :

" الابن العاق ،لاتعطى له أمه مولدا ،ولايشكله الهـــه الخـاص " •

ومن ناحية آخرى ،فان هناك من الحكم والامثال مايشيــر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الى أنه ليس الترف وحده هو الذى يؤدى الى فساد الأبناء، ولكن يستوى فى ذلك الفقر والغنى ،فبين الاسر الفقيرة، يوجد الأبناء غير الصالحين ،حتى فى الاسرة الواحدة تتفاوت مدى طاعة الابناء لابائهم ،فليس جميع ابناء الاسرة الواحدة متساوين فى الاخلاق ،ومما جاء فى ذلك :

" ليس جميع أبناء منزل الرجل الفقير متساوين فى الطاعة ".

و تشير احدى الحكم الى أن الشاب صغير السن لايقبل تأديب أمه بسهولة بعكس الفتاة :

" الفتاة الثرثارة ،تستطيع أمها اسكاتها
الشاب الثرثار ،لاتستطيع امه اسكاته بشكل طيب ".

ويرتبط بذلك أيضا ما جاء باحدى الحكم السومرية التى تشير الى أن التصرفات الرعناء لاتوجد رجولة فيها:

" ان اعمال الطفولة لاتوجد رجولة فيها
أو " ان أعمالك صبيانية ،فلا يوجد فيها شىء
يتصل بالرجولة "

و كان أبناء الخطيئة يتبنون ،ولايعرفون نسبهم ،وكانوا

غير مرغوب فيهم ،ومن الامثلة التى توضح تخلى آبائهم عنهم، وعملهم على التخلص منهم :

" أبناء الخطيئة ماذا يحضرون

آباء الخطيئة ماذا عملوا ليتخلصوا منه "

وتوجد مجموعة من الامثال المرتبطة ببعضها ،والتى صيغت على لسان أحد هؤلاء اللقطاء ،وفيها يوضح الحالة التعسة لهذه الفئة فى العراق القديم ،والتى تبدأ تعاستها منذ لحظة مولدها حين تتنكر أمهاتهم لهم . ومما جاء فى هذه الامثال :

" ما الذى يحدد مصيرى

سوف أقول (رغم ذلك) كلمات مزدراه

... لقد أخبرتنى جارتى عما يقرر مصيرى

لقد أخذت (أمى) ذلك على نفسها لتكشفنى بكلمات مزدراة .

....

فى يوم نحس ولدت

عما يحدد مصيرى تحدثت

لقد أنكرت أنها أمى

لقد جاءت جارتنا الى المنزل لتساعد أمي
هل الذى جاء بى الى الحياة هو الذى دهن جسدى بالزيت
وكما يقول المثل السائر
" اننى شخص من أولئك الذين قبل أن يتحدد مصيرهم
قدر على أن أكون ضالا
اننى كما يقول المثل السائر
" اننى شخص من أولئك الذين قبل أن يتحدد مصيرهم
قدر على أن أكون رقيقا".

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣ـ العلاقات الأسرية

وفيما يتصل بالعلاقات التى كانت تربط بين أفراد الأسرة العراقية القديمة ،فلدينا العديد من الحكم و الامثال والنصائح التى يمكن أن نعرف منها طبيعة العلاقات الاسرية السائدة وحدودها .

و كانت الطاعة هى الفضيلة الكبرى ،وكانت " الحياة الفاضلة " فى العراق القديم هى " الحياة المطيعة " ويتجلى ذلك فى أوضح مايكون في الاسرة ،حيث كان المطلوب والمفروض أن يطيع ويحترم الصغير الكبير ويقدره ،وأن يحترم ويكرم الابن أباه ،ويحترم الاخ الصغير أخاه الكبير.ويتضح ذلك جليا فى قطعة أدبية تصف العصر الذهبى القادم الذى يتميز بأنه عصر الطاعة ،ومما جاء فيها:

" يوم لايتعالى أحد على الآخر
عندما يبجل الابن والده
يوم يظهر الاحترام جليا فى البلاد ،ويبجل صغير القدر الكبير يوم يحترم (؟) الاخ الصغير .. أخاه الكبير،
ويرشد الولد الاكبر الولد الاصغر ،ويتمسك الاخير بقراراته ".

ومما هو جدير بالملاحظة ان الحكم والامثال و النصائح المتصله بالأب أقل بكثير من تلك الخاصة بالام ،ومن النصائح

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التى وصلتنا وتتصل بالاب ،ماورد فى النصائح التى اصطلح على تسميتها ب " نصائح المتشائم "وفيها تسدى النصيحة للاب بأن يوجه اهتمامه لاولاده ،غير أن هذا الجزء من النص غير كامل ، الا أنه يمكن فهم ذلك مما تبقى منه ،و كذلك اعتمادا على النصائح السابقة لهذه النصائح التى بقيت فى حالة جيدة ،والتى ينصح فيها بتوجيه الاهتمام والرعاية لقطيع المواشى وللزراعة .

" وجه اهتمامك لقطيعك من المواشى ،وتذكر زراعتك
لو لدك الاول ، الابن والبنت ...
بسبب (ولدك الاول) الابن والبنت لـ..... "

ووردت حكمة أخرى على لسان أب يذكر فيها أن الذى يحافظ على أسراره هم أبناؤه سواء كانوا ذكوراً أم أناثا وجاء فيها :-

" صديقى لن يحافظ على أسرارى عدو ،بل على العكس ان الذى يحافظ عليها ابن أو بنت ، ان صديقى هو الذى يصون أسرارى " .

و من الامثال السومرية مايشير الى أهمية الابناء للاباء سواء كانوا ذكورا ام اناثا ،ومنها :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

" الابنة خلاص الرجل "

" الابن ملجأ الرجل "

و فى مقابل قلة الحكم والامثال والنصائح المتصلة بالاب ،نجد وفرة منها تخص الام ،ولاتخفى اسباب ذلك نظرا لحاجة الام الى العطف والرعاية والحنان .

و لقد حض الحكيم السومرى الابناء على أن يدخلوا السعادة فى قلوب امهاتهم فقال :

" أرض بنصيبك ،واجعل امك سعيدة "

ويرى ايدموند جوردون ،أن هذه الحكمة يمكن أن تشير الى الحض على الرضى بالنصيب الذى يخص الابن عند تقسيم التركة ،ويجب عليه كذلك أن يجعل أمه سعيدة .

ومن هذه الوصايا مايحث الابناء على طاعة أمهاتهم وسماع مايقلن ،كما يفعل المرء مع الالهه .

و اسمع كلمة أمك ،كما تسمع كلمة الهك "

وورد فى حكمه أكديه حث العروس على حسن معاملة أم زوجها ،لانها كما تعامل أم زوجها سوف تعاملها زوجه ابنها:

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

" أيتها العروس ،كما تعاملين حماتك ،سوف تعاملك زوجة ابنك " .

و فى مقابل ذلك ،فان زوجة الابن فى سومر وكان يطلق عليها " الكنة " كانت ذات شهرة سيئة ،ويبدو هذا واضحا من المثل الاتى :-

" أما الكنة فشيطان الرجل "

ويوجد نص أدبى عبارة عن رسالة موجهة من شخص يدعى " لودينجير - را " الى أمه ،وفيها يقدم بعض أوصاف أمه للشخص الذى سيقوم بتوصيل رسالة اليها حتى يتعرف عليها ونستدل من هذه الاوصاف على مدى حبه واعزازه وتقديره لها ، ومما جاء فى هذه الاوصاف :

" انها مثل الضوء الساطع فى الافق ، انها كأنثى الظبى فى الجبال "

" انها كنجم الصباح الذى يسطع حتى فى الظهيرة "

" انها كالذهب و الفضة "

" ان أمى كأمطار السماء ، المياه التى تؤدى الى نمو أفضل للبذور " .

" ان أمى كحديقة من السرور ،مليئة بالسعادة "

" ان أمى كشجرة النخيل ، المحملة بأطيب الثمار"

و مع ذلك فهناك من الحكم والامثال مايستدل منها على المعاناة التى تعانيها بعض الامهات من أبنائهالدرجة العقوق و من هذه الحكم والامثال :

" الام التى تلد سبعة أطفال تتمد فى فقر "

فرغم انجابها لهذا العدد الكبير من الابناء الا أنهم لم يدفعوا عنها غائلة الفقر والحاجة .

وفيما يتصل بالعلاقة بين الاخوة ،فقد أوصى الحكيم العراقى باحترام الاخ الاصغر لاخيه الاكبر ،وأن لايغضب أخته الكبرى :

" احترم أخاك الاكبر "

" اسمع كلمة أخيك الاكبر كما تسمع كلمة أبيك "

" لاتغضب قلب أختك الكبرى "

واعتبرت احدى لوحات الحكم البابلية ان الاخ الذى يوجه التهم الى أخيه يكون آثما ،ومما جاء فى هذه اللوحة :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

" ان الذى ينطق بالافتراءات يكون اثمة فى الغيبة والنميمة ،
هو الذى ينشر الاشاعات السيئة عن قرنائه ،
هو الذى يوجه التهم الخبيثة الى أخوته "

ومن ناحية أخرى توجد العديد من الحكم السومرية التى يستدل منها على أن العلاقات لم تكن دائما طيبة بين الاخوة وبخاصة بين الاخ وأخته ،ومن هذه الحكم مانجد فيها الام وقد وقفت بجانب الاخت ضد أخيها ،بل نجدها اكثر من ذلك تحرضها على اهانة أخيها :

" لقد جعلت أمى أختى الصغرى تهيننى ،
كيف (!؟) هل أنا ضعيف جدا لدرجة اننى لم أقابل وقاحتها ؟ ".

و من هذه الحكم مايشير الى عدم تفضيل الاخ لاخته ، وعدم تركها تحيا حياتها الخاصة كما تريد :

" أيها العذراء ،لم يعطك أخوك الافضلية
فلمن يجب أن تعطى الافضلية ؟ "
" أيها العذراء ،هل أخوك مثلى ؟ هل تركك أخوك
تعيشين حياتك الخاصة مثلما تركتك ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الا أنه يمكن النظر الى الحكم الاخيرة بعين الشك والريبة ،نظرا لانها صادرة من المحب لحبيبته ،فربما أراد الحط من شأن الاخ ليبين ميزاته هوومقدار حبه وتفانيه .

هذا وتوجد فقرة غير كاملة فى احدى لوحات الحكم البابلية ،يتضح مما تبقى منها أنها توجه نصائح تتصل باحترام الوالدين والاخوة الكبار ،ويمكن ترجمة الجزء المتبقى منها على النحو الآتى :

"احترم الاخ الاكبر ....

.... اخشاهم ....

.... ابحث عن كلمة شكر لهم

.....انهم لم يستنكفوا منك

ان القسوة معهم عمل غاشم

ان ذلك لايدخل السرور الى الاله شمش الذى سيعاقب من يقوم بذلك بالشر " .

و من الواضح من سياق هذه النصائح انها تتصل باحترام الاخ الاكبر وخشية الوالدين و العمل على ارضائهم ،أما من يقسو عليهم ،فسيكون جزاؤه شديدا ، اذ سيغضب عليه الاله شمش وسيعاقبه على ذلك بالشر .

وأخيرا فانه يجب الاشارة الى أن الرجل فى الأسرة العراقية القديمة كانت له بعض الامتيازات التى تميز بها عن المرأة ،ومنها حقه فى بعض الاوقات فى اعلان تذمره ضد الاحوال الموجودة ،أما المرأة فكان عليها ان تحتفظ بنفسها فى حالة هدوء وسلام ،والا فانها تقاسى من جراء اعلان تذمرها ،ومما جاء فى ذلك :

" يمكن ان يسمح للمتمرد بتصفية الخلاف ،
أما المرأة المتمردة ،فانها تسحب فى الطين "

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤ ــ الحياة المنزليـــــــــة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تتصل الكثير من الحكم والامثال والنصائح بالحياة اليومية المنزلية ومسئولياتها ومشاكلها سواء البسيطة او المعقدة ،ويشير ذلك الى قيام البيت بدور هام فى الحياة العراقية القديمة • وسنتناول فيما يلى الحكم والامثال والنصائح المتصلة بمظاهر الحياة المنزلية من حيث المسكن والايرادات والنفقات وضرورة العمل لكسب الرزق والطعام والشراب والملابس والادوات المنزلية و الخدم و غيرها•

وفيما يتصل بتشييد المساكن ،فتوجد العديد من الحكم التى تشير الى أهمية التعاون فى تشييد المنازل فى العراق القديم ،ومن هذه الحكم :

" يد على يد يبنى منزل الرجل "

حقد على حقد ـ يدمر منزل الرجل

ويشير ذلك الى وجود نوع من التعاون والمشاركة فى المجتمع السومرى بين أفراد المجتمع الواحد فى بناء منازلهم • وعلى ذلك فان هذه الحكمة تشيد بأهمية هذا التعاون ونتائجه • وهى توضح كذلك نقيض حال التعاون وهو الحقد فانه اذا كان بالحب تشيد البيوت ،فان الحقد كفيل بتدميرها •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن الحكم السومرية مايوضح أهمية وجود اماكن شاغرة بمنزل الاسرة ،وربما كان الهدف من وراء ذلك ،أنه حتى اذا ماكبر الاطفال وأرادوا الزواج ،فانه من الافضل ان يسكنوا بجوار الاهل .

" المبنى الخالى يجب ان يلحق بالمنزل
وأرض الدارس يجب ان نلحق بالحقل "

فمثلما يجب ان تكون المساكن المتجاورة ،فان المناطق المخصصة لدرس الحبوب يجب ان تكون مجاورة للحقل وفى ذلك توفير للوقت و الجهد.

وربما يسرف البعض فى بناء منازلهم حتى يكلفهم ذلك البناء كل مايملكون وبالتالى فانهم لايجدون ماينفقون:

" بنى مثل السيد وتجول مثل العبد "

وربما كان ذلك عبرة للآخرين الذين اقتصدوا فى بناء منازلهم اقتصادا كبيرا ،ولم يبلغوا مرحلةوسطا ،فكانت منازلهم أشبه بمنازل العبيد ،الا انه كان معهم مايكفيهم ويحفظ كرامتهم :

" بنى مثل العبد وتجول مثل السيد "

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن هذه الحكم المتصلة بالمساكن ، حكمه سومرية قد تشير الى الاصل الجبلى للسومريين :

" لقد بنى مسكنا بالقرب من الماء ،ولكنه دائم النظر ناحية الارض المرتفعة دون النظر الى قسوتها "

فرغم نزولهم الى السهول العراقية وبنائهم لمنازلهم بجوار الانهار ، الا أنهم مازالوا يرنون بأنظارهم وأفكارهم ناحية المناطق المرتفعة التى جاءوا منها ، اذ تتجه بعض الآراء الى الاعتقاد بأن للسومريين صلة بالعناصر الجبلية القاطنة فى منطقة جبال زاجروس المتاخمة للحدود الشرقية للعراق ،ويعتمد أصحاب هذا الرأى على كون الزقورات ،وهى المعابد المدرجة التى تعتبر من أهم خصائص العمارة الدينية السومرية تقترب فى شكلها وظاهرة الارتفاع فيها من الهضاب و الجبال على أساس انها تعبير انسانى مقتبس من البيئة الطبيعية التى كانت منطبعة فى أذهان اولئك السومريين الاول الذين نزلوا جنوب العراق ،والذين شكلوا عمارتهم على تلك الصورة •

وهناك من الحكم والامثال مانستدل منها عن طبيعة بناء المنازل فى العراق القديم وتطورها ومنها :

" اننى أعيش فى بيت مبنى من الطوب اللبن ،فوق
رصيف من القار ،ومع ذلك فان كتل الطين تتساقط
فوق رأسى "

ويوضح ذلك طبيعة المبانى السومرية التى كانت تشيد فوق رصيف من الاحجار والقار.

وتوجد حكمه أخرى توضح التطور الذى حدث فى البناء وهو استخدام الآجر فى البناء :

" اننى أعيش فى بيت من الزفت والآجر ،
الطمى .... يتساقط فوق رأسى "

ومن ناحية أخرى ،توجد حكمه سلبية تشير الى اولئك الذين لابيت لهم وقد شبههتم بالكلاب الضالة التى لاتجد مكانا تنام فيه :

" انك مثل الكلب لاتجد اى مكان تنام فيه "

و فيما يتصل بايرادات الاسرة ونفقاتها وضرورة العمل لكسب الرزق ،فهناك من الحكم ماأوضحت سعادة الانسان لكسب رزقه :

" ان من يكسب رزقه يقابل بالتقدير

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويصبح سعيدا فى داخله ،ومسرورا فى مظهره "

وتوجد فى مجموعة الامثال الاشورية امثلة تحض على العمل وبذل الجهد حتى يقف الاله بجانب الانسان ،ومنها :

" وعندما تعمل يصبح الهك لك ،
و عندما لاتعمل لايصبح الهك لك "

ولقد عثر على مايقابل هذا المثل من العصر الكاسى وذلك على انطباع ختم ،ومما جاء فيه :

" لقد بذلت جهدى ،والآن فسوف أترك زيادة الثروة والقطيع و الاشياء المقدسة للاله مردوخ ..."

وهناك حكم أخرى تتصل بهذا الموضوع ومنها :

" جهز نفسك ،والهك سيساعدك"

وجاء أيضا فى هذا المجال

" طالما لم يسعى المرء فانه لن يجنى شيئا ".

وهناك من الحكم التى أوضحت التدابير التى يقوم بهارب الاسرة فى مواجهة نفقات اسرته ،ومحاولة تدبير الاساسيات لها :-

" لاتتضمن ميزانيتى بندا لخبز الكعك "

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأوضحت حكمة أخرى أن قدرة الانسان على مقاومة نزوة أى شئ يراه تكون من أسباب غناه :

" انه يملك مايجعله يصبح غنيا ، انه قادر على التحكم فى عينيه "

وتوجد العديد من الحكم التى توضح الحالة الاقتصادية السيئة للفقير ،ومن هذه الحكم :

" عندما يموت الرجل الفقير (لاتحاول) اعادته للحياة فانه عندما يجد الخبز لايجد الملح ،واذا وجد الملح لم يجد الخبز .
و عندما يجد اللحم ،لايجد التوابل ،واذا وجد التوابل لا يجد اللحم ".

وفيما يتعلق بالطعام والشراب ،فتوجد العديد من الحكم والامثال النصائح المتصلة بالطعام والشراب ،ومنها مايستدل منه على الاهتمام بالطعام والشراب مثل :

" انه الثور الوحشى (فقط) الذى لن يتناول طعاما فى العالم الآخر " .

انه الغزال (فقط) الذى لن يشرب ماء فى العالم الاخر"

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويذكر ايدموند جوردون أن هذه الحكمة تقدم اجابة الشخص كثير الاهتمام بالطعام والشراب للشخص الذى يوبخه لتناوله الطعام بشراهه مثل الثور البرى ،وشربه مثل الغزال ،بأن طريق هذه الحيوانات هو الموت ".

ومنها كذلك :

" اللحم بالدهن طيب جدا ،واللحم بالشحم طيب جدا
فماذا يمكن ان نعطيه للخادمة لتأكله ".

وتوجد حكمة يرجح أنها كانت صيغة تقال حول مايجب أن يتم عمله لاعداد الطعام وجاء فيها :

" اجعلها وفيرة ـ خشية ان تكون قليلة جدا
اجعلها كافية ـ خشية ان تحتاج الى زيادة
اجعلها تصل الى درجة الغليان ـ خشية ان تصبح
باردة ".

وهناك من الامثلة ماتوجه النقد اللاذع لاولئك الذين تتركز اهتماماتهم فى الطعام والشراب دون اهتمامهم بعملهم

." الكاتب ذو الدرجة الصغيرة يوجه اكثر اهتمامه
لاطعام معدته ، انه لايوجه اهتمامه لكتابته

ويتمثل بأولئك الذين يوجهون اهتمامهم للطعام حكمة آخرى جاء فيهـا :

" (فقط) حينما يتناول الطعام ، اجعله يدلى برأية "

ومن الامثلة الدارجة المتصلة بالطعام ، والتى تشير الى اولئك الذين يتناولون الطعام دون أن يدركوا مايحويه كما تشير فى نفس الوقت الى نظرة السومريين الى الاموريين

" لقد أعدوا القمح والشعير كالحلوى
وسوف يأكلها الاموري دون أن يدرك ماتحتويه "

و توجد العديد من الحكم والامثال المتصلة بالشراب ومنها مايستدل منه على أن النبيذ العراقى كان قويا ، بحيث كان يجب على من يتناوله ان يشرب معه ماء :

" ان الذى يشرب كثيرا من النبيذ يجب ان يشرب ماء " .

وجاء فى أحد الامثال الاشورية كذلك :

دعنى أشرب النبيذ المخفف بالماء
دعنى أجلس فى أبهة "

ومن الحكم مايشير الى نوعيتها :

" اذا كانت عجينة البيرة فاسدة ،فكيف تكون البيرة جيدة المذاق ".

و قد تشير الى أن الشيء الطيب لايأتى منه الا طيبا، والشيء الفاسد لايأتى منه الا فاسدا.

وفى مقابل الشراهة فى تناول الطعام والشراب ،فهناك العديد من الحكم والامثال التى حذرت من الافراط فى تناول الطعام لعواقبه الوخيمة ،فمنها مايحذر من الافراط فى تناول الطعام قبل موعد النوم :

" ان الذى يأكل كثيرا جدا ،لايستطيع النوم "

ومنها مايحذر من النتائج المترتبة على الافراط فى تناول الطعام :

" تناول الطعام ،ولكنه ليس الى درجة البدانة، ومن ثم فلن تكون هناك دماء فى برازك "

و توجد حكمه أخرى تحذر كذلك من تناول الطعام بكثرة ،الا أن الحكمه غير كاملة ،ومن ثم فاننا لانستطيع معرفة نتيجة ذلك فى هذه الحكمه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

" ان الذى يأكل كثيرا جدا لايستطيع الجلوس فى (....)."

وأوضحت حكم أخرى فوائد الغذاء البسيط و أنه يؤدى الى تمتع الانسان بحياته .

الغذاء البسيط يؤدى الى حياة عظيمة

ومن ناحية أخرى فانه يلاحظ - كما يذكر جاكوبسن أن المرأة خلال فترات الحيض كانت تمنع من صنع الطعام:

" اذا كان الخبز قد أعدته امرأة غير نظيفة ،فانه لن يأكل رجل منه: "

و المقصود بعدم النظافة هنا هو الفترة التى تكون المرأة فيها فى المحيض .

و بجانب هذه الحكم والامثال التى تشير الى الافراط فى تناول الطعام والتحذير من عواقبه ،فهناك حكم وأمثال أخرى توضح معيشة الحاجة والعوز التى كان يحياها طبقة الفقراء فى العراق القديم وحاجتهم الملحة للطعام ومن هذه الحكم :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

" الرجل الفقير دائم البحث والفضول عما سيأكل "

ومنها كذلك :

" تتجه عينا الفقير حيث يأتي خبزه "

" انه لايستطيع النظر بازدراء للغنى "

" الفقير الذى يتسول الخبز ،يتنشق الازدراء "

وهناك حكم أخرى ،أوضحت اسباب الحالة السيئة للفقير ،وجاء فيها :

" لماذا يصبح الفقير أكثر مذلة ؟
منذ أن أصبحت المطحنة بجوار الفرن
منذ أن أصبح ثوبه الممزق لايمكن رتقة
ان مايفقده لايمكن البحث عنه
و على ذلك فهل يصبح الفقير اكثر مذلة
ان ماينتزع من الفم يعاد اليه "

وتوضح احدى الحكم ان الفقير مضطر لاكل القليل نظرا لضيق ذات اليد و قلة مايملكه من أموال :

" الفقير (فقط) هو الذى يأكل برفق بسبب فضته "

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وربما كان لحالة العوز التى عانت منها طبقة الفقراء فى الحصول على مايسد رمقها ، أن صيغت بعض الحكم المتصلة بصعوبة حصولهم على لقمة العيش ،ومحاولة كل منهم مداراة ما حصل عليه :

" انك لن نتحدث عن الخبز الذى وجدته
انك ستتحدث (فقط) عن الخبز الذى فقدته

ويلاحظ أن هذه الحكمة يمكن أن تعبر بشكل أوسع وأعم عن طبيعة الانسان الذى لايذكر مايملك ،ولكنه دائم الحديث عما يفقده .

ونتيجة لهذه الحالة السيئة ،فقد عمل الحكماء على الحث على الاحسان على الفقراء ،لان ذلك يدخل السعادة فى قلوب الالهة ،فقد جاء فى احدى لوحات الحكم البابلية :

" اعط الطعام للجائع والنبيذ للعطشان "

" ان ذلك يدخل السرور للاله شمش ، الذى يكافىء بالاحسان "

وهناك من الحكم مايشير الى قيمة الخبز للانسان عندما يكون بعيدا عن مصادره المتاحة ،وبخاصة اذا كان

في ميدان المقتال ،فان كسرة الخبز المصنوعة من الشعير الخشن يصير لها مذاق اللحم الممتاز :

" ان الخبز المصنوع من الشعير الخشن في ميدان المعارك يكون لحما وشحما " .

و اذا كان الخبز متاحا في ميدان المعارك فانه يؤكل بشكل مشترك ولايستأثر به أحد :

" في ميدان المعارك ،متى كان الطعام متاحا ،فانه يؤكل بشكل مشترك ".

و فيما يتعلق بالملبس ،فهناك من الحكم مايشير الى تأثير الملبس الفخم على الانسان ،ومما جاء في ذلك :

" لقد أصبح سعيدا في كل شيء و ذلك منذ أن أرتدى حلة فخمة ".

ومنها مايشير الى نوعية الملبس ،واشارته الى شخصية من يرتديه .

" يرتدى الرجل الحكيم ثوب أسد أما الرجل السفيه فيرتدى ثوبا قرمزيا فضفاضا "

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبالاضافة الى ذلك فهناك العديد من الحكم المتصلة بملبس الرجل الفقير ،والتي يستدل منها انه كان يعاني من شظف العيش ،وأنه في بعض الاحيان لم يكن يجد مايستر به عورته الا بشق الانفس ،ومما جاء في ذلك :

" كم هو وضيع الرجل الفقير
المطحنة بالنسبة له هي حافة الفرن
ان ثوبه الممزق لايمكن رتقه
ان مايفقده لايبحث عنه "

ومنها كذلك استغاثة فقير بسيدة ترتدي اثوابا واسعة بأن تعطيه قطعة منها ليستر بها عورته :

" انك سيدة ترتدين القطع الواسعة من الثياب
دعيني أقطع قطعة منها لاستر بها عورتي "

وهناك مثل آخر يوضح خيبة أمل الشحاذ فيما قدم له من ملبس وشعير ،فقد كان الثوب ممزقا ،والشعير مختلطا بالطين .

" القطع الممزقة من ثوب قديم قذر ،والشعير المأخوذ من الطين ، أي شيء طيب فيهما بالنسبة لي ".

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى نهاية الحديث عن الحياة المنزلية نشير الى الامثال والحكم والنصائح المتصلة بالخدم ومعاملتهم وطعامهم والتحذير منهم . فلقد ورد فى احدى لوحات النصائح البابلية فقرة تحض على حسن معاملة الخدم ،ولكن لسوء الحظ فان هذه الفقرة مهشمة الى حد بعيد ،ولكن يستدل مما تبقى منها على الدعوة لحسن معاملتهم لطاعتهم ذلك انهم فى وقت الشدة لم يطالبوا بحقوقهم ،وتدعو كذلك الى تحملهم رغم ما يقومون به من حماقات .

" ان الخدم فى المنزل ليسوا .....

....

فى زمن (الشدة ؟) كانوا هادئين ولم يكونوا

(مطالبين) ؟

لم يأخذوا حقوقهم ؟

وفى أفواه الناس فانهم ... وعلى ذلك فانك يجب أن

تتحملهم " .

و توجد العديد من الحكم والامثال المتصلة بتوعية الطعام الذى كان يقدم للخدم ،ويتضح منها ،أنه كانت تقدم لهم الانواع التى لايروق لاهل البيت تناولها ،ومن هذه الحكم والامثال :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

" اللحم بالدهن طيب جدا ،واللحم بالشحم طيب جـدا
فماذا يمكن ان نعطيه للخادمة لتأكلـه "

وتوضح الحكمة التالية لها مباشرة مايمكن ان يقـدم
للخـدم :

" دعها تأكل فخذ الخنزيـر المملـح (؟)"

و يمكن أن يستدل من ذلك ،أن فخذ الخنزير المملـح
وهو يتميز بكونه قليل الدهـن ـ كان يعتبر غذاء رئيسيـا
يكفى للخـدم .

و نظرا لاعتماد الخدم فى غذائهم على الغير ،فـلا
ريب حينئـذ أن نجد احدى الحكم وقد عبرت عن هذه الحالـة
على لسـان ،أحدهم بقولـه :

" لقد أصبح خبزى ـ خبزا غريبـا "

أما عن النصائح المتصلة بالتحذير من الخدم ،فلقـد
سبق الاشارة الى تلك المتصلـة بالتحذير من الـزواج
بالخادمـة والنتائج المترتبة عليـه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المراجع والمصادر

أولاً: باللغة العربية

- القرآن الكريم
- الكتاب المقدس ـ العهد القديم والعهد الجديد ـ القاهرة، ١٩٦٩ م.
- أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، الجزء الثالث، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٥٢.
- الدكتور رشيد الناضوري: المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمال أفريقيا، الكتاب الأول، بيروت، ١٩٧٧.
- الدكتور رشيد الناضوري: المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمال أفريقيا، الكتاب الثالث، المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني، بيروت، ١٩٦٩ م.
- رضا جواد الهاشمي: «القانون والأحوال الشخصية»، مجلد حضارة العراق، الجزء الثاني، بغداد، ١٩٨٥ م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- الدكتور طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، القسم الأول، تاريخ العراق القديم، الطبعة الثانية، بغداد، ١٩٥٥ م.
- الدكتور طه باقر: مقدمة في أدب العراق القديم، بغداد، ١٩٧٦ م.
- الدكتور عبد العزيز صالح. الشرق الأدنى القديم، الجزء الأول، مصر والعراق، القاهرة، ١٩٨٠ م.
- الدكتور محمد أبو المحاسن عصفور: «بين الفنون والبيئة في كل من مصر والعراق»، مجلة كلية الآداب - جامعة الإسكندرية، العدد الحادي والعشرون، الإسكندرية، ١٩٦٧ م.
- الدكتور محمد أبو المحاسن عصفور: معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، بيروت، ١٩٧٩ م.
- الدكتور محمد بيومي مهران. «مركز المرأة في الحضارة العربية [illegible] لية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن [illegible]ود الإسلامية، العدد الأول، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧ م.
- ال[illegible] [illegible]مد بيومي مهران: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، جـ١٠، إسرائيل، الكتاب الرابع، الحضارة، الإسكندرية، ١٩٧٩ م.
- الدكتور محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، جـ ٥، الحضارة المصرية، الإسكندرية، ١٩٨٤ م.
- الدكتور نجيب ميخائيل إبراهيم: مصر والشرق الأدنى القديم، جـ ٦، حضارة العراق القديمة، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٦١ م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثانياً: الكتب المترجمة إلى اللغة العربية

- سبتينوموسكاتي: الحضارات السامية القديمة، ترجمه وزاد عليه السيد يعقوب بكر، راجعه محمد القصاص، القاهرة، ١٩٦٨.
- صمويل نوح كريمر: من ألواح سومر، ترجمة طه باقر، ومراجعة وتقديم أحمد فخري، القاهرة، ١٩٥٧ م.
- صمويل نوح كريمر: الأساطير السومرية، دراسة في المنجزات الروحية والأدبية في الألف الثالث قبل الميلاد، ترجمة يوسف داود عبد القادر، بغداد، ١٩٧١ م.
- ل. ديلابورت: بلاد ما بين النهرين، الحضارتان البابلية والأشورية، ترجمة محرم كمال، ومراجعة عبد المنعم أبو بكر، القاهرة، مجموعة الألف كتاب (٣٥).
- ليفي بريل: الأخلاق وعلم العادات الأخلاقية، ترجمة محمود قاسم، ومراجعة السيد محمد بدوي، القاهرة، ١٩٥٣ م.
- ول ديورانت: قصة الحضارة، الجزء الثاني، الشرق الأدنى، ترجمة محمد بدران، القاهرة، ١٩٥٠ م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثالثاً: المصادر والمراجع الأجنبية

— **Biggs, R. D.,** "Akkadian Didactic and Wisdom Literature" in Pritchard, J. B., Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament, Princeton, University Press, 1974.

— **Civil, M.,** "The Message of LU - DINGIR - RA to his Mother and A Group of Akkado-Hittite Proverbs" in JNES, vol XXIII, (January, 1964, No 1).

— **Gardiner, A. H.,** Ancient Egyptian Onomastica, vol. I, Oxford, 1947.

— **Gordon, E. I,.** "Sumerian Animal Proverbs and Fables: Collection Five", in JCS vol. xii (1958).

— **Gordon**, **E. I.**, "Sumerian Proverbs, Glimpses of Everyday Life in Ancient Mesopotamia, The University Museum, University of Pennsylvania, Philadelphia 4, 1959.

— **Gordon**, **E. I.**, "A New Look at the Wisdom of Sumer and Akkad", in Bibliotheca Orientalis, XVII, No 3/4 Mei - Juli, 1960.

— **Jacobsen**, **T.**, in Before Philosophy, Penguin Books, 1949.

— **Jacobsen**, **T.**, in Gordon, E. I., Sumerian Proverbs, Glimpses of Everyday Life in Ancient Mesopotamia, The University Museum, University of Pennsylvania, Philadelphia, 4, 1959.

— **Kramer**, **S. N.**, The Sumerians, Their History, Culture, and Character, Chicago, 1963.

— **Lambert**, **W. G.**, Babylonian Wisdom Literature, 1960.

— **Langdon**, **S.**, "Babylonian Proverbs" in AJSL, vol xxviii, July (1912).

— **Langdon**, **S.**, "A Tablet of Babylonian Wisdon", in P.S.B.A., vol. xxxviii (1916).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

— **Langdon, S.**, Babylonian Wisdom, London, 1921

— **Pfeiffer, E. F.**, "Akkadian Proverbs and Counsels" in Pritchard, J. B , Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament, Princeton, University Press, 1974.

— **Saggs, H. W. F.**, The Greatness that was Babylon, A Sketch of the Ancient Civilization of the Tigris - Euphrates Valley, London 1962.

— **Wilson, J.**, "The Instruction of ANI" in Pritchard, J. B., Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament, Princeton, University Press, 1974.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القيم الاخلاقية والسلوكية فى العراق القديم

مقدمة

عبرت بعض نصوص أدب الحكمة والنصيحة فى العراق القديم عن القيم الأخلاقية والمثل العليا والسلوك الامثل الذى آمن الانسان العراقى القديم باتخاذه ،وحاول به تنظيم صلة الناس ببعضهم ،وتكشف هذه النصوص أن الانسان العراقى القديم كان يقدر الخير والصدق والقانون والنظام والعدالة والاخلاص ،أى كان يقدر ويعتز بجميع الفضائل والسجايا التى يرغب فيها الانسان ،وعلى ذلك ،فاننى سأعتمد – فى دراسة القيم الاخلاقية والسلوكية – اعتمادا كاملا على أدب الحكمة والنصيحة فى العراق القديم ،لما يحويه هذا النوع من الادب من تعبير دقيق وواضح للقيم الأخلاقية والسلوكية الموجودة فعلا ،والقيم المثالية التى يتمنى المرء تحقيقها ،كما انه انعكاس لروح ومعتقدات العصر الذى ظهر و شاع فيه •

ومن أهم العوامل التى أثرت فى القيم الاخلاقية والمثل السلوكية فى العراق القديم ، البيئة العراقية ، التى تتميز أحوالها بعدم الانتظام ،ووجود نوع من العنف فى بعض مظاهرها ،فنهرا دجلة والفرات وان كان قد حققا للانسان العراقى القديم قدرا كبيرا من الاستقرار المعيشى مكنه من صنع حضارته فى عصور مبكرة لاتبعد كثيرا عن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العصور التى نضجت فيها الحضارة المصرية الأولى ، الا أنهما فى الوقت ذاته قد يفيضان على غير انتظار أو انتظام فيحطمان السدود ويغرقان الارض ،وقد يفيضان فى غير أوقات الحاجة الملحة اليهما مثل مواسم الحصاد أو اوائل الصيف.

و اذا كان هذان النهران وفروعهما قد عملا على تيسير الاتصالات المائية بين أجزاء العراق القديم ، الا أن الملاحة فيهما لم تكن مأمونة دائما ،وذلك لشدة انحدارهما وسرعة جريان تياراتهما فى أجزائهما العليا ،وبطءجريانهما وكثرة مستنقعاتهما فى أجزائهما الدنيا.

وبالاضافة الى فيضانات دجلة والفرات ،فالامطار عاتية تحول الارض الى بحر من الطين يسلب الانسان حرية الحركة ،وأحاطت بهم من الغرب والجنوب صحراوات وبوادى واسعة فقيرة فى مواردها الطبيعية من المعادن والاحجار وسببت هذه الصحراوات و البوادى للانسان العراقى القديم الكثير من المتاعب والمشاكل ، الا أنها فى الوقت ذاته لم تكن شراً كلها فقد حققت له بعض النفع المتمثل فى قيام أسواق تجارية على أطرافها ،كما جاءت منها هجرات سامية كبيرة نجحت فى ضم شملهم و توسيع حدودهم كما فعل الساميون وقلدهم بعد ذلك البابليون الساميون.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واذا كانت المرتفعات الشمالية ،والشمالية الشرقية قد عوضتهم ببعض المواد الاولية وبخاصة الاحجار، الا أنها في الوقت نفسه كانت مصدر قلق كبير لاهل العراق ، اذ كثيرا ما اجتازتها هجرات رعوية كاسحة حرمتهم من الاستقرار لفترات طويلة ،وحدث ذلك على امتداد تاريخ العراق القديم مثل هجرات الجوتيين والكاسيين والحوريين والميتانيين وغيرهم . وأدت هذه الظواهر البيئية التي يغلب عليها المتاعب و المشاكل ازاء المنافع الى التحكم في الانسان ودفعته الى الشعور بضآلته تجاهها ،كما صبغت حياته ببعض الحدة والتوتر .

وكان لذلك تأثيره على الناحية النفسية والسلوكية للانسان العراقي القديم ،فصبغت البيئة بعمق اسلوب حياته وكان لها تأثير قوى وفعال في قيمة ومثله الاخلاقية وكذلك العديد من الحوافز التي دفعته الى القيام ببعض الاعمال البعيدة عن المثل الاخلاقية .

وسنقوم فيما يلي بدراسة بعض هذه الحوافز مثل الحافز الى البروز والشهرة و الى الانتصار والنجاح وكذلك بعض القيم والمثل الاخلاقية مثل عمل الخير والحض على القيم به ،والنهي عن الاعمال الشريرة ،والحض على

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التمسك بالصدق والامانة و احترام القيم ،والتمسك بالعدالة ،والتمسك بمكارم الأخلاق و فضائل السلوك و الحرص على اتقان العمل •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١) الحافز الى البروز والشهرة

لقد كان الحافز الى البروز والشهرة و الى الانتصار والنجاح من أهم النتائج المباشرة التى أثرت فيها البيئة العراقية على الناحية النفسية والسلوكية للانسان العراقى القديم وانطوى هذا الحافز على الطموح والتنافس والمغامرة كرد فعل للبيئة المتحدية له ،و كان هذا على مايبدو بعيدا كل البعد عن المثل الخلقية ، اذ انطوت ارادة التفوق فى الانتصار على منافس ما ،وكان ذلك مصدرا مهما للحوافز فى سلوك الانسان العراقى القديم •

و عبر الأدب العراقى القديم عن هذه الروح فى بعض القصائد والمحاورات التى وصفها الكتاب الأقدمون أنفسهم بـ " منازعات " أو " مجادلات " ،وهى تتصف بروح المخاصمة ،وتشير شخصيتها بصورة خاصة ، الى أنها تعكس نمطا من السلوك كان معروفا حق المعرفة •

ومن محاورات النزاع السومرية : " المناظرة مابين الصيف والشتاء " و التى تعرف بين الباحثين بعنوان " أسطورة ايمش Emesh واينتن Emten "،وهى تدور حول أهمية كل من الصيف والشتاء فى الانتاج الزراعى والحيوانى وتشييد المبانى فى العراق القديم ،و محاولة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كل منهما نسبة الفضل اليه ،واحتكامهم للاله انليل ، الذى حكم بالافضليــة لفصل الشتـاء ".

وبالاضافة الى محاورات النزاع السومرية ،فقد وجدت العديد من محاورات النزاع البابلية و منها : " المناظرة ما بين النخلة وشجرة الاثل " وهى تبدأ بمقدمة قصيرة عن الظروف التى نشأت فيها المنافسة بين الشجرتين و خلاصتها أن الملك غرس النخلة و معها شجرة الاثل فى قصره ،ولما نمت الشجرتان ،أقيمت ذات مرة وليمة فى ظل شجرة الاثل ،وحينئذ بدات المنافسة مابين الشجرتين ،فقالت النخلة لشجرة الاثل ، انك من الاشجار التى لاثمر لها ولانفع منها ،بعكس النخلة التى يستفيد منها السيد والعبد فأجابتها شجرة الاثل معيرة اياها بعدم صلاح خشبها لصنع الأثاث " تأملى فى آثاث القصر ،وعددى الاخشاب التى أخذت منى لصنعها ،فالملك يتناول طعامه على منضدتى ،وتشرب الملكة من الكأس المصنوعة من خشبى " .

وقام حافز التفوق والشهرة بدور هام وكبير فى نظرة الانسان العراقى القديم الى الحياة ، اذ غذى هذا الحافز بعض انماط الانتاج الحضارى المادى والفكرى مثل العمارة وتنظيم وسائل الرى والتعليم ،وغيرها من أساليب

الحضارة ، الا انه من ناحية أخرى ،كان له جانب سيء ،بل مدمر ، اذ حمل حب المنافسة والبروز فى طياته بذرة تدمير النفس ،وساعد على إثارة الحروب الدموية المصحوبة بالكوارث بين دويلات المدن ،وعرقل توحيد البلاد بكاملها فى أغلب فترات تاريخها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢) عمل الخير والحض على القيام بــه

لقد كان لحب التنافس والمغامرة الذى تولد لــدى الانسان العراقى القديم أثره فى محاولة الحكماء العراقيين القدامى فيما أسدوه من نصائح أن يظهروا أهمية الاستمساك بفضائل السلوك الاخلاقية من حب للخير والصدق و العدالة والقانون والنظام والصلاح والاستقامة والرحمة ،كما حرصوا على اظهار مقتهم للشر والكذب والزور ،وعصيان القانون، والاخلال بالنظام ،و الظلم ،والاضطهاد ،وارتكاب المعاصى والغيبة والنميمة ،وعدم التحرز فى الحديث ،وهو ماسنحاول تتبعه من خلال ما وصلنا من أدب الحكمه والنصائح.

ولقد كان الخير والحض على القيام به ،والنهى عن الشر والتحذير من عمله ،من الامور الهامة التى حث عليها الحكماء العراقيون القدامى فيما أسدوه من نصائح وحكم وتوجد العديد من الحكم والنصائح التى تدعوا الى عمل الخيرحتى مع الاعداء ،ومقابلة الشر بالخير ،ومما جاء فى النصائح البابلية معبرا عن ذلك :

" ولدى ، اذا قابلك عدوك بالشر ،فقابلة أنت بالخيــر " .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وجاء كذلـــــك :

" لاتسترجع العداوة لاعدائـــــك

قابل الشر بالاحســــــان "

ووردت نصائح أخرى تدعوا الى عمل الخير ،ومساعـــــدة المحتاجين ومعاملتهم باحترام ،وأوضحت هذه النصائح قيمـــة هذا العمل فى أنه وسيلة من الوسائل التى ترضى الآلهـــــة و تدخل السعادة اليهـــا :

" أعطه الطعام ليأكل ،والنبيذ ليشرب

" أعط من سألك ،ساعده وعامله باحتـــرام .

" فان ذلك يدخل السعادة لاله الانســــــان

" ومما يسعد الاله شمش ،ذلك الذى يقدم الاحســان

اعمل الاشياء الطيبة ،وكن كريما طوال أيامـــك "

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣) النهى عن القيام بالأعمال الشريرة

حضت العديد من الحكم والنصائح العراقية القديمة على النهى عن القيام بالاعمال الشريرة ،وجزاء من يقوم بها ولقد وردت العديد من الامثال و الحكم والنصائح المتصلة بهذا الامر ،ومما جاء فى الحكم السومرية معبرا عن ذلك :

" عندما يجنى الشر مكسبه ،فان هناك أوتو الذى يعيده منه ".

ويتصل بذلك أيضا أحد الامثال السومرية التى تقال فى مجال المجاملات :

" انك لاتتهاون مع الشر حيثما يوجد "

ومن النصائح البابلية التى تنهى المرء عن القيام بالاعمال الشريرة حتى يحصل على السعادة الدائمة .

" اذا لم تقم بالاعمال الشريرة ،فانك سوف تحصل على السعادة الدائمة ".

ومنها كذلك :

" لاتتعامل فى الامور بسوء ،ومن ثم فان قلبك لن يشعر بالأسى "

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن هذه النصائح مايشير الى أن الانسان اذا ما واتته القوة واستولى على أملاك غيره ،فانه سيأتى من سيتولى على املاكه ،فكأنها " صاعا بصاع " أو " واحدة بواحدة " وفى ذلك تحذير لكبت وقمع شهوة الاستيلاء على أملاك الاخرين ومما جاء فى ذلك :

" اذا ذهبت واستوليت على ثمار حقول الآخرين
فانهم سيأتون ويستولون على ثمار حقلك "

وورد فى احدى اللوحات البابلية مايشير الى أن لايوجد شر مطلق ،ومن ثم فانه يجب على الانسان أن لايتحدث الا بما هو طيب ،أما الذى يتحدث بسوء فسيعاقبه الاله شمش .

" ان الشر ليس مطلقا ،تحدث بما هو طيب
فان الذى يتعامل فى الافتراءات ،يتحدث
بما هو سئ وسوف ينتظر شمش راسه بالعقاب "

وجاء فى أحد الامثال الاشورية التى صيغت بأسلوب استفهام استنكارى النهى عن عمل ماهو شرير مع الاصدقاء اذ كيف يكون الحال حينئذ مع الاعداء ؟

" اذا فعلت الشر مع صديقك ،فماذا ستفعل مع عدوك " .

ومما يتصل كذلك بالنهى عن القيام بالاعمال الشريرة ما جاء فى أحد النصوص الخاصة بالالهة " نانشة " وهى تقوم بحساب البشر فى عيد راس السنة ،وقد جاء فى النص وصف لبعض الاعمال الشريرة التى أثارت سخط الالهة " نانشة " ،وبالتالى فانها تكون قد صيغت هنا لتكون نعظة وعبرة ،حتى لايقع المرء فى مثل هذه الاعمال الشريرة التى تثير سخط الالهه ومن هذه الاعمال :

" من سلك سبيل العدوان وامتدت يده ماليس له ..... ؟

" من تخطى حدود النظم المقررة ونقض العقود والعهود "

" من نظر نظرة رضا الى مواطن الشر....

" من بدل الوزن الكبير بالوزن الصغير .

" من بدل الكيل الكبير بالكيل الصغير

" من اكل ماليس له ولم يقل " أكلته "

" ومن شرب ماليس له ولم يقل " شربته "

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

" ومن قال لآكلن ماحرم ،
" ومن قال لاشربن ماحرم "

ومن الحكم السومرية التى يضرب بها المثل لمن يعوض نقصه بتأسده على من هو أضعف منه :

" لايستطيع الثعلب بناء منزل خاص به ،ومن ثم فانه يستولى على منزل صديقه "

و فى ذلك اشارة الى هذا العمل المقيت والى من يقومون به ،ويتضمن الحض على عدم القيام بمثله من استعراض القوة على من هم أضعف ،فهو عمل شرير ينبغى عدم الانزلاق الى هاويته .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤) الحض على التمسك بالصدق والامانة

توجد العديد من الحكم والامثال والنصائح التى تحض على الصدق والامانة واحترام القسم ،ومن الحكم السومرية التى تتصل بهذا الامر :

" اذا قلت الكذب ،ثم قلت الصدق ،فانه سيعتبر كذبا "

ومن النصائح الاكادية التى تتصل بالتمسك بالصدق ما ورد على أحد الالواح غير الكاملة (وهو يحمل رقم 80 - 7-19,) ،ومما جاء فى هذه النصيحة التى لم تكتمل :

" أمسك بالصدق فى يديك (...) " 283

وورد فى احدى مجموعات النصائح الاكادية التى تصل فى حالتها الكاملة الى مايقرب من ١٦٠ سطرا نصيحتان تتصلان بالوفاء بالوعد والامانة ،ولو أنهما لسوء الحظ غير كاملتين ، الا أنه يمكن فهم ماترمى اليهما ،ولقد جاء فيهما :

" اذا وعدت بشى ،فأعط (...)

" اذا حملت بأمانة ،فيجب عليك (..) .

وجاء فى نص أكدى حورى مردوج اللغة عثر عليه فى رأس الشمرة ،ويؤرخ بالقرن الرابع عشر قبل الميلاد نصيحه تحض على احترام القسم ،فان الحنث جرمه عظيم ،ولقد جاء فيها :

" احترم قسمك ،واحفظ نفسك "

ان الذى يقسم زورا ،فى محنه النهر...... ميراثه "

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٥) العـدالـــــة

أمـا فيمـا يتصل بـالعدالـة ،فقد عبر أدب الحكـــــــم والنصائح عن أهمية العدالة فى حياة الامم والشعوب ،وأوضحت احدى الحكم السومرية البليغة انه لايوجد شئ يرقى الـــــى مستوى العدالة ،فانها هى التى تسمح بازدهار الحيـــــاة وتطورها ،وجاء فى هذه الحكمـــة :

" ما الذى يقارن بالعدالة ؟ انها تعطى للأجيــال الحيـــــاة ".

وأوضحت حكمه سومرية أخرى ،أن الانسان العــــــادل تساعده الالهه وتقف بجانبـــه :

" ان قارب الشخص العادل يبحر مع التيار و بمساعدة الريح ،ويبحث له الاله آوتو عن المرسى الأميـــن "

واذا كان هذا جزاء الانسان العادل ،فان الشخـــــص المحتال تجازيه الالهه عن سوء عمله ،بتدمير قاربــه :

" ان قارب الشخص المحتال ،هو يبحر مع التيــــار وبمساعدة الريح ،فان (الاله آوتو) سوف يدمره علــــى الشاطـــــئ " .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتشير احدى الحكم السومرية الى المعاناة والمصاعب التى تجابه الانسان العادل من أعداء العدالة الذين يقفون له بالمرصاد محاولين هدم مايحاول بناءه :

" البيت الذى يبنيه الرجل العادل يهدمه الرجل الخائن " .

ويتصل كذلك بهذا التراث المتصل بالعدالة عند السومريين ماورد فى احدى التراتيل السومرية التى عثر عليها فى مدينة " نفر " و أمكن تجميعها من بين تسعة عشر لوحا و كسرة من لوح ،وتتصل هذه الترتيلة بمدح الالهه "نانشه " و مما جاء فيها وصف للالهه " نانشة " بأنها تهدف الى تحقيق العدالة لافقر الفقراء :

" (الالهه) نانشة التى تعنى بالارملة .
" التى تنشد العدالة (؟) لافقر الفقراء(؟) "

وتوجد العديد من الحكم والنصائح البابلية المتصلة بالعدالة والحض على اتباعها والقيام بها . ومن هذه النصائح مايدعوا الى اقامة العدل حتى مع الاعداء ،ومما جاء فى ذلك :

" يجب أن تقيم العدل مع عدوك "

ومن بين أدب النصيحة الذى وصلنا ،نص أدبى علـــى جانب كبير من الاهمية فى تاريخ نظم الحكم ، اذ أنه من نـوع النصائح الموجهة الى الحاكمين أن يلتزموا العدل بيـــن الناس ،وسجلت هذه النصائح على لوح عثر عليه فى مكتبـــة الملك آشور بانيبال (٦٦٨ – ٦٢٦ ق٠م) ولم يعثر علـــى نموذج آخر لها ٠ ويرجح Lambert اعتمادا على شكـــل الخط والاسلوب اللغوى ان تكون هذه النصائح موجهـــة الـــى أحد الملوك البابليين فى الفترة من ١٠٠٠ – ٧٠٠ ق ٠م ٠ ويبدو أن الهدف منها حماية حقوق مواطنى سيبار (أبـــو جبة) ونفر (نيبور) وبابل ،ولقد جاء فى هذه النصائح٠

" اذا لم يعبأ الملك باقامة العدل ،فستعم الفوضـى شعبه ،وتخرب بـلاده ،

" واذا لم يعمل على نشر العدل فى مملكته فـــان الاله " ايا " سيد المصائر والأقـدار ،

" سيبدل مصيره ،ولن ينفك عن مطاردتـــه

" اذا لم يهتم بنبلائه ،فان حياته ستكون قصيرة

" اذا لم ينتبه الى نصحائه ،فان بلاده ستثور ضده

" اذا أطاع الاشرار فستتبدل مصائر بـلاده

" اذا احتال على الاله " ايا " فان الآلهة العظـام

سيلاحقونـــــه

" ويحاكمونـــــــه

" اذا أدان مواطنى سيبار بغير حق ،وأعفى الأجانـــبه

فــــــان

" شمش حاكم السماء والارض ،سوف يقيم العدالة للاجانب

" فى أرضه ،حيث لايخفى الامراء والحكام العدالــــــة

" اذا أحضر اليه سكان نيبور ليحكم بينهم ،ولكنـــــه

يقر الامر الواقع ،ويحكم بظلم بينهم ،

" فان انليل سيد الاراضى سوف يحضر جيشا أجنبيـــــــا

ضـــده .

" ليذبح جيشـــه

" ويطوف الامير وقائد الجند فى الشوارع كالديكـــــة

المذبوحــــــة ،

" اذا أخذ الفضة من سكان بابل وأضافها الى خزائنـه

" او اذا سمع قضية متورط فيها رجال من بابل ولكنـه

لم يقسط فى حكمـــه

" فان مردوخ سيد السماء والارض سوف يسلط عليـــــه

أعـــداءه ،

" ويعطى أملاكه وثروته لعـــدوه

" اذا فرض الغرامات على مواطنى نفر وسيبار أوبابل

" أو أودعهم السجـن

" فان المدينة التي فرض على أهلها الغرامة ستدمـر تمامـا ،

" وسيدخله أعداءه السجن الذي سجنهم فيـه ،

" واذا فرض على أهل سيبار و نفروبابل أعمال السخرة

" فان مردوخ حكيم الالهة وسيدها ومستشارهـا

" سيسلم بلاده الى أعدائـه

" الذين يفرضون على جنوده أعمال السخـرة

" وستقرر الالهة العظام آنو وانليل وايـا

" في مجلسهم حرية هذه الشعوب من مثل هـذه الالتزامـات ،

" واذا أعطى العلف المخصص لسيبار و نفر وبابـل الى خيولـه "

" فان الخيول التي ستأكل هذا العلـف

" سوف تذهب الى عربات الاعداء ،

" ويقوم ارا Era الذي يتقدم جيشـه

" بتحطيم مقدمة الجيش ،ويذهب الى جانـب الاعداء

" واذا فك نير تثيرانهـم ،

" ووضعها في حقول أخـرى ،

" أو أعطاها للاجانب (...) فانه سوف يدمر(...)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

" من آدو

" اذا استولى على قطعان أغنامهم .

" فان آدو المشرف على القنوات في السماء والارض

" سوف يصيب حيواناتهم بالجوع ......

" واذا قام مستشار الملك أورئيس جنده ،

" باتهامهم (أى مواطنى سيبار ونفر وبابل) وأخذ رشاوى منهم ،

" فان المستشار وقائد الجند سوف يموتون بحد السيف ،

" وتصبح اماكنهم خرائب

" وتحمل الريح بقاياهم

" وتعصف الرياح والعواصف بمنجزاتهم..... "

وأوضحت بعض الحكم السومرية النتائج السيئة المترتبة على عدم وجود قانون او نظام في الدولة ،ومن هذه الحكم

" انها ليست مدينة ،فان الساهرين على الحراسة فيها الكلاب والثعالب "

وعثر على حكمه في لوحة مدرسية في أور تشير الى نفس الغرض ،جاء فيها :

" في المدينة التي لايوجد فيها كلاب ،فان الثعالب تقوم بالحراسة فيها "

ففي غياب المنوط بهم الحراسة ،تصبح البلاد فريسة سهلة لاعدائها ،بل هم الذين يقومون بتنظيم الحراسة فيها

٦) التمسك بمكارم الاخلاق وفضائل السلوك

لقد دعا الحكماء العراقيون القدامى الى التمسك بمكارم الاخلاق وفضائل السلوك ،وحاولوا فيما أسدوه من نصائح أن يبرزوا قيمتها وأهميتها ،والنتائج الوخيمة المترتبة على من ينتهكها ولايتمسك بها ،ولما كانت الثروة ومحاولة جمعها وكنزها والتكالب والتهالك عليها من أخطر الامراض وأشد الافات التى قد تصيب الانسان ،فقد حاول الحكماء فى حكمهم ونصائحهم ابراز حقيقة هامة - وان كانت تخفى على الكثيرين أو يتغافلون عنها - وهى أن الثروة ليست دائما مصدرا للسعادة ،وبالتالى فيجب عدم التكالب عليها ،و أن لايكون جمعها هدفا فى حد ذاته ،فانها قد تجلب معها القلق والخوف • ومن الحكم السومرية التى تتصل بذلك :

" من يكسب أشياء كثيرة ،يجب عليه ان يظل يحرسها دائما " :

ويتصل بذلك أيضا

" الذى يملك كثيرا من الفضة ،سيكون سعيدا

" والذى يملك كثيرا من الحبوب ،سيكون مسرورا

" ولكن الذى لايملك شيئا ،يستطيع النوم "

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن هذه الحكم مايشير الى ان الثروة شئ عابر في حياة الانسان :

" تطير الممتلكات مثل العصفور الدوري اذا لم تجد مكانا تحط عليه "

ومن الحكم السومرية السلبية في هذا المجال :

" من الصعب الحصول على الثروة ،ولكن الفقر قريب "

ومن الامثال الاشورية مايشير الى أن الثروة ليست هي الوسيلة التى تعضد الانسان ،ولكن الالهة هى التى تقوم بذلك :

" ليست الثروة التى تدعمك ،انه الهك "

ومن مكارم الاخلاق التى دعا اليها الحكماء العراقيون القدامى ،حفظ اللسان ،والنهى عن الغيبة و النميمة والحض على عدم الانسياق فى السباب • وأوضحت الحكم السومرية أن اللسان هو الذى يثير الضغينة او يولد المحبة بين الناس ،وعلى ذلك فانه يجب على المرء صون لسانه والتحرز فى كلامه وأن لايتكلم الا طيبا و فبالكلمة الطيبة يصبح جميع الناس أصدقاء ،ومما جاء معبرا عن ذلك :

" ان القلب لايولد الضغينة أبدا ،ولكن اللسان هو الذى يولدها "

وجاء أيضا :

" بالكلمة الطيبة يصبح جميع الناس أصدقاء "

وأوصت بعض الحكم والنصائح البابلية بالحرص فى الكلام والتأدب فى الحديث دونما تكبر او استعلاء ،فالحصيف من امتلك زمام لسانه ،وجعل ماتنطقه شفتاه ثمينا،ومما جاء فى هذه النصائح :

" كن حكيما ،فتعرض فهمك ومعرفتك بأدب

" اغلق فمك ،واحرس لسانك ،

" اجعل شفتيك ثمينة مثل الكنز ،

" لاتتحدث أبدا ببذاءة ،

" ولاتعطى مشورة غير موثوق فيها ،

" فكل من يعمل شيئا مذموما يستهان به "

ووردت هذه النصائح فى ألواح أخرى مع بعض التغييرات وذلك على النحو الآتى :

" تحكم فى فمك ،واحرس كلامك

" فهذه ثروة الانسان ،اجعل ماتقوله غاليا جدا ،

" دع الصلف والسباب ،وبغضهما لنفسك ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

" لاتتحدث بأى سوء ، أو أى حديث كاذب ،
" ا ن ناقل الكلام موضع الازدراء "

ولك يكتف الحكماء بذلك ، بل أرادو ان يؤكدوا أهمية الحرص فى الحديث فى نصائح أخرى ، فقالوا آنه يجب على الانسان أن لايعبر عما يجول بخاطره بصوت مسموع حتى ولو كان وحيدا وذلك تطلبا للحيطة والحذر ، فان الحديث الذى ينطق به دون روية وتفكير فى لحظة تسرع سيندم عليه بعد ذلك :

" لاتتكلم بحرية كاملة ، راقب ماتقول ،
" لاتعبر عن افكارك الداخلية حتى ولو كنت وحيدا ،
" ان ماتقوله فى لحظة ، سوف تتبعه بعد ذلك ،
" اجهد نفسك لتكبح شهوة الحديث عندك "

ومن النصائح البابلية مايحض على عدم التحدث بحديث السوء ، فان من يفعل ذلك تغمر الكآبة قلبه :

" لاتتحدث بأذى ، ومن ثم فان الكآبة لن تصل الى قلبك " .

و ينسحب ذلك أيضا على الاصدقاء فيجب على المرء أن لايتحدث مع أصدقائه بالاشياء السيئة ، وعليه أن يتجنب الحديث الغث ، وأن لايتحدث الا فيما هو طيب :

" لاتتحدث مع رفيق أو صديق (بالاشياء السيئة)،
" لاتتحدث حديثا غشا ، (تحدث) فيما هو طيب ،

ومن الامثال الاشورية مايشير الى أن المرء يحسب بحديثه ،وأنه هو الذى يحدد مكانته ومنزلته ،ومن هذه الامثال :

" جعلنى فمى أقارن بالرجال "

ومنها كذلك :

" لقد جعلنى فمى أحسب بين الرجال "

ويبدو ان المثل الاخير يتصل بالنساء.
واذا كانت جودة الحديث تجعل المرأة تعد بين الرجال ، فان المرأة التى لاتجيد الحديث تنحط منزلتها

" زوجة الرجل التى لاتجيد الحديث تكون خادمه "

و اذا كان الحكماء العراقيون القدامى قد حببوا الالتزام بفضيلة الصمت والتمسك بها ،فانهم فى الوقت ذاته قد حذروا من الغيبة والنميمة واعتبروا جرم من يقوم بها من الاثام العظيمة ،ولقد حدد نص يرجح أنه يرجع الى العصر الكاسى بعض الجرائم الكبيرة ،ومن هذه الجرائم الغيبة و النميمة ونشر الاشاعات السيئة ،وتوجيه التهم الخبيثة ومما جاء فيه :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

" ان الذى ينطق بالافتراءات ،يرتكب جريمة الاغتياب "

" هو الذى ينشر الاشاعات السيئة عن قرنائه

" هو الذى يوجه التهم الخبيثة الى أخوته .

وأوضحت حكم بابلية أخرى الاثر السيء الذى تتركه النميمة على الشحص الذى هو موضع النميمة ،وقد تصل النميمة فى تأثيرها الى موت من ينم عليه ،وفى هذا بيان لفداحة الجرم الذى يرتكبه النمام ،ومما جاء فى ذلك قولهم:

" يلدغ العقرب الانسان ،فماذا جنى من ذلك ؟

" قد يتسبب النمام فى وفاة الانسان ،فما الفائدة التى يحصل عليها ؟ "

وعلى ذلك ،فلا غرو أن نجد احدى النصائح الاكدية ، وقد وجهت نصيحة قاطعة تشبه الامر بعدم التحدث مع من يتداول الاشاعات :

" لاتتحدث مع ناقل الاشاعات "

ومن فضائل الصمت كذلك التى رغب فيها الحكماء العراقيون القدامى ،عدم الانزلاق فى السباب ،أو الانسياق فى الرد على من يقومون به ،ومن الوصايا السومرية فى هذا المجال دعوة المرء أن لايرد على أى سباب قد يوجه اليه

اذا وجد فى مكان به مشاجرة ،أو كلام غير مناسب .

" اذا كانت هناك مشاجرة او كلام معيب ،فلا ترد على مايلقى عليك من كلمات "

وذلك لان السباب يؤدى الى سباب ،والشتائم تؤدى الى شتائم أخرى :

" فى الشتائم تجد الشتائم ،وفى السباب تجد السباب "

فمن الناس من يستطيع التحكم فى نفسه مرة ،أما اذا تكررت الاهانة فان رد فعله فى هذه الحالة يكون شديدا :

" انه لايستطيع رد الاهانة بالاهانة ،أما اذا رد
" على الاهانة الثانية ،فان سوف يرد باهانات اكثر " .

فان الانسان قد يتقبل ويرضى بالحكم القضائى فى المنازعات رغم كونه فى غير صالحه ،من أن يكون هدفا لسباب خصمه :

" الحكم القانونى غير المستحسن يكون مقبولا،ولكن الشتيمة لاتقبل " .

ويوجد العديد من الوصايا البابلية التى تدعوا الانسان الى البعد عن مواطن النزاع وأن ينأى بنفسه عنها أما اذا تورط فيها ،فانه يجب عليه فى هذه الحالة أن يعمل قدر استطاعته على تهدئه النزاع لا الانسياق فيه ،لان النزاع كالحفرة المغطاة لايعرف الانسان قرارها :

" اذا قوبلت بمشاجرة أو نزاع ،فامض فى طريقك ولا تعرها أى اهتمام •

" واذا كان النزاع يتصل بك ،فاعمل على اخماد لهيبه ،فان النزاع حفرة مغطاة "

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٧) اتقان العمل

ولقد حث العديد من التعاليم العراقية القديمة على اتقان العمل ،وأن يقوم الانسان على مايتقنه منه فحسب ،كما أوضحت تعاليم أخرى أنه يجب البعد عن الاعمال التى لاطائل من ورائها ،وأنه لابد للانسان أن يعمل حتى يجنى نتيجة عمله ،وأخيرا فان على الانسان ان يسعى ،وفى هذه الحالة فان الهه سيساعده •

ومن الامثال السومرية التى تركز على أهمية قيام الانسان بالعمل الذى يجيده فقط قولهم :

" من كان عمله الزراعة،فعليه زراعة الحقل
" ومن كان عمله حصاد الشعير ،فعليه القيام بحصاده "

ومن الحكم السومرية التى تدعوا الى عدم القيام بالاعمال التى لايرجى منها ،أو عدم البحث عن عمل شئ قد تم انجازه بالفعل قولهم :

" لاتقطع راس الشئ الذى قطع راسه بالفعل "

ويتصل بذلك أيضا بعض النصائح التى وجهها شوروباك الى ابنه زيوسدرا ،ومما جاء فيها نصحه اياه بعدم عمل الاشياء التى قد تسبب له ازعاجا ،أو التى لاطائل من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وراثهـا ،ومما ورد فى ذلـك :

" لاينبغى اقتناء حمار مزعج النهيق ،ولاينبغى زراعة حقل على الطريق "

وأوضحت بعض الحكم التى ترجع الى العصر البابلى المبكر أن على الانسان أن يعمل حتى يكسب من عمله ،فان من لايعمل لن يجنى شيئا ،ولن يجد أحدا يعطيه نتيجة عدم قيامه بعمل ،ومما ورد فى ذلـك :

" طالما لم يعمل الانسان ،
" فانه لن يجنى شيئـا
" فمن الذى سيعطيه أى شىء
" مقابـل .... "

وأخيرا فان على المرء ان يجد ويسعى ويبذل جهده وحينئذ فان الهه سيقوم بمساعدته ،ومما جاء فى ذلك :

" جهز نفسك ،وسيساعدك الهـك "

وجاء كذلـك :

" انزع سيفك من غمده ،وسيساعدك الهـك "

أولا : المراجع العربية :

- رشيد الناضوري : المدخل فى التحليل الموضوعى المقارن للتاريخ الحضارى والسياسى فى جنوب غربى آسيا وشمال أفريقيا ، الكتاب الثالث ، المدخل فى التطور التاريخى للفكر الدينى ، بيروت ، ١٩٧٦ .
- طه باقر : مقدمة فى أدب العراق القديم ، بغداد ، ١٩٧٦ .
- طه باقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة ، القسم الأول ، تاريخ العراق ، بغداد ، ١٩٥٥ .
- عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، مصر والعراق ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثانياً : المراجع المترجمة إلى اللغة العربية :

- سبتينو موسكاتى : الحضارات السامية القديمة ، ترجمة وزاد عليه السيد يعقوب بكر وراجعه محمد القصاص ، القاهرة ، ١٩٦٨م .
- ل . ديلابورت : بلاد مابين النهرين ، الحضارتان البابلية والأشورية ، ترجمة محرم كمال ، ومراجعة عبد المنعم أبو بكر ، القاهرة ، مجموعة الألف كتاب (٣٥) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثالثاً : المراجع الأجنبية

- Biggs, R.D., «Akkadian Didactic and Wisdon Literature», in Pritchard, J.B., Ancient Near Eastern Texts Relatig to The Old Testament, Princeton, 1974.
- Civil, M., et Biggs, R.D., «Notes Sur des Textes Sumeriens Archaiques», in Revue D'Assyriologie et D'Archeolodie Orientale, Vol. Lx, No. I, Oxford, 1974.
- Gordon, E.T., Sumerion Proverbs, Glimpses of Evrydoy Life in Ancient Mesopotamia, The University Museum, University of Pennsyluania, ehiladelphia, 4, 1959.
- Gordon, E.T., Anew Looke at The Wisdom of Sumer and Akkad; in Bibliotheca Orientalis, XvII, No. 3/4, (Mei - Juli), 1960.
- Jacobsen, T., in Before Philosophy, Pelican Bools, 1949.
- Jacobsen, T., in Gordon, E.T., Sumerian Proverls, Glimpses og Everyday Life in Ancient Mesopotomia, Philadelphia, 1959.
- Kramer, S.N., The Sumerians, Their History, Culture, and Character, Chicago, 1963.
- Kramer, S.N., «Sumerion Myths and Epic Tales», in Pritchard, T.B., Ancient Near Eastern Texts Rexts Relatiog to the Old Testament, Princeton, 1974.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- Kramer, S.N., «Sumerion Hymns» in Pritchard, T.B., Ancient Near Eastern Texts Relating to The Old Testament, Princeton, 1974.
- Lambert, W.G., Babylonian Wisdon Literature, Oxford, 1960.
- langdon S., «Babylanion Proverbs», in The American Journal of Semitic Languages and Literatures, Vol. xxvIII (July 1912).
- Langdon, S., «A Tablet of Babylonion Wisdom», in Proceedings of The Society of Bibical Archaeolorgy, Vol. xxxvIII (1916).
- Pfriffer, E.F., «Alladian Peoverbs and Counsels», in Pritchard, J.B., Ancient Near Eastern Texts Pelating to The Old Testament, Princeton, 1974.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفكر الدينـــــى

عند دراسة الفكر الدينى المبكر فى العـــــراق القديم يتضح تداخله المباشر مع الفكر الدينى السامـى فى بلاد الرافدين مما أدى الى ضرورة الرجوع الى المصـادر السامية لتتبع بعض الجوانب الاساسية فى الفكر الدينــــى السومرى • ومن ناحية أخرى ينبغى الرجوع الى مراحـــــل عصور ماقبل التاريخ لدراسة الجذور الاولى للفكر الدينـى الانسانـــــى •

وعبر الانسان العراقى عن فكرة الدينى فى عصـــــور ماقبل التاريخ بصنع تماثيل طينية صغيرة لالهه الامومــــة وربما كان ذلك راجعا بشكل رئيسى الى تقديسهم للخصوبـــة وكل مايؤدى الى وفرة الانتاج فى الحياة ،ويلاحظ كذلـــــك وجود بقايا جثث أطفال دفنوا فى أوان فخارية ،و كانـــــت رؤوسهم متجهة نحو الشمال ،ويرى بعض الباحثين أن ظاهـــرة مقابر الاطفال بالذات تتصل بموضوع التضحيات البشريـــــة استرضاء للقوى الالهية ،وعلى رأسها الهة الامومـــة •

و تأثر الفكر الدينى فى العراق القديم بالمقومـات البيئية والبشرية الخاصة بهذه المنطقة (١) ،ومن أبرزهـــا البيئة العراقية ، التى تتميز أحوالها بعدم الانتظـــــام

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ووجود نوع من العنف فى بعض مظاهرها ،فنهرا دجلة والفرات وان كانا قد حققا للانسان العراقى القديم قدرا كبيرا من الاستقرار المعيشى مكنه من صنع حضارته فى عصور مبكره لاتبعد كثيرا عن العصور التى نضجت فيها الحضارة المصرية الاولى ،الا انهما فى الوقت ذاتهم قد يفيضان على غير انتظار أو انتظام ،فيحطمان السدود ويغرقان الارض وقد يفيضان فى غير أوقات الحاجة الملحة اليهما .

واذا كان هذان النهران وفروعهما قد عملا على تيسير الاتصالات المائية بين أجزاء العراق القديم ، الا أن الملاحة فيهما لم تكن مأمونة دائما ،وذلك لشدة انحدارهما وسرعة جريان تياراتهما فى أجزائهما العليا،وبطء جريانهما و كثرة مستنقعاتهما فى أجزائهما الدنيا.

وبالاضافة الى فيضانات دجلة والفرات ،فالامطار عاتية تحول الارض الى بحر من الطين يسلب الانسان حرية الحركة و أحاطت بهم من الغرب والجنوب صحراوات وبوادى واسعة فقيرة فى مواردها الطبيعية من المعادن والاحجار وسببت هذه الصحراوات والبوادى للانسان العـ ''

الكثير من المتاعب والمشاكل ، الا أنها فى الوقت ذاته لم تكن شرا كلها فقد حققت له بعض النفع المتمثل فى قيام أسواق تجارية على أطرافها ،كما جاءت منها هجرات سامية كبيرة نجحت فى ضم شملهم وتوسيع حدودهم كما فعل الاكديون الساميون وقلدهم بعد ذلك البابليون الساميون.

و اذا كانت المرتفعات الشمالية ،والشمالية الشرقية قد عوضتهم ببعض المواد الاولية وبخاصة الاحجار،الا انها فى الوقت نفسه كانت مصدر قلق كبير لاهل العراق ، اذكثيرا ما اجتازتها هجرات رعوية كاسحة حرمتهم من الاستقرار لفترات طويلة ،وحدث ذلك على امتداد تاريخ العراق القديم مثل هجرات الجوتيين والكاسيين والحوريين والميتانيين وغيرهم ،وأدت هذه الظواهر البيئية التى يغلب عليها المتاعب والمشاكل ازاء المنافع الى التحكم فى ارادة الانسان ودفعته الى الشعور بضآلته تجاهها ،كما صبغت حياته ببعض الحدة والتوتر ،وكان لذلك تأثيره على الناحية النفسية والدينية للانسان العراقى القديم.

ولقد نبع الفكر الدينى السومرى من مجموعة التجارب التى واجهها الانسان السومرى فى جنوب العراق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القديم ،فالانسان السومرى بدا حياته فى تلك المنطقة بانشاء القرى واقامة الحياة الزراعية والصناعية المستقرة فيها ،ولكنه سرعان ماواجه منذ البداية بيئة أرضية وجوية ومائية نهرية وبحرية متغيرة لاتنعم بالاستقرار ولاتنعم بالطمأنينة بل تتصف بالتقلب و التغير المستمر الى حد تهديد حياة ذلك الانسان السومرى بالافناء والحاق مختلف الصعاب بحياته ومصيره .

وتعرض الجانب الاقتصادى فى حياته أيضا للاضرار البالغة ،وقد أدى ذلك كله الى البحث والتعمق من جانب الانسان السومرى فى دوافع تلك الامور البيئية ووسيلة التحكم فيها و احلال المنفعة العامة والطمأنينة مكان الجوانب الشريرة الضارة بحاضر الانسان ومستقبله ،و نتج عن ذلك مزيج من الفكر الدينى الذى يبدو فيه بعض التناقض أحيانا ،على الأقل بالنسبة الى الفهم المعاصر الآن ،كذلك فان تعدد تجارب الانسان السومرى قد أدى الى عدم توافر وحدة فكرية دينية بل مجموعات من الافكار الدينية المترابطة فى بعض الاحيان و غير المتكاملة أحيانا أخرى ،وقد اتجه الانسان السومرى الى البحث عن القوى الخفية الخيرة والشريرة التى اعتقد بتحكمها فى عالمه الدنيوى والاخروى ،وبدأ فى محاولة تحديد مفهومها وتجهيز مايلزم نحو اكتساب رضاها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد اعتقد السومريون فى وجود تنظيم جماعى لكافة القوى الالهية وذلك فى جمعية عمومية الهية يسودها الحق والصدق ،ويتجه بعضها الى الظلم ،وكان السومرى يعتقد أنها – أى الالهة – كانت تأكل وتتزوج وتشرب وتنجب وتحارب و تقتل و غير ذلك من مختلف ظواهر التصرفات الانسانية البحته . والواقع أن الانسان السومرى كان يهدف من وراء ذلك تقريب الصورة الالهية من وجهة النظر الانسانية حتى يستطيع الانسان العادى الاعتقاد فيها دون صعوبة (٢)

ومن المظاهر المميزة للفكر الدينى فى العراق القديم صفة الاستمرار التاريخى ،فانه عندما بلغت طور النضج فى العصور التاريخية فى الالف الثالث ق.م . لم يطرأ عليها من حيث القديم حتى زوال البابلين السياسى فالمعبودات التى قدسها سكان العراق فى العصورالتاريخية المتأخرة هى بوجه التقريب المعبودات القديمة نفسها التى قدسوها فى الادوار القديمة ،ونفس الامر ينطبق فى الطقوس والشعائر والتراتيل الدينية الاساسية . أما التغيرات التى نجدها فهى فى علاقة الالهة بعضها ببعض وذلك فى حالة ما اذا كانت تلك العلاقة و كذلك مكانة

الالهه وأهميتها تتغير تبعا للتغيرات السياسية،فعندما تبلغ مدينة قوة سياسية وتبسط سلطانها على المدن الاخرى يعظم عند ذلك شأن الهها،فيعمد الكهنة على تحديد علاقة هذا الاله بغيره من الالهة • وكثيرا مايعمد الكهنة الى تحوير المعتقدات الدينية لتتفق مع التغييرالحاصل فى مكانة الالهة • كما أن المدن المختلفة قد تنفرد بعباده اله أوعدة الهه حيث تخصها بالتعظيم ،ولكنها لاتترك تقديس الالهة الاخرى أو على الاقل لاتنكر وجودها وهذا مايعرف " بمبدأ التفريد " أى خص اله او جملة آلهه بالتعظيم والعبادة دون ترك الالهه الاخرى •

و تجدر الاشارة قبل تناول المظاهر الفكرية المتعددة الخاصة بالناحية الدينية الى تعدد المصادر الخاصة بالفكر الدينى والتى تشمل فنون العمارة الدينية كالمعابد ،وفنون النحت ،المخصصة للاغراض الدينية كتماثيل الالهة والمشاهد الدينية المنحوته كمناظر الصلوات وتقديم القرابين والأختام الاسطوانية التى تمثل كثيرا من المشاهد الدينية وصور الالهة والاساطير المتعلقة بها •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والنوع الثانى من هذه المصادر يتضمن الكتابات الدينية وهى متنوعة ومتعددة ومنها : الاساطير والقصص وكان منها مايتصل باقامة الشعائر والطقوس الدينية ، ومنها ماكان ذا غرض دينى بحت ومن امثلة هذه النوع الاخير أسطورة الخليقة وقصة جلجامس .

ومن هذه الكتابات الدينية كذلك بعض المجاميع من الارشادات فى كيفية اقامة الشعائر الدينية المختلفة كالصلوات و كيفية بناء المعابد وتطهيرها ومايجب أن يقام من الشعائر فى حالات بعض الظواهر الطبيعية وكذلك مجموعات من الصلوات والتراتيل الدينية المخصصة الى الالهة المختلفة .

ويضاف الى هذه الكتابات الدينية التعاويذ والرقى ونصوص الفأل والتنبؤ وطرق الكهانة والعراقة والنصوص الخاصة بالتنجيم ،وكذلك النصوص المتصلة بعلاقات الالهة بعضها ببعض ،والوثائق الادارية الخاصة بالمعابد وأملاكها وموظفيها وطبقات كهنتها ،وذلك بجانب المصادر الادبية الاخرى التى تساعدنا بصورة غير مباشرة على تفهم النواحى الدينية كالشرائع والرسائل واسماء لاشخاص ولعقود وغيرها (٣)

وسنتناول فيما يلى بعض مظاهر الفكر الدينى فـــى العراق القديم وهذه المعبودات والكهنه والكاهنات وطقـــوس الجنس المقدس والمعابدوعالم مابعد الموت •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أولا : المعبـــــودات

كان للبيئة العراقية التى استعرضنا مظاهرهـــا الرئيسية ،والتى تميزت بالتقلب و عدم الاستقرار والتغير المستمر الى درجة الحاق الضرر والاذى بالانسان السومـرى وتعريض حياته الاقتصادية للخطر والاضرار ،وقد دفعـــت هذه الاحوال البيئية الانسان السومرى الى محاولة البحـث والتعمق فى دوافع تلك الاشكالات البيئية ،والوسائل التـى تمكنه من التحكم فيها ،واحلال الخير والمنفعة العامـــة والطمأنينة الاقتصادية والنفسية مكان الجوانب الضــارة والشريرة بحاضر الانسان ومستقبلـه .

ولقد اتجه الانسان السومرى الى البحث عن القـــوى الخفية الخيرة والشريرة التى اعتقد بتحكمها فى عالمــه الدينوى والاخروى ،وبدا فى محاولة تحديد مفهومهـــا واعداد مايلزم نحو اكتساب رضاها ،وقد تحقق هذا الامـــر بالفعل فى الفكر الدينى السومرى الذى تميز بمستـــواه الانسانى فى التصوير والتعبيـــر .

و نسب السومريون الى معبوداتهم فضائل وعواطـــف انسانية وأصبغوا عليهم نفس طريقة الحياة وان رفعوهـــم عن الجنس البشرى بأن منحوهم الخلود وآمنوا بهم،ولم يكن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هناك اله شرير ،بل ان الشر كانت تسببه فى العالم أرواح خبيثه ربما كانت أسمى من البشر ولكنها دون الالهة ،ولم يكن يقام لها عبادة دينية بل كان الناس يحاولون مقاومتها واتقاء شرها عن طريق ممارسة السحر.

وتمثل الالهه السومرية العوامل الجوية المختلفة، وقد أشارت الملاحم والاساطير السومرية والبابلية الى هذه المعبودات وعظمتها ، الا انه تجدر الاشارة الى أن هذه الملاحم والاساطير لم تشر الى نوعية القوة التى قامت بخلق الالهة الرئيسية بل اعتبروا وجودها من الامور الازلية التى لاتحتاج الى نقاش وأن هذه الالهة هى التى قامت بخلق الكون والانسان .

واعتقد السومريون والاكاديون أنه لم يكن هناك شىء كائن عند نشأة العالم ،وأن فى هذه اللاشىء كان يمكن تمييز عنصرين من الرطوبة مختلفين يتكونان من ذكر وانثى ،أما الذكر فهو أبسو APsou و أما الانثى فهى تيامات Tiamat وكان ابسو يمثل لديهم المياه العذبة ،وذلك على نقيض تيامات التى تمثل المياه المالحة وشكل ابسو مع زوجته تيامات المياة الاولى ، المادة الاساسية التى انبثقت عنها جميع الالهة ،وهو ماتدل عليه قصيدة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الخليقة البابلية المعروفة باسم " انوما ايليش "
وقد جاء في مطلعها (٤)

" حين لم تكن السماء العلا قد سميت بعد
ولم يكن للارض من تحتها اسم
اختلطت الامواه من ابسو الاولى أبيهم
ومن تيامات الصاخبة ام الجميع فصارت واحدا
ولم تكن الاجام والاغصان مشتبكه
ولم تكن غياض القصب مرئية
حين لم يكن هناك اله له اسم
حين لم يكن هناك قدر مرسوم
خلق الآلهه ".

وتذهب بعض الاساطير الى أن الاله " مردوخ" قد فصل جسم " تيامات " وكون من نصف منه السماء ومن نصفه الثاني الارض ثم خلق الكواكب والنجوم وخلق بالاشتراك مع ابيه الاله " ايا " الانسان من دم أحد الالهه .

وفي روايات أخرى عن الخليقة أن الانسان خلق من دم اله ومن تراب الارض والظاهر أن خلق الانسان قد جاء بعد خلق الكون والحيوانات والنبات .ثم خلقت الاشياء الاخرى

الخاصة بالعمران البشرى من زراعة وعمارة وصناعة .

وعلى ذلك فان أصل الاشياء طبقا لاسطورة الخلق البابلية قد تمت فى عمليتين متداخلتين من الخلق ،تم فى الاولى مجئ الالهة والاشياء الاساسية فى الكون ،والثانية كيفية ظهور نظام المجتمع والحضارة .

ويمكن القول اعتمادا على الاساطير السومرية : أن القوم قد اعتقدوا انه :فى البدء كان عنصر الماء أزليا والها فى نفس الوقت ،وتولد من الماء عنصر آخر هو عنصر السماء والارض متحدين و كانت الارض والسماء الهين كذلك ،وتولد من السماء والارض المتحدين عنصر غازى هو الهواء المتمدد الذى فصل بتمدده السماء عن الارض ،وجسموا الهواء الها هو الاله " انليل " وتولد من الهواء القمر، ومن القمر ولدت الشمس ،وجسموا كلا من القمر والشمس ، وعدوهما الهين ،وبعد انفصال الارض عن السماء نشأت أنواع الحياة الاخرى من نبات وحيوان وانسان على الارض . وقد تصوروا أن أصل الحياة والاشياء من اتحاد الهواء والتراب " الارض " والماء بمساعدة الشمس ،وهذه هى نظرية العناصر الاربعة .

وسنتناول فيما يلى أبرز المعبودات التى آمن بها سكان بلاد الرافدين متتبعين خصائصها وعبادتها وأهميتها ونبدا بالالهه الكونية ويأتى فى مقدمتها المعبود آنو،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(١) آنـــو

الاله آنو هو اله السماء ،ويقع ترتيبه من حيث الاهمية فى قمة الالهه السومرية الرئيسية وكذلك البابلية وقد نعت بأبى الالهه وملك الالهه ،وتمثل السماء هذا الاله كما يدل على ذلك اسمه بالسومرية " آن "
واعتقد ان مقره فى السماء فى أعلى نقطة فيها . ولقد كتب اسمه بالعلامة المسمارية التى كانت فى الاصل صورة تشبه صورة النجمه ذات الثمانية رؤوس وبواسطة هذه العلامة كتبت كلمة سماء وكلمه اله أيضا ولذلك استخدمت علامه النجمه ذات الثمانية رؤوس كعلامة دالة تسبق اسماء جميع الالهه العراقية القديمة .

ويرى بعض الباحثين ان سبب كتابة اسم الاله آنو وكلمة اله المطلقة بنجمة ذات ثمانية رؤوس ،بأن هذه الرؤوس الثمانية ماهى فى حقيقتها الا مؤشرات الى جميع جهات الكون الجغرافية وهذا يعنى أن هذه الرؤوس كانت تعبر عن الشمول وتهدف ايضا الى التأكيد على ان الاله موجود فى كل مكان من الكون .

ومما يؤكد آن هذه الرؤوس الثمانية لاعلاقة لها

بالنجمة ،بل انها تشير الى جميع جهات الكون هـو أن العلامة لم تستخدم اطلاقا للدلالة على النجمة ،ولكن شبهها للنجمة هو الذى دفع العراقيين القدامى الى أن يكتبوا كلمة نجمة بتكرار العلامة المذكورة ثلاث مرات وذلك حتى يفرقوا بين كلمة " آنو " اله وبين كلمة نجمة (٥).

واعتبرت النصوص المسمارية الاله " انو "والدا للعديد من الآلهه مثل اله الهواء انليل واله الجو أدد والهه الحب و الحياة أنانا وغيرها من الالهه وذلك بالاضافة الى أبوته للالهة السبعة الشريرة.

و نظرا لابوتة للعديد من الالهة الطيبة والشريرة فقد اعتقد العراقيون القدامى أنه هو السبب فى معظم ماكان يصيبهم من خير أو شر ،ومن أبرز أعماله السلبيه تجاه البشر ماجاء فى ملحمة جلجامش التى ذكرت أن الاله آنو هو الذى خلق ثور السماء بناء على طلب الالهة أنانا (= عشتار) وأنزله الى الارض ينشر بواسطته الرعب بين البشر ،وأن جلجامش ورفيقه آنكيدو هما اللذان انقذا البشرية من شرور هذا الثور.

ومما لاشك فيه أن السبب الذى جعل الاله آنو يبدو فى نظر سكان بلاد وادى الرافدين على أنه مصدر الخير والشر فى آن واحد يعود الى أن السماء هى التى تحتضن العوامل الجوية التى تؤثر سلبا او ايجابا على الانسان وعلى موارده الغذائية ومصدر حياته . ولقد مثل آنو شخصية السماء الطاغية ،وفى حالة ذكر السماء دون آنو فهى حينئذ مجرد " شئ " انها مسكن الاله .

ومثلت السماء مصدر ومركز كل جلال ،فحيثما وجد الانسان جلالا وسلطانا أدرك إنهما قوة السماء - أى آنو وكان الانسان يرى الجلال والسلطان فى مواضع عديدة ،ومن أهمها السلطة التى تمثل القوة التى تؤدى الى وجود الطاعة وهو العنصر الاساسى فى كل مجتمع بشرى منظم، فلولا الطاعة للعرف والقوانين ولذوى " السلطة" لتفكك المجتمع واعترته الفوضى ،وهكذا كان البابلى يرى فى الاشخاص الذين تتمثل بهم السلطة ،كالاب فى العائلة ، والحاكم فى الدولة ،شيئا من آنو وجوهر آنو . ولما كان آنو آبا الآلهه ،فهو النموذج الاول لكل الآباء ولما كان أيضا " الملك والحاكم الأقدم " فهو النموذج الاول لكل الحكام . والشارات التى ترمز الى جوهر الملك،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كالصولجان و التاج ورباط الرأس وعصا الراعى ،هى شاراته ولاتستمد الا منه ،فقد اعتقد العراقيون القدامى أن هذه الشارات قد وجدت قبل أن يظهر أى ملك بين البشر وقد كانت كلها فى السماء بين يدى آنو ،ومن هناك هبطت الى الارض ،واعتقدوا أيضا أن قوة الملك تستمد من آنو ولايسرى أمره بين الناس الا بقدرته .

ومثل آنو مصدر كل سلطة فى كلا المجتمعين البشرى والكونى ،فهو الطاقة التى تنقذ المجتمع من الفوضى وتجعل منه كلا منظم التركيب ،وهو الطاقة التى تضمن طاعة الناس التلقائية للاوامر والقوانين والعادات فى المجتمع أى النظام الدينوى .

وعبرت الاساطير العراقية القديمة عن سلطة آنو وقوته فجاء فى أحدها على لسان كبار الالهه وهم يخاطبون آنو بقولهم (٦١)

" ماتأمر به يتحقق
وماقول السيد والامير الا
ماتأمر أنت به ،وماتوافق أنت عليه
ياآنو ! كلمتك هى العلياء ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من يستطيع أن يقولا لها كلا ؟
ياأبا الالهة ، ان أمرت
فأمرك أساس السماء والارض
أى اله يستطيع لامرك ردا ؟

ويوصف المعبود آنو بصفته سيد الدنيا المطلق والقوة العليا فى الكون فى أحد الاساطير بهذه الكلمات :

" ياصاحب الصولجان ،والخاتم ،
يامن تدعو الى الملكية ،
ياسيد الالهه ،يامن كلمتك هى الغالبة
فى مجمع الاله الكبار المقرر،
يارب التاج المجيد ،يامدهشا
بقوة فتنتك ،
ياغالب الزوابع العاتية ،ومرتقى منصه الالوهية
بجلالك وأبهتك
الفاظ فمك المقدس
تصغى اليها الاجيجى ،
والانونا كى تسير امامك خائفة
و كالاقصاب فى مهب الريح
تنحنى لاوامرك الالهه .

ولقد خصصت لعبادة أونو مدن شيدت فيها معابد من أهمها مدينة نفر وأور والوركاء وقد سمى معبده في هذه المدينة باسم " اى - آنا " ويعنى ذلك بيت السماء او بيت " آنو وهو أفخم معبد فى المدينة ،وقد شيد له معبد ثان فى مدينة " دير " القريبة من مدينة بدره الآن وشيد الملوك الاشوريون لآنو معبدا فى مدينة آشور خصصوه لعبادته ولعبادة اله آخر هو " أدد "

(٢) <u>أنليل</u>

يمثل انليل الهواء ،ويأتى فى المرتبة الثانية بعد المعبود آنو اله السماء و يعنى اسمه " ان - ليل" " السيد العاصفة " سيد مابين السماء والارض بلا منازع ولقد تلقب انليل بالعديد من الألقاب ،فقد تلقب مثل آنو بأبى الالهه وقد أطلق عليه هذا اللقب فى نص من عهد " انتمينا " ايشاكو لجش و كذلك فى قصيدة " ايا " و " اتارها سيبس " ولقبته النصوص المسمارية بسيد جميع البلدان وبأبى جميع الالهه وبالجبل الكبير وبالاله الذى يقرر المصائر و الاله الذى لارجعه لقراراته و بصاحب العينيين البراقتين وبالاله الذى يمتلك بين يديه الواح القدر،وأكدت الملاحم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الخاصة بخلق الكون على آن الاله انليل هو الذى قـــــام بفصل السماء عن الارض وهو الذى خلق الفأس أداة العمـــــل وقد صار اسمه يعنى " الـرب " أو " السيد " حتى انهـــم اشتقوا من اسمه صفـة الربوبية والالوهيـة .

وقد فرض انليل شريعته على جميع سكان العالم ،وله شبكه مقدسة يحبس فيها كل من يحلف زورا او يحنث بقسمـه وكانت اقضيتـه واحكامه لامرد لها وهو الذى يعاقب الملوك على آثامهم وظلمهم ،وقد ورد ذكره في شريعة حمورابـــــى من بين الالهة المعظمة التى دعا الملك حمورابـى اسماءها لتوقع العقاب على من يبدل شريعتـــه .

وللإله انليل مواقف سلبية تجاه البشر والآلهـــه ففيما يخص البشر،فهو الذى قرر الفيضان علـــــى الارض الذى آباد كل البشر باستثناء من أنقذهم " اوتونابشتـم" فى سيفنته وذلك حسبما ورد فى قصة الطفوان ،وكان لذلـك اثره فى العقائد العراقية حيث اعتقد بأن المعبـــــودة عشتـار نظراً لموقفه هذا آرادت ان تمنعه من أن يكون لـــه نصيب فى تضحية " اوتنابشتم " فصرخت قائلة : " دعـــوا الالهة يأتون للتضحية ولكن لاتدعوا انليل يأتى لانه لـــم يمعن الفكر بل أحدث الطوفان وأنزل الهلاك بقومـــــى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد انبه " ايا " كذلك من اجل نفس العمل فقال " انـت أعقل الرجال ! أيها البطل ! لـم لم تمعن الفكـر وأحدثت الطوفـان ؟

ونظرا لانه اله العاصفة ،فانه يمثل كل ما فيهـا من عنف وبطش ،وقد أرجع الانسان البابلى الاحداث التاريخية السيئة التى لحقت ببلادهم الى هذا الاله ،فالتدميـر الذى أصاب أور من جراء هجمات العيلاميين لم يكن فـى نظرهم الا تنفيذا لحكم انليل اله العاصفة ،ولذا توصـف هجمة العدو بأنها تلك العاصفة :

دعـا انليل العاصفـة
والشعـب ينـوح
وأخذ من الارض رياحا منعشـه
والشعـب ينـوح
وأخذ رياحا طيبة من سومـر
والشعـب ينـوح
ودعا رياحا شريـره
و الشعـب ينـوح
وعهد بها الى كنجالودا Kingaluda
راعى العواصـف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ودعا العاصفة التى ستفنى الارض

والشعب ينوح

ودعا رياحا مدمرات

والشعب ينوح

واختار انليل جيبيل Gibil معاونا له

ودعا زوبعه السماء

و الشعب ينوح

الزوبعة المعمية الزاعقة عبر السموات

والشعب ينوح

والعاصفة المحطمة الادره عبر الارض

والشعب ينوح

والاعصار الظالم المنقض كالطوفان

على مراكب المدينة لالتهامها

هذه كلها حشدها عند قاعدة السماء

والشعب ينوح

وأشعل نيرانا عظيمة كانت رسول العاصفة

والشعب ينوح

وأشعل عل الميمنه والميسره من الرياح العاتية

هجير الصحراء اللاهب

وكان حريق هذه النار مثل لهيب الظهيرة

وهذه العاصفة هى السبب الحقيقى فى سقوط المدينة
والعاصفة التى أمر بها انليل فى حقده
العاصفة التى تأكل من الارض
كست أور كالثوب ،وغلفتها كالدثار
وهى سبب الدمـــــار
فى ذلك اليوم تركت العاصفة المدينة
وكانت المدينة خرابـــا
نانا ،ياأبتاه ،خلقت المدينة خرابـــا
والشعب ينـــوح
فى ذلك اليوم خلقت العاصفة المدينة
و الشعب ينـــوح
و مداخل المدينة اكتســـت
لابشظايا الخزف ،بل بالموتى من الرجال ،
وفغرت الجدران
وامتلأت البوابات والطـــرق
بركام الموتـــى
وفى الشوارع الفسيحة حيث كانت
تجتمع الجماهير فى الاعيـــاد
تبعثرت الجثث

فى الطرقات كلها والازقة كلها تبعثرت الجثث
وفى الحقول التى كانت تموج يوما بالراقصين
تراكمت الاجساد
وثقوب الارض امتلأت بدمائهما
كالمعدن المصهور فى قالب ،
وذابت الاجساد ـ كالدهن فى الشمس ،

وعل ذلك فان انليل كان يمثل القوة أو البطش وكل اراده تعارضه تسحق وتكرة على الخضوع ،كما أنه فى مجمع الالهه كان هو الذى ينفذ أحكام المجمع ويقود الالهة فى الحرب ،وحيث ان انليل يمثل البطش فقد كان لطبيعته صفة غريبة ،حيث كان يمثل ثقة الانسان وخوفه فى آن واحد انه البطش كقوة مشروعه ،سند الدولة ، الدعامة التى يرتكز عليها حتى الالهه ،فيخاطبه الانسان على هذا النحو :ـ

يامن تحيط بالسماء والارض ، ايها الاله السريع
يامعلما حكيما للشعب ،
يامن ترى اقاليم الدنيا كلها من عليائك
ايها الامير الناصح ،مسموعة كلمتك
وكل ماتقوه ـه ... تعجز الالهه عن تبديله

وألفاظ شفتيك لايوجد اله يزدري بها،
رباه ،ياحاكم الالهه في السماء ،
وناصح الالهة في الارض ،أيها الامير العادل... "(٨)

و نظرا لعنف العاصفة وآثارها المدمرة على الانسان فقد كان في الانسان خوف كامن منه وهو ماظهر في العديد من التراتيل التي وصلتنا من هذا العهد وجاء فيها:

ما الذي اختطه ؟
ما الذي في قلب أبي ؟
ما الذي في ذهن انليل المقدس ؟
ما الذي اختطه عليّ في ذهنه المقدس ؟
شبكه نشر : تلك شبكه العدو .
فخاً نصب : ذلك فخ العدو
لقد اهاج المياه ،باغيا صيد السمك
لقد رمى الشبكة ،باغيا اسقاط الطيور ."(٩)

ويبرز هذا الخوف أيضا في أوصاف أخرى لانليل ،وهو الذي قد يسمح لشعبه بالهلاك في زوابع لاترحم ، ان غضبه يكاد يكون مرضيا ،كأنه هياج في النفس يفقده الحس ويصم أذنيه عن الرجاء :

انليل ياأبتاه ،يامن عيناك تقدحان هياجا،

متى ،متى تستقران سلاما ثانيــة ؟

يامن كبوت راسك بثوب - الى اى مدى ؟

يامن أسندت راسك الى ركبتيك - الى اى مدى ؟

يامن أغلقت قلبك كصندوق من خزف -الى اى مدى؟

ياجبارا سددت باصبيعك آذنيك - الى اى مدى؟

انليل ياأبتاه ، انهم لالكون الان "(١٠)

وسجلت العديد من الترانيم الكثير من التسبيـــح والابتهال الى الاله انليل ،ومما جاء فى احدى هـــذه الترنيمـــات :

بدون انليل ، الجبل العظيم

لا المدائن شيدت ،ولاالمغـار أسست

لا الاصطبلات شيدت ،ولاحظائر الغنم أقيمت

ولا الانهار مياهها العالية جلبت الفيض

ولا البحر أعطانا مختارا كنوزه الوفيره

ولاسمك البحر وضع بيضه فى الاحـــواض

ولاطيور السماء نشرت أعشاشها على الارض الرحيبه ،

لا الغيوم المحملة بالغيث فى السماء فتحت أفواهها

ولا الحقول والمروج امتلأت بالحب الكثير،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولا الاعشاب والحشائش فى السهول نبتت
ولاأشجار " الجبل " الكبيرة فى البستان حملت ثمارها
ولا البقرة وضعت عجلها فى الاصطبل ،
ولا الغنمه ولدت حملها فى الحظيرة ،
ولاالجموع الغفيرة من بنى البشر اضطجعت آمنه ..
ولا البهيمة من ذوات الاربع ولدت صغارها
ولا رغبت فى التناسل

وفى ترنيمه أخرى يشار الى عظمه انليل وقوته وفيما يلى ماجاء فيها :-

تقارب السماء - فيكون الفيض
من السماء ينزل الفيض الى الارض
تلامس الارض- فتكون الوفرة
من الارض تصدر براعم الخصب
حكمتك هى الزرع ،كلمتك هى الحبوب
كلمتك - هى الماءالغامر ،حياة جميع البلاد

وجاء فى ترنيمة غنائية موجهة الى ننورتا الذى وان كان فى الاصل متكفلا بالريح الجنوبية العاصفة ، اله الحرب الذى يدمر البلاد المتمردة ، الا انه كان معروفا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أيضا بوصفه " فلاح انليل " ،ومما جاء فى هذه الترنيمة ويتصل بانليل :

المنى الذى يهب الحياة ، البذرة التى تهب الحياة
ملك نطق باسمه انليل
المنى الذى يهب الحياة ، البذرة التى تهب الحياة
ننورتا ، الذى نطق باسمه انليل
يامليكى ،سوف انطق باسمك مرة بعد مرة
ننورتا ، انارجلك ، رجسلك
سوف انطق باسمك مرة بعد مرة ،
يامليكى ، النعجة ولدت الحمل ،
النعجة ولدت الحمل ، النعجه ولدت الشاه الحسنة
سوف انطق باسمك مرة بعد مرة ....

مادام ملكا......،
فى النهر يتدفق الماء العذب
فى الحقل ينبت الحب الوفير،
البحر يمتلىء بالشبوط والسمك ....،
وفى الدغل ينمو القصب القديم ،والقصب الجديد
والغابات تحفل بالايائل والماعز البرى
وشجر ينبت فى القفار

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والكروم تمتلىء بالعسل والنبيذ ،
وفى البلاط تنبت " الحياة الطويلة " .

ويرتبط بانليل كاله للعاصفة التى لاتبقى ولاتذر ولايقف امامها شىء ،موقفه من زوجته ننليل ،فقد كان هو الاله الوحيد من بين الالهه الذى اغتصب زوجته . وحول هذا الاغتصاب ،هناك ملحمة ملخصها أن والده الالهة ننليل قد نصحت ابنتها بالاستحمام فى قناة تسمى " نوبيرا " وقالت لها بأن الاله انليل سوف يغازلك وعليك أن لاتمانعى وجاء فى ذلك :

فى الجدول الصافى
يا أمراة ، اغتسلى فى الجدول الصافى
ننليل ،سيرى على ضفة جدول نوبيرا
وسوف يراك صافى العينين ، السيد صافى العينين
الجبل الباذخ ، الاب أنليل ،صافى العينين
الراعى ... الذى يقرر المصائر ،صافى العينين
سوف يراك
وسرعان ماسوف يحتضنك (؟) ويقبلك

وفعلت الالهة ننليل ماأوصتها به والدتها وهى مسرورة ولكنها مع ذلك لم تستجيب لغزل الإله انليل عندما

رآها ،وفى ذلك تذكر الملحمــه :

فى الجدول الصافى تغتسل المرآة ،فى الجدول الصافى
وتمشى ننليل على ضفة جدول نوبيرا
ورآها صافى العينين ، السيد صافى العينين
" الجبل البازخ " الاب انليل ،صافى العينين
رآها الراعى .. الذى يقرر المصائر ،صافى العينين
وتحدث اليها السيد عن الجماع (؟) وهى عازفه
وتحدث اليها السيد عن الجماع (؟) وهى عازفه

وازاء هذا العزوف من ننليل يستدعى انليل وزيــره ويحدثه برغبته فى ننليل الجذابه ،ويحضر الوزيــر سفينته حيث يغتصب انليل ننليل وهم مبحرين فى الجــدول ونتيجة لهذه العلاقة الاثمة تحمل ننليل باله القمــر سيــن .

وارتاع الآلهه من هذا الفعل الاثيم ،وعلى الرغــم من ان انليل ملكهم فقد قبضوا عليه ونفوه من المدينــة الى العالم السفلى ،وتبين الفكرة المتصلة بذلك بعــض الضوء على نظام مجمع الالهه واسلوب عمله ،وقد جاء فيها:

يتحول انليل فى كيور (محراب انليل الخاص)
وعندما كان انليل يتحول فى كيور
اذا بالالهه العظام الخمسون
والالهه الذين يقررون المصائر هؤلاء السبعة
يقبضون على انليل فى الكيور (قائلين)
انليل ايها الاثم ، اخرج من المدينة

وكذلك خرج انليل وفق المصير الذى قررته الالهه متجها الى العالم السومرى السفلى ،على أن ننليل ،وقد كانت يومئذ حبلى ،ترفض البقاء من بعدة فتتبعه فى المرحلة التى فرضت عليه إلى العالم السفلى فيضايق ذلك انليل ، اذ معنى ذلك أن على ابنه سين وكان مقدرا له أصلا أن يكون قيما على أكبر جرم مضئ وهو القمر ،أن يقيم فى العالم السفلى المظلم المعتم بدلا من السماء ، وعلى ذلك فقد دبر انليل حيلة للنجاة من هذا الموقف اصبح سين بموجبها حرا فى الصعود الى السماء.

وبناء على ماسبق ،فقد اعتبر العراقيون القدامى الاله انليل ، الاله الذى لايرد له طلب ،و كانوا يرون أن القمر متولد من علاقة غير شرعية ،وتفسير هاتين الظاهرتين يعود الى مايبدوا الى مايحدثه الهواء من

عواصف وأعاصير و غير ذلك من حالاته المتعددة التى لايستطيع الانسان التحكم فيها ،ومعنى ذلك انه يفعل مايشاء ولايستطيع أحد أن يقف فى طريقه ،وفيما يخص بنظرة سكان بلاد الرافدين الى القمر ،فتعود أيضا الى أنه الجرم الوحيد فى السماء الذى يماثل تقريبا الشمس فى حجمه الظاهرى ولكنه متلون ويضىء مرة ويختفى فى المرة الثانية ليس له ثبات سواء فى شكله او ضوئه مثلما هو الحال مع ثبات شكل الشمس وضوئها تقريبا ،ولذلك شبهوا سلوكيات القمر بسلوكيات الابناء غير الشرعيين ،أما وفره ضمن المنحوتات و أحجار الحدود فهو التاج المقرن الموضوع فوق منصه ،وهو بذلك يشبه تماما رمز والده الاله آنو.

وفيما يتصل بمكان عبادته ،فقد كانت مدينة نفرهى مقر عبادة هذه الاله ،وهى تقع فى محافظة القادسية ،ولقد أوضحت النصوص المسمارية أهميه الاله انليل و أهميته مدينة نفر وذلك من خلال التقليد الذى كان يفرض على بقية الالهات ان تذهب سنويا لزيارة الاله انليل فى مقرعبادته وتطلب منه الرحمه والبركه لحكام المدن التى تعبد فيها تلك الالهه ،وكان معبده فى مدينة نفر يسمى " ايكور " ويعنى " بيت الجبل " وينسجم هذا المعنى مع اللقب " الجبل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العظيم " الذى هو آحد القابه ،ويشير أيضا الى أن لقب الجبل العظيم كان من أبرز القاب الاله انليل و الا لما سمى معبده ببيت الجبل والسبب فى نشأة هذا اللقب ربما يرجع الى قدرة الهواء على جلب العواصف الترابية الكبيرة او الغيوم الكثيفة التى تشبه الجبال العالية فى أشكالها .

(٣) انكى :

تأتى مرتبته بين الالهه العراقية القديمة بعد الاله انليل ،وأطلق عليه الساميون " ايا " ومعناه " بيت الماء " و أطلق عليه السومريون " انكى " التى تعنى " سيد الارض " و بالاضافة الى كونه الها للارض و سيدا للمياه الجوفية فقد اعتبرته النصوص المسمارية على انه اله الحكمه أيضا ،ولذلك كانت الالهه تستشيره فى المواقف الصعبه و تطلب منه النصح و المساعدة .

ولكونه اله الحكمه فقد خلق الانسان بتشكيل كتلة من الطمى منحها الحياة بنسمته الالهية وهو الذى كشف عن صناعات مختلفة للانسان ومنح الذكاء للملوك وساعد الكهنه على تأديه وظائفهم المقدسة و خاصة فى طقوس السحر التى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كان يستعمل لممارستها ماء مقدسا يؤخذ من حوض ابسو في معبد أريدو .

وتعبر الوظيفة التي يمثلها انكي في الدولة العالمية عن مدى قوته والمكانة التي يتبوأها في الكون المنظم ،أنه يمثل نبيلا من كبار نبلاء البلد المتميزين بالحكمه وخبرة الحياة ،ولكنه ليس ملكا ،ولاحاكما بذاته لان الموضع الذي يحتله من دولة الدنيا انما هو قد عين فيه تعيينا وسلطته مستمدة من آنو وانليل ،فهو بمثابة وزير لهما . فيمكن تسميته بمصطلحنا الحديث ،وزير الزراعة في الكون . وقد عهد اليه الاشراف على الانهار والقنوات و الري وتنظيم قوى البلد الانتاجية . ويتغلب على مايجابهه من مصاعب بالنصح والتحكيم والمصالحه .

وأوضح أحد الاناشيد السومرية وظائف انكي التي اعتقد الانسان العراقي القديم انه يمارسها ،ومما جاء في هذا النشيد :(١٤)

أيها الرب ،يامن بعينيك السحريتين ،

حتى ولو كنت ساكنا غارقا في الفكر ،

تنفذ الى القلب من كل شيء ،

يا انكي ،يامن وعيك لاحد له ،ياناصح

الانوناكـــى الاعظـــم ،
ياعميق العلم ،يامن تطاع عندما تعمل فطنتـك ،
للمهاونة والتقريـــر
و الفصل فى منازعات القانون ،ياناصحـا
من الشروق الى الغـــروب ،
يا انكى ،ياسيد اللفظ الحكيـم ،
اياك أحمــد ،
لقد خولك أبوك آنو ،أول ملك و حاكـم
على عالم لم يكن قد اكتمـل ،
خولك فى السماء والارض أن تصنع وترشـد ،
ورفعك سيدا عليهمـــا ،
واليك قدعهد بأن تنقى الغمين الطاهريـن
من دجله والفـرات
و أن تكثر اليانع من الخضره ،وتكثف الغيوم
و تغرق الماء على الارض المحروشـــه
وتنبت الغسائل فى المزارع والحدائق
الملتفة النبت كالغـــــاب
هذه كلها عهد اليك بها آنو ،ملك الالهـــه
وانليل وهبك اسمه الجبار الرهيـب ......

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فأنت ،لأنك تحكم كل ميلاد ،

انليل الأصغر ،

أخوه الاصغر أنت ،وهو الاله الاوحد

فى السماء و الارض ٠

أو لم يمنحك القدرة على تقرير

مصائر الشمال والجنوب مثله ؟

وعندما تجعل أقوالك وقراراتك الخيره

المدن المهجورة تأهل من جديد

وعندما ،ياصبارا تتوطن آلاف من الناس

فى طول البلاد وعرضها ،

أنت الذى تعنى بقوتهم ،

انك فى الحق أب لهم

وانهم ليسبحون لجلال الرب الههم ٠

و تشير احدى الاساطير التى أصابها التلف بشكل كبير الى كيفية تنظيم الاقتصاد الطبيعى فى أرض الرافدين ولقد فقدت بداية الاسطورة التى ربما كانت تتصل بكيفية تعيين انكى فى منصبه ،وبداية النص المتبقى يشير الى قيام انكى بجولة تفتيشية فى أقاليمه ،و هى تشمل معظم العالم المعروف عندئذ ،ويزور الوحدات الادارية الكبرى فيها ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويتربث انكى فى كل قطر يزوره ليباركه ،وببركته هذه يفرق على البلد الرخاء ويثبته فى وظائفه الخاصه ثم ينظم شئون الماء ،فيملأ دجلة والفرات بماء عذب نقى ويعين الها للاشراف عليهما ،ثم يملؤهما سمكا ويحدد مواقع الاقصاب فيهما ،ويعين مشرفا الهيا آخر عليهما • ثم ينظم البحر ويعين الهيا لتصريف اموره ،وبعد ذلك ينصرف انكى الى الرياح جالبة الامطار ،ثم الى شئون الزراعة ،فيعنى بالمحراث ،ويشق خطه فى الارض ،وينمى الحب فى الحقل •

ومن الحقول يولى وجهه شطر المدن والقرى ويعين اله الآجر للعناية بصنع الآجر ،ويحفر الاسس ،ويبنى الجدران ،ويعين البناء الاكبر ،مشرفا على أعمال البناء وفى النهاية ينظم الحياة البرية فى الفلاه ،ويضعها بامرة الاله سوموكان ،بينما يقيم الزرائب و الحظائر للحيوانات الاليفة ،واضعا هذه الحيوانات فى عهدة الاله الراعى دموزى او تموز•

فانكى اذن هو الذى قد انشأ كل وظيفة ذات شأن فى حياة ارض الرافدين الاقتصادية وعين الها يشرف على عملها المستمر • وهكذا فان البابلى كان يرى النظام فى الطبيعة فيفسره كأنما الكون مزرعه شاسعة يدبر أمورها ويحسن تنظيمها مدير قدير•

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويتصل بوظائف انكى الخاصة بالاخصاب والتنمية مـا ورد فى احدى القطع الادبية ،ومما جاء فيهـا :

عندما جاس الاب انكى خلال الارض المبذورة
طلع الزرع خصيبـا ،
عندما قدم الى نعجتى المنجبة ،ولدت حملها،
عندما قدم الى بقرتى " المبذورة "وضعت عجلها المنتج،
عندما قدم الى عنزتى المنجبة ،وضعت جديها المنتج،
وانت عندما تذهب الى الحقل ،الى الحقل المحروثه
تكرس اكواما وتلالا (من الحبوب) فوق السهوب العالية

وجاء فى نفس هذه القطعة افتخار الاله انكى بأعماله ومما جاء فيها على لسان انكـى :

" أنا الرب ،من اذا أمر لايسأل عن أمـره ،
انا الاول من بين جميع الاشيـاء ،
بأمرى ، الاصطبلات شيدت ،وحظائر الغنم سورت ،
عندما قاربت الارض ،فاضت ينابيـع ،
وعندما قاربت مروجهـا الخضـر،
تكدست (الحبوب) اكواما وتلالا بكلمتى "

ونذكر نفس هذه القطعة الادبية ،أنه مع وفره المياه التى جاء بها انكى اصبح بامكان الحقول أن تعطى الجنـى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الوفير ،واصبحت قطعان الماشية قادرة على انتاج اللبن والقشدة ،ومما جاء فيها ويتصل بذلك :

هو (انكى) الذى يدير المحراث والنير
الامير الكبير انكى يفع الشيران القرناء
فى الـ ....
يشق الأخاديد المباركه ،
ينبت الحب فى الحقل المحروث
والشديد البنية ،فلاح انليل
انكيمدو ،رجل القناة و السد ،
انكى عهد اليه برعاية كل ذلك
جاء الرب الى الحقل المحروث ،وضع
فيه الحب الكثير
وكدس الحب ، الحب الكثير ، الحب ....اكداسا
انكى كثر الاكوام والتلال
(من الحبوب)
و السيدة ذات الرأس والاطراف المنقطه ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذات الوجه المطلى بالعسل ،
السيدة ، المكثرة ،قوة الارض ،حياة الشباب
آشنان ، الخبز المغذى ،خبز الحميم ،
انكى عهد اليها برعايته ...

لقد بنى اصطبلات ،وأمر بتنظيفها ،
أقام حظائر الغنم ،وأحل فيها أطيب السمن واللبن
أدخل السرور الى قاعات طعام الالهه ،
اشاع الازدهار فى القفار الخامله ،
خادم ابانا الامين ،صديق آن ،
الصهر المحبوب لـ " سن " الشجاع ،زوج ايناننا المقدسة ،
السيدة ،ملكة كل الناموس
التى تأمر مرة بعد أخرى أن يتكاثر أهل كلاب ،
دموزى ،" اوشوم جال السماء" الالهى ،صديق آن ،
انكى عهد اليهم برعاية كل ذلك ...."(١٥)

ولقد نسبت النصوص العراقية القديمة العديد من الاساطير للاله انكى ،ونذكر فى هذا المجال صلته ببعض الاساطير الاولى منها ماتتصل بدوره فى عملية تنظيم الكون و تبدأ الاسطورة بأنشودة مدح موجهه الى انكى

نصف دوره فى خصوبة الارض وقطعان الاغنام والماشية ،ويلى ذلك بعض الابيات التى يفخر فيها انكى بنفسه ،ويبدأها بفخره بقرابته لكبار آلهة المجمع الالهى آن وانليل ونينتو و الالهه الصغرى المعروفة عامه باسم انوناكى ويلى ذلك فقرة من خمسة أسطر تتحدث عن انوناكى مؤدين التبجلة الى انكى ،ويلى ذلك اهزوجه فخر ثانية على لسان انكى ،يبدأها بتمجيد قوة كلمته و آمره فى إمداد الارض بالرفاهية والرخاء ،ويصف روعه محرابة ،ويختتم هذه الاهزوجه بتقرير عن رحلته السارة فى المستنقعات .

و تصف الاسطورة بعد ذلك انكى وهو فى سفينته يستعد لتقرير المصائب ،ويبدأ بسومر نفسها فيمجد أولا أرضها المختارة المقدسة التى اتخذ الالهه مساكنهم فيها ثم يبارك قطعانها من الاغنام والماشية ومعابدها ومحاربها وبعد سومر يتقدم الى آور التى يعظمها بلغة رفيعة ويباركها بالرفاهية ،ومن آور يذهب الى ميلوها فيباركها بسخاء الاشجار والبوص وبالثيران و الطيور والذهب والقصدير والبرونز ،ويلى ذلك تقدمه لاهداد ولمون وعيلام ومرهاش ومارتو ببعض مايلزمها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبعد ذلك يقوم انكي بمجموعة من الاعمال الحيوية الخاصة بخصوبة الارض وقدرتها على الانتاج ،فيبدأ بملأ دجله بالمياه العذبة المانحة للحياة ،وحتى يتأكد من حسن أداء دجله والفرات فانه يعين الاله انبيلولو مفتش القناة ليشرف عليهما ،وبعد ذلك زود انكي المستنقعات واحراج القصب بالاسماك و البوص ،وعين معبودا للاشراف عليها ،ثم تحول بعد ذلك الى البحر حيث شيد محرابه المقدس حيث عين الالهه نانشي مشرفه عليه ، ثم دعا آخر الامر المطر المانح للحياة فانزله على الارض وأقام رب العواصف مشرفا على المطر.

ويهتم انكي بحاجات الارض الزراعية فباشر المحراث والنير والحرث ويعين فلاح انليل " انكيمدو " مشرفا عليها ،ثم يدعو بعد ذلك الحقول المزروعه فينبت مختلف حبوبها وخضرها ،ويجعل ربه الحب " آشنان " مسئولة عنها ثم يعتني بقالب الاجر ويقيم رب الاجر مشرفا عليه ،ثم يرسي الاسس و يخطط الاجر ويبني " البيوت " ويعين موشداما " بناء انليل العظيم " مشرفا عليها.

ويوجه انكي عنايته كذلك الى السهل العالي فيغطيه بالنبت الاخضر ويكثر ماشيته ويجعل سوموجان " ملك الجبال ،"

مسئولا عنها - ثم ينشيء بعد ذلك حظائر ويمدها بأحسن الدهن واللبن ويعين الاله الراعي " دوموزي " أن يباشر رعايتها ،وهو يثبت " الحدود " التي يفترض انها للمدن والولايات ويقيم نصب الحدود ويعين اله الشمس أوتو " مشرفا على الكون بأسره " ثم يباشر انكي آخر الامر " الاعمال الخاصة بالمرآة " وبخاصة نسج الثياب ،ويضع اتو الهه الكساء مشرفة عليه .

ومن الاساطير التي تنسب الى انكي ايضا اسطورة الطوفان او الفيضان الكبير ،وهي توضح أن الاله انكي كان دائما حسن النيه والشعور تجاه البشر ،ورغم عدم العثور على اللوحات الطينية المسجلة عليها تلك الاسطورة كاملة ،فان ماعثر عليه منها يتحدث عن أحداث الفيضان الكبير المحلي الذي تعرض له العراق القديم قرب بداية العصر التاريخي .

وتبدأ اسطورة الفيضان بالاشارة الى موضوع خلق الانسان وبداية أطلكية وتكون المدن الاولى ،وتتحدث الاسطورة عن خلق الانسان و الحيوان ،ثم تتحدث عن قرار الجميعة الالهية العمومية باحداث الفيضان ،ولم تتقبل

جميع الالهه السومرية لهذا القرار لخطورته ،و كيف أن انكى قام باخبار اوتو نابشتم بقرار الالهه وطلب منه ان يهدم بيته و يبنى له سفينة ويضع فيها من كل زوجين اثنين ،وسوف نتناول احداث هذه الاسطورة بالتفصيل وذلك فى الجزء الخاص بالاساطير الدينية .

و فيما يتصل بموضع عبادة الاله انكى ،فلقد كانت مدينة أريدو (ابو شهرين الان) من أقدم المدن السومرية التى عبد فيها هذا الاله ،وسمى معبده فيها " اى - ابسو " او " اى - اينكورا " اى " بيت الغمر" او المياه " وذلك اشارة الى انه قد ابتنى بيته فى الحياه الاولى التى جسموها بالاله " ابسو " و نسب البابليون الى هذا الاله زوجه اشتقوا اسمها مثل اسمه وسموها " نن كى " اى سيدة الارض ،حيث ان اسمه " انكى" سيد الارض ،وسميت ايضا باسم " دم - كينا " وقدسى الاله انكى أو ايا فى جميع انحاء العراق القديم وبخاصة فى مدن " آور " و " لارسا " و" الوركاء" وقدسه الملوك الاشوريون . وفى ذلك ماترويه نصوص الملك سنحريب فى حملته الحربية على عيلام ، انه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عندمـا بلـغ شواطـىء الخليـج قرب مدينـة البصـرة، الحاليـة قدم الى الالـه " ايـا " قاربا وسمكـه من الـذهب ورماهمـا فى المـاء ،وذلك حيث يوجـد معبـد الالـه الاصلـى ٠

ورمز الاله انكى عبارة عن كائن مركب يمثـل الجزء الامامى من حيوان والجزء الخلفى عبارة عـن سمكـه وهما متصلان بدكـه المعبد (شكل ٣) ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٤) سيـــن

يمثل الاله سيـن القمر وهو يأتى على قمة الثالـوث الثانى الذى وضعه البابليون لآلهتهم وهو يضم معه الـه الشمس (شمش) و " أدد "

ولقدأطلق السومريون والبابليون على الـه القمـر التسمية " سين " كما سموه أيضا " ننار" أو " ننا" التى تفيد معنى " رجل السماء " بينما أطلق عرب الجنوب على القمر التسمية " ود " أما الآراميين فقد سمـوه شهـر.

ويرمزللاله سين بهلالوحده ،أو بهلال مع صورتـه على هيئة البشر ،واشتهر الاله القمر بالحكمه وهو يشترك مع اله الشمس " شمش " فى شئون العداله . و كان سيـن يقيس الزمن وهو الذى ينهى الايام والشهور والسنيـن للملوك المذنبين . وكان خوف القمر من الحوادث المهمة التى تطير منها البابليون . ولقد جاء فى بعض الكتب السحرية أن خسوف القمر يحدث بهجوم سبعة شياطين أوأرواح شريرة على القمر ،وكانوا يصلون عند الخسوف للاله ويقربون القرابين حتى يظهر مضيئا مرة أخرى بعدأن يقهرالشياطين والظلام .

وفيما يتصل بمكان عبادته ،فقد عبد فى مدينة أور منذ أقدم الأزمنة ،وكان له معبد فيها ،حيث توجد بقايا معبده المدرج المعروف باسم الزاقورة ،ولقد انتقلت عبادته الى أماكن أخرى حيث شيد له معبد فى حران،وقد بلغت قدسيته فى أور درجة كبيرة حتى أن كثيرا من الملوك قد عينوا أبناءهم وبناتهم ليكونوا كهنة له ،و كذلك فعل الملوك الاشوريون فى معبد فى حران ،و قد انتشرت عبادته من حران الى فينيقيا و كذلك مناطق الآراميين.

ولقد أشرنا فيما سبق عند حديثنا عن الاله انليل عن الاسطورة الخاصة بمولد الاله سين وكيفية مجيئه .

(٥) الاله الشمس (شمش)

يلى الاله القمر فى المنزلة ،وحب العقائد البابلية فقدت ولدت الشمس عن القمر ،وقد سماه السومريون باسم " أوتو " ومعناه الضوء والنور واليوم والعلامة المسمارية التى كتب بها اسم هذا الاله كتب بها أيضا كلمة " يوم" وكذلك الصفة " ناصع " . وأطلق عليه السومريون كذلك " يبار " أى النير ،وبلفظ اسمه بالاكدية " شمش " ،وأطلق

عليه العبرانيون التسمية " شمش ،والعرب شمس والفينيقيون فى راس الشمرة " شفش "

و كان رمزه عبارة عن قرص مزين بنجم ذى أربعة أطراف تفصلها عن بعضها مجاميع من الاشعة المموجة كما مثل أيضا بهيئة آدمية كما صور فى أعلى مسلة حمورابى حيث مثل بهيئة ملك جالس على عرشه و يحمل فى يده اليمنى الصولجان و الحلقة ،وهى من شارات السلطان وتاجه مزين بأربعة أزواج من القرون ،وهو زى لباس الرأس عند الالهة ،وله لحية طويلة مثل الاله القمر وتنبعث من كتفيه حزم الاشعة (شكل ٤)

ويوصف شمش بأنه ضوء العالم والاعماق و أنه هو الذى يولد النهار والليل و يهب الحياة ويحيى الموتى وهو اله العدل والحق والشرائع و هو الذى أملى على حمورابى قوانينه وهو القاضى الاعظم وسيد الكهانة والعرافه ،وحسب المعتقدات السومرية فانه كان يغور ليلاً فى بحر ويطلع فى الصباح من بين الجبال.

وقد عبد اله الشمس فى مدينتى لارسة وسبار،ولقد قدسه الاشوريون وشيدوا له المعابد ،وقد جسم البابليون العدل والحق واعتبروهما ابنين له ،كما اعتبر آخاللالهة انانا (عشتار)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٦) عشتـــــار

اشتهرت عشتار بكونها الهه الحب والهه الحرب وعبدت كمعبود ذكر في الصباح والهه أنثى في المساء وكان رمزها الزهرة . واعتبرت في بعض النصوص ابنة آنو وفي البعض الآخر ابنه سين ،وهي أخت شمش اله الشمس وفي ذات الوقت اخت " اير شكيجال " معبودة العالم السفلي .

واحتلت عشتار مكانا كبيرا في ديانة سكان بلاد الرافدين كما انتشرت عبادتها في مناطق أخرى من الشرق الادنى القديم ،وقد سماها السومريون باسم " اينانا " أو " انيني " وهي تفيد معنى " سيدة السماء " و سماها الاكديون والاشوريون باسم " عشتار " و في بلاد الشام عرفت باسم " عشتاروت و عشتوريت " ،كما عبدت في بعض المناطق العربية الجنوبية حيث صار اسمها مرادفا لكلمة (الهه) لشهرتها وتقديسها ،وانتقلت عبادتها الى بلاد اليونان حيث سميت باسم " أفروديت " و عبدها الروماں باسم فينوس (٦١) .

وقد طغت شخصيتها على الالهات الأخريات ،وكان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اسمها المفرد يعنى اى واحدة منهن أما مدلول اسمها الجمع فهو الالهات عامة ،وكانت تمثل كالهة للحرب واقفة منتصبه على أسدأو اثنين وهى تحمل الجعبة وفى احدى يديها سلاح مقوس وفى الأخرى صولج مكون من عصا تتصل بسلاحين مقوسين يعلوهما رؤوس اسود .

وقد حلت عبادتها فى أوروك محل عبادة أبيها، حيث كان محبوها من الكثرة بحيث لايمكن حصرهم ،و كانت تسعى لغواية البشر ،واعتبرت فى هالاب Hallab ابنه للاله سين وسيدة المعارك وفى اكد وسيبار فانها مزجت على مايبدو تحت اسم " انو نيتوم " بين الشخصيتين وذلك فى عهد نابونيد على الاقل حيث كان يسميها " سيدة العراك التى تحمل الجعبة والقوس " وكانت فى نفس الوقت تضع له الفأل المناسب عند شروق الشمس وغروبها(١٧)

وخصها الاشوريون بالتقديس وبخاصة فى صفتها الحربية وقد ذكر بعض ملوكهم أنها سارت معهم فى طليعة جيوشهم و حققت لهم النصر.

واقترنت عشتار مع الاله دوموزى (تموز) بوصفه بعلالها ،ويمثل تموز بوجه عام الخضار والنبات فى زمن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الربيع ،ويمثل اقتران عشتار مع دوموزى طقوسا مهمه فى حضارة العراق القديم و هى ماتعرف باسم طقس الجنس المقدس أو طقس الزواج المقدس كما اصطلح على تسميته وكان الزواج المقدس حفلا بهيجا تصحبه أناشيد غزليه شبيهه بالاناشيد التى تضمنها سفر " نشيد الاناشيد " المنسوب الى سليمان عليه السلام ،ورغم هذا الحب فقد قضى حب عشتار على دوموزى حيث انتهى نهاية مؤلمه بموته وتصف ملحمة شعرية نزول عشتار الى العالم السفلى فى بداية الربيع من كل عام لتعيد دوموزى من عالم الاموات الذى يذهب اليه فى صيف كل عام.

وسنقدم فيما بعد مقتطفات من أسطورة انيانا (عشتار) ودوموزى وذلك فى مجال الحديث عن طقوس الجنس المقدس أو الزواج المقدس عند السومريين .

وفيما يتصل بالمعبودات الممثلة للسلطة السياسية فى العراق القديم فمن أشهرها الألهه ننجرسوو مردوخ وأشور ،وسنلقى بعض الضوء على هذه المعبودات فيما يلى :-

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١) ننجرســــو :

اعتبرت النصوص المسمارية الاله ننجرسو صورة ثانية للالــه ننورتــا وهو أول مولود للالــه انليل ،واعتبرتـــه الـه حرب " خبير فى العراك " تستطيع البلاد أن تحتمـــل وطأته الثقيلة ،كما اعتبرته أيضا الـها للخصوبه وسيـــدا للاراضى الزراعيه و منظمـا لقنوات الرى ٠

وكان يمترج بسادة بعض المدن و عندئذ كان يطلـــق عليه اسم الـه المكان ،ففى لجش فى حى جيرسو كان يسمـــى ننجرسو اى " سيد جرسو " ،وكان يمثل فيه آلهه آخـــرون مثل زابابا فى كيش ،وأوراش فى ولبات ،وكان له على الاقل عشرون سلاحا مختلفا ،ففى يمناه كان يمسك بالـ " شـــــار أور " و هى حزمه من العصى و الاسلحة بسنان محدبة تعلوهـــا راس أسد ،ويظهر على كتفيه غالبا مقدم أسد،كما يظهـــر نفس الحيوان الرمزى بيـن قوائم عرشـه أو تحت قدميه (١٨)

وللاله ننجرسو عدد من الاخوات و الاخوة عبدوا جميعـا ضمن منطقة نفوذ سلاله لجش وهم الاله نانشة مفسرة الاحـــلام، والاله نسابا الـه الحبـوب،والالـهه كاتوم دوك التى توصـف بأم جميع الاطفال ،والاله ايشوم مقدم المشورة للاله ترجال

اله العالم السفلى ،أما زوجته فهى الالهه بابا ،أخـــــت الاله آنـــــو ٠

وتصف كتابات الامير جوديا (٢١٤٤ - ٢١٢٤ ق ٠ م) ثاق حكام أسرة لجش الثانية المعبود ننجرسو بأنه الـــــه العداله ،كما وصفته بأنه كان كبيرا بحجم السمـــــــاء والارض ،وأن رأسه كرأس الاله وان جناحه تشبه جناحى الطائر آنزو ،وأن القسم الاسفل من جسمه كان البركان ،وممـــــــا جاء فى ذلك على لسان الالهه نانشة مفسرة حلم جوديا:

الرجل العظيم الجرم كالسماء ،العظيم الجرم
كالارض ،
وراسه راس الـــــه ،
وجناحاه جناحا طائر٠٠ (آنزو)
وقائمتان قائمتا عفريت طوفـــان ،
وعن يمينه وشماله أسدان يربضـــان٠٠٠"

وجاء فى هذه الكتابات على لسان الاله ننجرســـــــو تعداد لسلطاته ودوره فى ادارة حكم المدينة ووعـــــــــده لاهالى لجش بالثروة والرفاهية ،ومما جاء فيهــــــا:

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عندما تضع يدك على بيتى ، البيت الاول فى جميع
البلاد ،
ذراع لجش[٨] اليمن ،
تلك التى تزأر كطائر أنزو فى كبد السماء
الا نينو ،بيتى الملكى ،
أيها الراعى الامين ،جوديا ،عندما تضع يدك الامينة
من أجلى ،
عندئذ ادعو السماء لكى تمطر
وينزل الفيض اليك من السماء
وينعم الناس بهذا الفيض .... "
" بتأسيس بيتى ،سوف يأتى الفيض
الحقول الفسيحة سوف يطول زرعها من أجلك ،
سوف تفيض القنوات عن حوافيها من أجلك ،
فى الروابى التى لم يرتفع اليها ماء ،
سوف يرتفع الماء من أجلك
وسوف تسكب سومر كثيرا من الزيت من أجلك ،
وسوف تزن لك الكثير من الصوف
فى اليوم الذى تملأفيه مصطبتى ،
فى اليوم الذى تضع يدك الامينة على بيتى
سأضع قدمى فى الجبل

حيث تقيم ريح الشمـــال

وكانسان ذى قوة هائلة ،ريح الشمال

من الجبل ، المكان الظاهـــــر

سوف تهب راسا نحـــوك .

" لانه) بعد أن أكون أعطيت نسمة الحياة للنـــــاس

سوف يقوم رجل واحد بعمل اكثر من عمل رجلين ،"(١٩)

ولقد سمى معبد ننجرسو فى مدينة لجس باســـــــم معبد " الايننيـــو " ومعناه معبد الخمسين ،وكان رمـــزه على المنحونات هو صورة الطائر المعروف باسم " اتزو ".

(٢) مـــــردوخ

كان الاله مردوخ الها محليا فى مدينة بابل ، الـــى أن رفعه حمورابى الىالمرتبة الاولى و اصبح اله مدينـــة بابل الرئيسى ،ومعنى اسمه باللغة السومرية " عجل الـــه الشمس " واسمه فى البابلية " مار ـ دوكو " بمعنى ابـــن الاله " دوكو " اى التل المقدس والذى يعتبر مجلـــــس الالـــــهه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وجاء أقدم وصف أدبى للاله مردوخ فى مقدمة شريعة حمورابى وقد ورد فيها :

" عندما (قضيا) الاله آنو المتسامى ،ملك الانوناكى والاله انليل سيد السماء والارض مقرر مصائر البلاد ، قضيا للاله مردوخ الابن البكر للاله انكى (ان يتمتع) بقدسيه الاله انليل عل كل البشر وجعلاه عظيما بين آلهه الايكيكى ".

وعندما عظمت مكانة مدينة بابل فى زمن حمورابى وأصبحت عاصمة الامبراطورية البابلية ، ارتفع شأن مردوخ وصار مقدسا فى جميع البلاد ،وقد ظهر هذا التبدل فى مركز مردوخ فى أسطورة الخليقة البابلية حيث أعطى مردوخ المركز الاول بين الالهه وأصبح بطل الرواية و نقلت سلطات الالهة اليه ،ومما جاء فى هذه الاسطورة ويتصل بصفات مردوخ :-

" كان فاتن القوام ،وكانت عيناه تشعان بالحياة
أجل ، كانت مشيته مشية العظماء
فلما رآه أبوه الاله ايا الذى ولده
انشرح صدره وتوردت وجنتاه وامتلأقلبه بالسرور

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولم لا ! فقد جاء كامل الاوصاف يوازى الهين فى العقل
أجل ! لقد كان ممجدا بين الالهة وكان الاعظم بينهم
كان كامل الاعضاء والاطراف الى حد لايصدقه عقل
فلا أحد يفهمه و لاعقل يدركه "

ويوضح اللوح الرابعه من الاسطورة مبايعة الاله مردوخ باعتباره قائدها الاوحد الذى لانظير له ،وقد جاء فيه :

" وأقاموا له عرشا فاخرا
فتصدر المجلس قباله آبائه الالهه
وعندئذ بايعوه قائلين : أنت الاعظم اجلالا بين الالهه
فقرارك لايدانيه شئ وأمرك هو أمر السماء
و منذ هذا اليوم ستكون كلمتك ثابته لاتتغير
فمن شئت ان ترفع او تخفض فأمره منوط بيديك
أجل !ستكون كلمتك هى الصحيحة وسيكون قرارك معصوما من الخطأ
ولن يتخط حدودك أى من الالهة .....
يامردوخ أنت بالحق من يثأر لنا
ها نحن نبايعك على ملوكيه الكون بأجمعه
وعندئذ تأخذ مكانك فى المجلس ستكون كلمتك هى العليا
وسوف لن تقهر اسلحتك بل انها ستحطم اعداءك "(٢٠)

ومنذ حوالى عام ١٤٠٠ ق.م انتقلت طقوس الاله مردوخ الى منطقة آشور ،فأصبح منذ ذلك الحين منافسا

مؤشرا للاله اشور فى منطقة آشور نفسها ،ومادام الاله مردوخ كان بالدرجة الاول رمزا للسلطة السياسية البابلية فقد أنيطت به ايضا الكثير من المهام ،لذلك آشارت النصوص المسمارية الى أنه اله الحكمه واله طرد الارواح الشريرة وشافى المرضى وسيد القنوات والحقول والاله الحاكم والمجلب للخيباء .

ولقد كان للاله مردوخ عدة رموز ، الاول هو الرمز المستخدم فى مدينة بابل و الذى هو عبارةعن حيوان مركب كل عضو فيه مأخوذ من حيوان يختلف عن الحيوان المأخوذ فيه العضو الآخر ،ويسمى هذا الحيوان المركب فى اللغة البابلية " الموشخوشو " ،أما رموزه الاخرى فقد ظهرت على أحجار الحدود حيث يصور أحيانا بدكة معبد مع حيوان الموشخو شو (شكل ٥).

وعرف معبده فى بابل اسم " ايساكلا " وموضعه الان فى خرائب بابل فى المنطقة المعروفة بعمران وكان آلهه بابل و ورسيبا يأتون سنويا فى يوم عيد السنة الجديدة ليقدموا له ولاءهم ،وكان موكبا عظيما ينظم فى الطريق المقدس ، الذى سمى لهذا السبب بشارع الموكب حيث تمر منه فى باب عشتار الى معبد قريب من النهر (أو عبر النهر) خصص للاحتفال بعيد السنة البابلى و كانت المصائر تحدد أثناء ذلك الاحتفال تحديدا قاطعا للسنة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

باكملها ،و كانت توقف هذه الاحتفالات فى زمن الحرب أو عند حدوث كارثه .

(٣) آشور

كان الاله آشور الاله القومى للاشوريين و قد منح اسمه الى العاصمة والى البلاد جميعا ،ومثله مثل الاله مردوخ كان فى أول الامر اله غير ذى شأن اقتصرت عبادته على مدينة آشور ،ولكن بعد أن تدرج الاشوريون فى نموهم السياسى وأسسوا امبراطوريتهم عظم شأن الاله آشور واصبح على راس الالهه البابلية والاشورية ،وخصص له دور فعال فى شئون الكون وخلق الاشياء والانسان وشيدت له المعابد فى آشور وغيرها من المدن الاشورية .

ولايعرف معنى اسمه أو أصله ،ولذا يرجح ان يكون أصله قديم جدا ،ومما قد يؤكد ذلك ظهور اسمه ضمن كتابات ابيلا المسمارية التى تؤرخ فى حوالى عام ٢٥٠٠ ق.م.،وقد استمر ذكره فى النصوص حتى القرن الثانى الميلادى حيث ظهر اسمه ضمن الكتابات الارامية المكتشفة فى الحضر.

وقد اتخذت الاله آشور العديد من الالقاب و من بينها ماتلقب بها الاله انليل مثل " الجبل الكبير" و " سيد البلدان " وأبو الالهه " كما اتخذ كذلك لقب " سيد جبال حمرين " ومثل أشور عادة بانسان يطير

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بجناحيه وبيده القوس والسهم ،وتبعث الجناحان من قرص الشمس (شكل ٦) .

ثانيا : الكهنة

لم يكن هناك فارق واضح بين الموظفين المدنيين والدينيين فى العراق القديم حتى نهاية التاريخ البابلى فقد كان الامير الكاهن الاكبر لاله مدينته ،وكان الملك الكاهن الاكبر للاله الوطنى،ولقب الملوك أنفسهم بلقب كهنه الالهه وكثيرا ماتقلد الحكام والامراء والاميرات منصب الكاهن الاعلى لاله معين ،وانعكس تطور الحياة الاجتماعية والسياسية على شئون المعابد فظهرت طبقات من الكهنة لكل منها درجته وعمله الخاص به ،وكان على راسها الكاهن الاعلى المنوط به ادارة شئون المعبد ،ومن هذه الطبقات ماكان يختص بأمور التنظيف والتطهير الدينى ومنها مايختص بادارة شئون المعابد وأملاكها ووارداتها ومنها مااتصل عمله بأعمال السحر والعرافة ،كما كان هناك الكهنة المختصون بأعمال الغناء والترتيل والموسيقى وسنتناول فيما يلى نماذج من درجات الكهنه و التى كان على رأسها الكاهن الاكبر الذى أطلق عليه " الايس "

(١) الكاهن الأكبر

يمثل أعلى مرتبة فى السلم الكهنوتى فى العراق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القديم ،ولذلك كان شاغلها يختار من الاسر الملكية أو الاسر ذات المكانة الاجتماعية الكبيرة ،وأطلقت النصوص المسمارية على هذا الكاهن التسمية " الاين " وهى تفيد معنى كاهن او كاهنة ،أما اللغة الاكدية فقد اطلقت عليه " اينوم " ان كان كاهنا و " اينتوم " ان كانت كاهنة .

وتمتع الكاهن الاكبر بسلطات كبيرة فكان فى بداية التاريخ العراقى يجلس على عرش فخم يصنع خصيصا له ،ويبدو أن هذا العرش كان لايختلف عن العرش الذى كان يجلس عليه الحاكم خلال الالف الرابع و النصف الاول من الالف الثالث قبل الميلاد ،وذلك عندما كان الحكم بيد السلطة الدينية حيث تلقب حاكم دولة المدينة بلقب " الاين " كذلك ،ومما يؤيد ذلك أن التسمية التى أطلقت على غطاء رأس كاهن الاينوم كانت تعنى التاج .

(٢) السحرة

وهم الذين يستعطفون الآلهه ويبعدون الارواح الشريرة وتعددت مهامهم ،فكان منهم من تلقب بلقب " ماشماشى " فى السومرية ،وفى الاكدية " آشيبو " ومن أبرز مهامهم القيام بطقوس التعزيم التى تهدف بالدرجة الاولى الى طرد الارواح الشريرة من أجسام المرضى ،ويمارس أيضا طقوس " غسل الفم " و هذه الطقوس فى حقيقتها تتمثل

بالخطوات الاساسية التى يجب أن تتبع أثناء تقديم الثور كقربان الى الاله ،ومن مهامهم الاخرى المساهمة فى الطقوس الخاصة بتطهير المعبد .

ويقوم الاشيبو بتطهير المرض والاثمة بواسطة الرقى والطقوس السحرية ،وكانت هناك رقى وتعاويذ لكل المناسبات وضد كل الشرور ، وكتب فى التعاويذ بدعوة للالهه العظيمة لحماية حامل التعويذة ،كما احتوت أحيانا صورة للشيطان الذى يراد تخليص المريض منه ،ولقد وصلنا العديد من التعاويذ ،نعطى فيما يلى مثالا لاحدها وهى ترجع الى العصر البابلى :

" ... انه ذلك الشيطان الذى اقترب من بيتى، يخيفنى وأنا فى فراشى ، انه يمزقنى ويرسل على الكابوس فى الليل فعسى أن يسلموه الى الاله حارس بوابة العالم السفلى بأمر من ننورتا حاكن العالم السفلى وبأمر من مردوخ الذى يقيم فى ايساكيلا فى بابل ،وعسى أن تعرف الباب والمزلاج التى بحماية هذين السيدين " .

ومن الطرق التى اتبعها السحرة لشفاء المريض ، أن يتم صنع دمية من الشمع تشبه المريض وتدفن فى المقبرة مع دمية أخرى تمثل الروح الشريرة التى يعتقد أنها سببت له المرض ،وذلك بهدف القيام بدفن رمزى للروح الشريرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لاعادتها الى مقر الاموات فى العالم السفلى ،و كذلك ايهام الروح الشريرة بأن المريض قد مات وانتهى امره .

ومن هؤلاء الكهنة من كان يدعى " كالو " وهو الكاهن الذى يناط به تخفيف الغضب عن قلوب الالهه الغضبى بغناشه وكان عليه فى أيام معينه أن يذهب الى المعبد ليقدم التضحيات و يرتل المراثى المقدسة مستعينا بمختلف آ لات الضرب ،ومن بنيها طبلة ضخمة (شكل ٧) .

و تجدر الاشارة الى أنه كان هناك نوع آخر من السحر وهو نوع ضار يقصد به احداث الضرر بالناس و قد جرمته القوانين وفرضت على تعاطيه عقوبات صارمة كما ورد فى شريعة حمورابى (٢١).

(٣) المنجمون و العرافون (٢٣).

ارتبطت العرافة والتنجيم فى العراق القديم بالمعتقدات الدينية والتقاليد الاجتماعية ،وتهدف العرافة الى الاتصال بالالهه لاستطلاع ماتقدره من خير وشر للفرد والمجتمع على السواء . وكان المنجمون والعرافون من رجال الدين ،وكانوا ينقسمون الى فرق عدة تبعا لمختلف أنواع الظواهر التى يمكن ملاحظتها .

ولقد استخدم السومريون عدة تعابير للدلالة على العراق و منها " i- zu " بمعنى " الذى يعرف " أى " العراف " و عرف فى الاكدية باسم " بارو " وشمى

كبير العرافين " راب باري " . وكانت مهنة العرافة وثيقة الصلة بالمعبد لان العراف كان كاهنا من كهنة المعبد وتوضح النصوص المسمارية ارتباط العرافة بالقصر فكان الملك يستشير العرافون قبل اتخاذ القرارات الهامة لمعرفة مشيئة الالهة بخصوصها (٢٢)، و ذلك مثل ولاية العهد او القيام بمشروع بناء او صيانة ،كما ارتبطت مهمة العراف ارتباطا شديدا بالجيش و العمليات العسكرية اذ كان العراف يتقدم الجيش فى الحروب و كانت مهام المنجم وراثية ،وكان لابد أن يكون من نسل كاهن مولود من كاهن سليم ويجب الايكون فيه عيب جسماني .

واستخدم العرافون طرقا عديدة لاستطلاع الغيب يمكن تقسيمها الى قسمين رئيسيين وذلك بموجب الطريقة التي تستخدم فيها ،يطلق على القسم الاول العرافة العملية ويستخدم فيها العراف وسائل وطرق عملية من أجل الاتصال بالقوى العليا ،والقسم الآخر يعرف باسم العرافة غير العملية لانها تعتمد على قوى وظواهر خفية لادخل للانسان فيها ،وسنتناول فيما يلى هذين القسمين بشيء من التفصيل:

(أ) العرافه العمليـة

تتضمن العرافة العملية العديد من الطرق مثل ضرب القداح ،وسكب الزيت فى الماء وتصاعد الدخان ،وفحص الكبد:

(١) ضرب القداح : و هى عبارة عن سهام صغيرة محززه كان البابليون يستعملونها لاستطلاع راى الالهه فى مناسبات او موضوعات معينة ،وهى تشبه الازلام التى كان يستخدمها العرب فى الجاهلية .

(٢) سكب الزيت فى الماء : وفى هذه الطريقة كان يقوم العراف بسكب قليل من الزيت فى اناء فيه ماء ،ثم يراقب حركة الزيت و هو يطفو فوق الماء، فاذا ماتكونت حلقة كاملة واتجهت نحو الشرق كان ذلك فالا حسنا ، اما اذا انكسرت الحلقة او انتشر الزيت فوق الماء دون أن يكون حلقات فكان ذلك فى اعتقادهم نذير شؤم .

(٣) تصاعد الدخان : و فيها كان يتم حرق البخور أو انواع معينة من الاعشاب ،ويتم مراقبة تصاعد الدخان من المبخرة وانتشاره وعلى أساس ذلك كانوا يحددون ما اذا كان نذير فال حسن او سيئ.

(٤) فحص الكبد : انتشرت هذه الطريقة من العراق القديم الى عديد من الامم مثل الحيثيين والاتروسكيين والاغريق والرومان ،وتعتمد هذه الطريقة على اعتقاد البابلين بوجود علاقة بين الاله الذى يقرب اليه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحيوان المضحى و الحيوان نفسه ، اذ عندما يضحى الحيوان ويقدم الى الاله فانه يكون جزءا من الاله كما يكون جزءا من أجسام الناس الذين يأكلونه فتكون روح الاله او نفسه نفس الذبيحة او روحها او أن روح الحيوان تتمثل بروح الاله وعلى ذلك فمن الممكن للبشر ان يتطلعوا الى روح الاله ومن ثم معرفة ارادته بدرسه روح الذبيحة ،واعتقد ان روح الذبيحة يوجد فى كبدها ،ومن ثم كان يمكن أن يشاهد فى الكبد نوايا الاله الذى تقبل الحيوان المضحى كتقدمه ،وكان من الضرورى أن يكون الحيوان خاليا من العيوب ،وقد استنبط العرافون من شكل الكبد ولونه وتضخمه أو دمورة و مافيه من فقاقيع وتشققات ووضع الغدة الصفراء والقنوات مايريدونه من عرافه ،وقد نظموا ذلك كله فى قوائم خاصة تعرف بين الباحثين بالعرافه المستمدة من الكبد.

(ب) العرافة غير العملية

وهى العرافة غير المقصودة اى المبنية على ملاحظة حوادث وظواهر لادخل للعراف بحدوثها ،ويتضمن هذا النوع من العرافة العديد من الوسائل مثل التنجيم والظواهر العرضية والاحلام .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(١) التنجيم : عرف العراقيون القدامى منذ العصر البابلي رصد الاجرام السماوية وملاحظتها والاستدلال من ذلك عما سيحل بالمملكة او ماسيحل بالملك أو الحكومة اوالمدينة او غير ذلك من الاشياء العامة، ومن أمثلة ذلك انهم اذا شاهدوا هلال القمر منذ اليوم السابع و العشرين اعتبروا ذلك فألا سيئا واذا ماشوهد القمر والشمس معا بين اليوم الثاني عشر والعشرين كان ذلك نذيرا بزوال الاسرة الحاكمة وفناء السكان ،وكانوا يتطيرون كثيرا من خسوف القمر وكسوف الشمس وعزوا ذلك الى فعل الشياطين كما لاحظوا الظواهر الجوية المختلفة للفأل والتطير كالزوابع والصواعق والمطر وهبوب الرياح .

(٢) الظواهر العرضية : وذلك مثل مراقبة حركة وسلوك الطيور والحيوانات والحشرات ،ومن ذلك ان دخول كلب أبيض الى القصر ينبىء بحصار المدينة ،ودخول الجارح من الطير الى البيت نذير بموت صاحب هذا البيت ،والصراصير فأل سيء للبيت الذى توجد فيه ومنها كذلك العرافة المستمدة من الاجنه والولادات المشوهة سواء البشرية منها او الحيوانية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٣) الاحـــــلام : وتعتمد هذه الطريقة على اساس اعتقادهم بأنه الالهه تتصل بالاتقياء من الناس و تعلن اليهم ماسوف يحل بهم من احداث عن طريق الاحلام ،وحينمـا كانت تتأزم الامور كان الامير او العراف يلتمس هذه المنحة بالتوجه الى المكان المقدس و النوم فيـه وكان يعهد بتفسير الاحلام الى كاهن خاص هـو " الشائيلـو "

ثالثا : الكاهنـات

شغلت النساء فى العراق القديم وظيفة الكهانـة ، فكان من الجائز أن تكون النساء كاهنات وساحرات وعرافات ومغنيات ،وستتناول فيما يلى بعض درجات الكهانة التـى شغلتها النسـاء .

(١) اينتـــوم

" كبيرة الكاهنات " أطلق على كاهنة الاينتوم خـلال العصر البابلى القديم " او كبابتوم " أو " كوبابتـوم" وذلك نظرا لانها من نفس الدرجة . وكانت كاهنة الاينتـوم خلال العصر السومرى القديم أرفع منزلة من كاهن " الايـن"

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اذ تذكر النصوص المسمارية اسمها دائما قبل اسم الكاهن حتى ولو كانت زوجة له ،واثناء العصر السومرى كان مسموحا لمن تشغل هذه الوظيفةالكهنوتية الزواج وانجاب الاطفال ومنذ عهد الملك حمورابى (حوالى عام ١٧٩٢ ق٠م) حرم على شاغلات هذه الوظيفة الزواج وانطبق هذا الامر على كاهن الاين ،وكان من يقرب من الجنس منهم يعاقب بالحرق بالنار٠

ويتم اختيار كاهنة الاينتوم بطريق استخاره الفأل ويتم تعيينهم بارادة ملكية كما هى الحال بالنسبة لكبير الكهنة (٢٤) ،ومن أهم واجباتها القيام بدورالعروسه فى عملية الزواج المقدس ٠

(٢) ناديتوم

تأتى بعد كاهنة الاينتوم ،ويعنى اسمها " المرأة التى تحمل نوعا من القوة الالهية " و كان اختيار هذا النوع من الكاهنات يتم عن طريق نذرهن الى المعبد منذ الولادة ،وشغلت هذا المنصب بنات كبار موظفى الدولة، وكان يسمح لهذا النوع من الكاهنات بالزواج مع منعهن من انجاب الاطفال ٠

(٣) شو[illegible]م :

من اهم واجباتها الدينية المساهمة فى مراسيم الزواج المقدس وبخاصة مرافقة العروس ليلة الزفاف ،وكانت هــذه الكاهنه فى بعض الاحيان زوجة ثانية لزوج كاهنـــــــة ناديتوم لتقوم بانجاب الاطفـــال .

(٤) كولما شيـــتوم

شغل هذه الوظيفة نساء من الاسر الكبيرة ،وكـــان لهذا النوع من الكهانة الحق فى الزواج وانجاب الاطفـــال وكان لايفرض عليهن السكن فى الدير ،وكان لهن حرية الاختيار فى السكن . وبالاضافة الى ذلك فقد شغلت النساء وظائـــف الغناء والعزف ،فلقد عملت حفيدة " نارام سين " بالعـزف على القيثارة للاله سين(٢٥) ويشير دلك من ناحية أخـــرى الى أن بنات عظماء النبلاء لم يكن يحتقرن الوظائف الدنيا فى العبادة المقدســة .

رابعا : طقوس الجنس المقدس

ترجع فكرة طقوس الجنس المقدس عند السومريين الى رغبة الانسان العراقى القديم فى زيادة خصوبة أرضه وكثرة انتاجيتها وكثرة مواشيه وزيادة نسله ،وعلى ذلك فقد كان من واجبات الملك ان يتزوج من الهه الخصب والانجاب . وفى بداية الالف الثالث قبل الميلاد كان هناك تصور من قبل المفكرين ورجال الدين والشعراء لطقوس الجنس المقدس .

و تدور طقوس الجنس المقدس حول الالهه اينانا (عشتار) التى عبدت فى مدينة الوركاء فى بداية الالف الثالث ق.م و التى اعتبرت الهه الحب والقوة الجنسية ولقد اعتقد رجال الدين بأن مليكهم قد أصبح عاشقا وزوجا للالهه اينانا و بذلك يشاركها قوتها وقدرتها على الاخصاب كما يشاركها خلودها .

وارتبطت دموزى (تموز) والذى يعتقد انه كان أحد حكام الوركاء مع اينانا فى طقوس الجنس المقدس وان كان هناك من الادلة مايشير الى أن هذه الطقوس كانت موجودة فى الوركاء قبل عدة أجيال من ظهور دموزى . ويدل على ذلك الرسالة التى أرسلها حاكم ارنا الى انمركار

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حاكم الوركاء بهدده ؛ فيها بالاعتراف به سيدا عليه ، وأن الالهه ايننانا يجب أن يؤتى بها الى إرتا ،ويستدل من هذه الرسالة أن طقوس زواج ايننانا كان شائعا على الاقل منذ هذا العهد وأن ذلك كان قبل ظهور دموزى بجيليين على الاقل(٢٦). ومما جاء فى هذه الرسالة :

" ليخفض (انمركار) راسه امامى ، وليحمل
السلة الى ،
عندما يخفض راسه امامى ،يخفض راسه فعلا أمامى
عندئذ هو وأنا
سوف يسكن مع ايننانا قرب حائط
اما أنا سوف اضطجع مع ايننانا فى بيت حجر
اللازورد فى ارتا..... "

وحسبما يذكر صموئيل نوح كريمر(٢٧) فان الاقرب الى الحقيقة التاريخية أن دموزى لم يكن من مدينة الوركاء بل من مدينة " كودا " الواقعة بالقرب من اريدو،ويذكر الشعراء السومريون ان ايننانا هى التى اختارته خصيصا من أجل ألوهية البلاد بناء على رغبة ابويها ،ومما جاء فى ذلك على لسانها :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

" القيت عينى على جميع الناس
دعوت دموزى (لكى ينقلد) الوهية البلاد
دموزى المحبوب من انليل ،
الغالى أبدا عند أمى
المحبوب أبدا من أبى "

ولايمكن الاستدلال من الادلة المتاحة على أول ملك سومرى مارس طقوس الجنس المقدس ،و الادلة المتاحة حاليا تشير الى أن الملك شولجى الملك الثانى من الاسرة الثالثة فى أور قد مارس هنا الطقوس(٢٨) وذلك فى منتصف الالف الثالث ق.م . وتذكر هذه النصوص انتقال الملك من عاصمته أور فى قارب الى الوركاء مدينة اينانا ومعه حيوانات القرابين حيث وصل الى حيث توجد اينانا ،ومما جاء فى ذلك:

شولجى ، الراعى الامين ، انطلق بالقارب
أخذته روعة ناموس الملك ،ناموس امارة سومرو كار
على رصيف كلاب أرسا قاربه ،
ومعه ثيران برية ضخمة يقودها بذراعه
ومعه غنم وماعز مقرونة الى يده ،
ومعه جداء مرقطه وجداء ملتحية مضمومة الى صدره ،
الى اينانا فى حرم ايانا جاء .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثم تذكر الرواية ان شولجى عندما وصل الى هناك ارتدى طيلسانه الطقسى ووضع على راسه جمه اشبه بتاج لكى ينال اعجاب الالهه بمقدمه ،وظهر ذلك الاعجاب فى الاغنية التى أنشدتها الالهه وجاء فيها :

" عندما اكون من أجل الثور البرى ،
من أجل الرب ،قد استحممت
عندما أكون من أجل الراعى دموزى ،قد استحممت ،
عندما أكون بـ ... زينت عطفى
عندما أكون بالعنبر ثغرى قد طليت ،
عندما أكون بالكحل عينى قد صبغت ...."

وتنتهى الاغنية بتعهد اينانا برعاية جميع بلاد الملك وحمايته والوقوف بجانبه ومما جاء فى ذلك :

" فى المعركة أنا قائدك ،فى الكفاح أنا عونك(؟)
فى المجمع أنا نصيرك
على الطريق أنا حياتك
أنت ، المراعى المختار للبيت(؟) المقدس (؟)
أنت ، الساون لحرم آن العظيم
فى كل الاحوال انت أهل
لان ترفع رأسك عاليا على المنصه العالية ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأنت أهل ،لان تجلس على عرش حجر اللازورد ،
أنت أهل ،لان ترتدى الطيالس الطوال على جسدك ،
أنت أهل ،لان تلف نفسك بطيلسان الملك ،
أنت أهل ،لان تحمل الصولجان والسلاح
أنت أهل لان تصوب القوس الطويله والسهام،
أنت أهل ،لان تشد عصا الرماية والمتلاع الى وسطك
أنت أهل ،للصولجان المقدس بيدك ،
أنت أهل ،للخفيف المقدسين فى قدمك ،
أنت أهل ،لان تثب على صدرى المقدس مثل عجل " حجر اللازورد " ،
أنت أهل ،ليدم قلبك المحبوب أياما طوالا ،
هكذا حدد آن قدرك ،عسى ألايبدله ،
انليل صاحب القدر ،عسى ألا يتغير
ايناناً أنت عزيز عليها ،انت المحبوب من ننجال"

وكان يتم الاحتفال بطقوس الجنس المقدس فى ليلة راس السنة الجديدة ،وفى يوم راس السنة الجديدة كانت تعد وليمة كبيرة فى قاعه الاستقبال الكبيرة فى القصر،وجاء وصف مايحدث فى هذه الوليمة فىالقصيدة الشعرية التالية :ـ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من أجل القرابين المقدسة ،من أجل الطقوس الراسخة
من أجل المذبح اللافح النار،من أجل مذبح(؟)السرو،
من أجل قرابين الخبز الوفير،من أجل الزهريات
الواسعة الملأى ،
يعانق زوجته الحبيبه ،
يعانق اينانا المقدسة ،
يسعى بها مثل ضوء النهار الى العرش على المنصه
الكبيرة ،
وضع نفسه الى جانبها مثل الملك أوتو :
عرض أمامها الكثرة والفرحة والوفرة
أعد لها وليمة فاخرة ،
عرض أمامها ذوى الرؤوس السور ،(قائلا)
" بالطبل الذى يعلو دويه على العاصفة ،
والقثار ذى الصوت العذب ،زينه العصر ،
بالقثار الذى يسكن نفسى الانسان
ايها المغنون ،لننشد الاناشيد التى تبهج القلب "
" الملك مديده الى الطعام والشراب ...
القصر فى الاهازيج، الملك فى الحبور ،
قرب الناس الذين أشبعتهم الوفرة.....
لندم اباحة على العرش المثمر........"

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفيما يتصل بتفاصيل طقوس الجنس المقدس ،فليس لدينا صورة واضحة عنه ،نظرا لاختلاف الوثائق التى وصلتنا عنه فى ابراز التفاصيل ومايحدث فى هذه الطقوس ،ويرجع ذلك فى المقام الاول الى أن الكهنة والشعراء قد اطلقوا لخيالهم العنان فى اختراع الاجراءات الطقسية المتعلقة بحفلـه الزواج المقدس ،كما أطلقوا لخيالهم العنان كذلك فى وصف التودد الذى يسبق الزواج المقدس ،وتظل بعض الاسئلـة المتعلقة بهذا الموضوع دون اجابة شافيه و هى : هل كانت الحفلة تجرى سنويا ،ومن كان يشترك فى الاحتفال فعلا ؟ و من كان يقوم بدور الالهه طوال مدة الاحتفال ؟

و مع ذلك فانه يمكن القول اعتمادا على بعض النصوص أن الاحتفال كان يتم فى معبد الالهه وحرمها وفى هذه المناسبة كان يتم اعداد سرير فخم مصنوع من الاسل والارز يمد عليه غطاء او لحاف أعد خصيصا لهذه المناسبة ،وترش الارض بزيت الارز المعطر و تعزف الموسيقى فى أرجاء المكان .

ومع اعداد الفراش واستعداد الملكه لاستقبال عريسها تقود الالهه الملك اليها ملتمسه من الالهه ان تبارك له

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى أن يكون حكمه سعيدا ومذكورا وأن تكون سلطة السياسية قوية على بلاد سومرومأجاورهـا وأن تبارك له فى محاصيله وفى كثره شعبه ،ويبدو أن هذا هو الهدف من وراء اجراء هذا الطقس و هو ضمان وفرة المحاصيل وقوة البلاد وأمنها ومما جاء فى ذلك :

لعل الرب الذى دعوته الى قلبك
الملك زوجك الحبيب ،يستمتع بأيام مديدة على
حصنك الحلو ، المقدس ،
امنحيه حكما عظيما ومجيدا ،
امنحيه عرش الملك على أساس مكين
امنحيه القدرة على تدبير شئون الناس والصولجان
و المحجن ،
امنحيه تاجا لايبلى ،واكبل نور على راسه
من حيث تطلع الشمس الى حيث تغرب الشمس
من الجنوب الى الشمال ،
من البحر الاعلى الى البحر الاسفل ،
من بلاد شجرة ـ الـ" حَلوب " الى بلاد شجرة الارز ،
على (جميع) بلاد سومر واكاد امنحيه الصولجان ا.
و المحجن ،

لعله يكون راعيا لذوى الرؤوس السود حينما أقاموا

كالفلاح ،لعله يجد الحقول منتجه

كالراعى ،لعله يكثر أعداد حظائر الغنم ،

لعل فى حكمه يكثر الزرع ويتوفر الحب ،

لعل النهر يفيض

وفى الحقل تكثر الحبوب

وفى السبخه يزقزق العصفور ،ويصوت السمك ،

وفى الدغل ،ينمو عاليا القصب المسن والقصب الغض،

وفى الصوب تنمو عاليا شجرة مشجور ،

وفى الغابات يكثر الابل والماعز البرى

لعل الغياض تنتج عسلا ونبيذا ،

ومساكن البستان تنبت خسا ورشادا عاليا

و فى القصر تكون حياة مديدة ،

وفى دجله والفرات يكون فيض الماء ،

وعلى الضفاف ينبت العشب عاليا ،ويملاء المروج،

وملكه الخضرة المقدسة تجمع الحبوب اكواما وتلالا ،

اى مليكتى ،ملكة السماء والارض ،الهكله التى تحيط

بالسماء والارض ،

لعله يستمتع بأيام مديدة على حضنك المقدس .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خامسا : المعابد

اتصلت المعابد فى العراق القديم بشئون الناس الدينية و كذلك الدنيوية ،وكان المعبد فى القسم الشمالى من العراق يمثل دائما مركز القرية أو المدينة ومن حوله تبنى بقية الابنية الاخرى سواء كانت رسمية او مدنية .

وفيما يتصل بجنوب العراق ،فلقد أثرت المياه الجوفية والفيضانات على مبانيها ،فلقد أثرت المياه الجوفية التى توجد أحيانا على عمق قدم او قدمين من سطح الارض على جدران المعابد وبقية المبانى الاخرى ،أما الفيضانات فكانت تغمر جنوب العراق من حين لاخر . وقد دفعت هذه الاحوال الانسان الى محاولة التغلب على هذه المصاعب البيئية التى تهدد مبانيهم وبخاصة ابنيتهم المقدسة ،وتوصلوا الى تشييد معابدهم فوق منصات مرتفعة بعض الشئ عن سطح الارض وذلك منعا للمياه من التأثير عليها ،وبمرور الزمن زاد عدد المصاطب او المنصات حتى بلغت فى اواخر الالف الثالث ق.م ثلاث مصاطب ،ووصل عددها فى بابل الى سبع مصاطب .

وتباينت آراء الباحثين حول الهدف من زيادة طبقات المعابد وارتفاعها ،فهناك من الباحثين من يرى أن ذلك

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يرمز للسمو و العلو ويعتمدون فى ذلك على أن الاسم الذى أطلق على هذه المبانى هى الزاقورة يفيد معنى السمو والرفعه (٢٩). على أن هناك وجها آخر للنظر يرى أن السبب فى ذلك راجع الى أن سكان بلاد الرافدين قد استخدموا فى حساباتهم للوقت التقويم القمرى ،ولذلك كانت رؤية الهلال تعتبر ناحية مهمة حيث كانت تعتمد عليها كثير من الامور الدينية والدنيوية ،وضرورة رؤية الهلال منذ يومه الاول قد أبرزت الحاجة الى الاماكن المرتفعة، ولذلك يتجه أصحاب هذا الراى أن زيادة عدد الطبقات كان لغرض خدمة هذه الحاجة (٣٠) ويرى بعض الباحثين أن هذا الطراز من البناء يتفق مع تطور الفكر الدينى السومرى فكان هذا البناء المدرج بمثابة رابطة بين السماء والارض ،كما انه يكون فى ارتفاعه قريبا من مقر الالهة (٣١)

و منذ ان زاد عدد المصاطب عن مصطبة واحدة ظهرت الحاجة الملحة الى أن يكون هناك معبد ارضى لممارسة الطقوس اليومية ومعبد آخر فوق الزقورة للاحتفال بالاعياد الدينية الهامة ،ووضع فى هذا المعبد تمثال للاله ،وكان يتم الوصول الى الزاق رة . اسطة ثلاثة سلالم يتكون كل سلم منها م ـائة درجة ، ـجد قرب القاعدة السفلى من

الزاقورة بعض الحجرات والمرافق ويحيط بها سور ، ووجدت آثار فى انقاض بعض الزقورات يستدل منها الى احتمال تلوين الطبقات المختلفة بالوان مختلفة . (شكل ٨)

وكان أقدس جزء فى المعبد الارضى عبارة عن مشكاة فى أقصى المعبد على هيئة المحراب بحيث كان يوضع تمثال الاله فوق منصته او كرسى من الخشب ، وتعتبر حجرة الهيكل هذه أهم جزء فى المعبد ، وقد تكون وحدها معبدا قائما بنفسه . وبالنسبة لتصميم المعبد الارضى فكان يوجد عند المدخل حجرة تسمى حجرة المدخل او حجرة الحاجب ، وتؤدى هذه الحجرة الى ساحة مكشوفة ، وتؤدى هذه الساحة الى حجرة أخرى تؤدى الى حجرة الهيكل حيث يوجد المحراب ، ودكة المذبح .

وفيما عدا هذه الاجزاء الرئيسية توجد ساحات خارجية وحجرات ومرافق أخرى تحيط بالساحة خصص بعضها للكهنة وبعضها للتطهير المقدس ، ووجد فى اكثر المعابد تماثيل آلهة كثيرة وضعت فى حجرات ثانوية مع تمثال الاله الرئيسى الذى شيد له المعبد .

وتجدر الاشارة الى أن تصميم المعابد فى شمال

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العراق قد اختلف قليلا عن تصميم المعابد فى الجنوب ويتمثل هذا الاختلاف فى أن المعابد الجنوبية قد جعلت أقدس مكان فى المعبد يقع على نفس محور المدخل ، أى أن الداخل الى المعبد يواجه مباشرة قدس الاقداس أى المحراب ، اما المعابد الشمالية فقد حرفت المداخل عن المحاريب و جعلتها فى جهة تضطر الداخل الى المعبد ان يدور بزاوية قدرها تسعون درجة حتى يواجه المحراب •

ويلاحظ أن جميع المعابد العراقية ،وعبر جميع العصور قد بنيت من اللبن ماعدا المرافق التى تتعرض للمياه فقد كانت تبنى من الحجر اوالقير • ويتجه بعض الباحثين فى تفسير هذه الظاهرة الى القول بأن اللبن هو المادة الوحيدة المتوفرة للبناء الصلد فى القسم الجنوبى من العراق ،ولذلك فقد بنيت أقدم المعابد من اللبن ،وسارت المعابد التالية على نفس هذا المنوال بينما يوجد وجه آخر للنظر يرى أن ذلك راجع الى كون الطين المادة التى خلق منها الانسان ،وأعطى ذلك له نوعا من القداسة وعلى ذلك بنيت المعابد من الطين وبخاصة جدرانها الرئيسية (٣٢)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومثل المعبد في بدايته الاولى في العراق القديم المركز الديني والدنيوي ،فكان يقوم مقام المحاكم في فض النزاع بين المتخاصمين ،وقدمت النصوص المسمارية الكثير من الادلة على أن المحاكمات كانت تجرى داخل المعابد ،كما اهتمت المعابد بالتعليم فوجدت فيها المدارس ،واستمر اهتمامها بالتعليم عبر جميع مراحل الحضارة العراقية ،كما حفظت بالمعابد سجلات الاداب والعلوم الى جانب دور السجلات وخزانات الكتب الملكية ۰ وبالاضافة الى ذلك فقد اوضحت النصوص المسمارية قيام المعابد بممارسة أعمال اقراض الفضه والشعير ،ومن أبرز الادلة المادية على ذلك فائدة الفضة التي كانت تسمى بفائدة الاله شمش ،أي بمعنى الفائدة التي كان معبد الاله شمش يفرضها على من يفترض منه الفضه ۰

سادسا : عالم مابعد المـوت

اعتقد الانسان العراقي القديم في حتمية الموت بالنسبة لجميع البشر ،وكان الموت عندهم من طبيعة الانسان وتركيبه اذ أنه خلق ومعه حياته وموته وهو قانون طبيعي قدرته الالهه عندما خلقت البشر وفي الوقت ذاته

فانه لم يتصور أن الموت غاية تنتهي عندما الحياة وتنعدم انعداما كليا ،وانما يعني الموت عندهم انفصال الروح عن الجسد ،وأن الميت لايعود هو نفسه الى الحياة بل الذى يعود منه هو الروح التى تحيا الحياة الاخرة فى عالم الارواح وهو العالم السفلى حيث تعيش هناك الى أبد الابدين من غير قيامه ولارجعه ،ومع هذا الانفصال بين الجسم والروح فانه تبقى بعض الصلة بين الاثنين بعد الموت .

واعتمدت راحة الروح فى عالم الارواح عندهم على العناية التى يبذلها الاحياء فى دفن الجسم وفق الطرق والقواعد الدينية وعلى مايودع فى القبر من أثاث وطعام وعلى القرابين التى تقدمه لقبره فى المناسبات المختلفة . أما الاشخاص الذين يموتون غير طبيعى أو أن أجسادهم تترك بلا دفن فأن أرواحهم تتعذب و تتحول الى قوة شيطانية و تخرج من العالم السفلى و تصعد الى العالم العلوى و تقلق راحة الاحياء على سطح الارض

واعتقد الانسان العراقى القديم أن ظل الميت يفترق عن جسده مباشرة عقب الموت ويتحول الى روح شريرة ،وهي لاتستريح طالما لم يدفن الجسد " ان من يبقى جسده ملقى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى الحقول يظل خياله عير مستقر فى الارض . وان من لايعنى أحد بخياله يقتطع مايصل الى يده فى مطافه السريع من بقايا الاطعمة الملقاه فى الشارع ليأكلها (٣٣). وعلى ذلك فان الحرمان من الدفن كان اقصى عقوبة للمتوفى .

وتسمى روح الانسان بعد مماته فى السومرية " كيديم" وفى الاكدية " ايطيمو " واعتقد ان هذه الروح هى التى تتحمل حسنات او سيئات الشخص المتوفى ،ومقر سكنى الروح هو العالم السفلى .

و يمثل العالم السفلى عندهم الطبقة الاخيرة من الارض حيث كانت تمتد فوق سقفه المياه الجوفية العميقه وقد وصفوه بأنه عالم مخيف يحيط به سبعة أسوار يحرسها مردة الشياطين وسموه بأسماء مختلفة منها " كيجال " و " الارض التى لارجعة منها ،ويسكن فيه و يحكمه آلهة شديدة قاسيه يساعدها مجموعة من الشياطين . والكتاب لتسجيل الموتى .

ويرى بعض الباحثين (٣٤) أن السبب الذى دعا سكان العراق القديم وبخاصة سكان القسم الجنوبى منه لان يجعلوا من باطن الارض مقرا لعالمهم السفلى يعود الى طبيعة الجو

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى هذا القسم ،حيث أن جو العراق بشكل عام حار ورطبه وحرارة جنوبه صيفا شديدة نسبيا ،ولذلك صارت الاماكن المبنية فى عمق الارض كالسراديب مثلا من أفضل الاماكن التى يقضى الناس فيها اوقاتهم بعيدا عن تلك الحرارة وعن الرطوبة أيضا ٠

وقد اضطرب افكارهم حول حالة الموتى فى العالم السفلى ،ولكنهم اعتقدوا بوجه عام أنه عالم مخيف يكاد يتساوى فيه الموتى ،ولاقيامه أورجعه منه ،أى أنهم لم يعتقدوا بعالم آخر للثواب والعقاب اى لاجنته ولانار عندهم فى الاديان الاخرى ولكنهم كانوا يلطفون فى بعض الاحايين من هذه الصورة الناتجة حيث وردت فى بعض مآثرهم و لا سيما فى اللوح الثانى عشر من ملحمة جلجامش اُن بعض الموتى ممن خلفوا الحسنات والمآثر الصالحة او ممن مات عن أولاد ولاسيما الذكور ،أو من قدمت له القرابين على الدوام يعيش فى هذا العالم عيشا فيه بعض الراحة حيث يمنح الماء والطعام،كما تشير بعض النصوص كذلك الى أنهم اعتقدوا بنوع من الحساب عندما تدخل الارواح فى عالم الاموات(٣٥)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد عبرت الملاحم والاساطير العراقية القديمة عن أفكار الانسان العراق القديم ومعتقداته بشأن الموت فى العالم الآخر ،وسنتناول فى الفصل الخاص بالادب بعضا من هذه الاساطير •

الحواشى

(١) انظر : احمد امين سليم : القيم الاخلاقية والسلوكية فى العراق القديم ،بيروت ،١٩٨٤ ،ص ٩-١٢•

(٢) راشد البناضورى : المدخل فى التطور التاريخى للفكر الدينى ،بيروت ،١٩٧٦ ،ص ٥٥ – ٥٦•

(٣) طه باقر: مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة ، القسم الاول ،تاريخ العراق القديم ،بغداد ١٩٥٥ ، ص ٢٢٥ – ٢٢٦ •

(٤) فتكون هذه القصيده من سبعة آلواح وتعرف فى الاكدية باسم Enuma Eliy

انظر : Speiser, E.A., "The Creation Epic: in pritchard J.B, Ancient Near Eastera Texts Relating to the old Testament, third Edition, princeton, 1969,pp. 60-61.

(٥) فوزى رشيد : المعتقدات الدينيه ،مجلد حضارة العراق جا ،بغداد ،١٩٨٥ ،ص ١٤٩ – ١٥١

(٦) J acobsen, T.,"The Cosoms as A state" ,in Before philosophy, pelican Books,chicago, 1949, p 153.

(٧) Kramer, S.N., In Assyriological Studies oriental Institute, University of Chicago, vol. XII, 1942, pp 38, 40

op cit. pp 154 - 155.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٨) Ibid., p. 157., Ebeling, E., Keilschrifttexte aus Assur religiösen Inhalts 25, III, 21 - 29.

(٩) Ibid, 375. II , 1 - 8.

(١٠) Jacobsen, J., op, cit, p. 157.

(١١) صموئيل نوح كريم : ابنانا ودموزى ،طقوس الجنس المقدس عند السومريين ،ترجمة نهاد خياطه ،بيروت ، ١٩٨٧ ،ص ٨٠ – ٨١

(١٢) نفس المرجع السابق ، ص ٨٤

(١٣) صموئيل نوح كريم : اساطير العالم القديم ،ترجمة احمد عبد الحميد يوسف ومراجعة عبد المنعم ابو بكر ، القاهرة ، ١٩٧٤ ،ص ٧٨ – ٧٩

(١٤) Cuneiform Texts from Babylonian Tablets, etc., in the British Museum, XXXVI, pl.31,1-20

(١٥) صموئيل نوح كريم : ابنانا ودموزى ،ص ٨١ – ٨٤ .

(١٦) طه باقر : المرجع السابق ،ص ٢٥٢ – ٢٥٣.

(١٧) ل.دبلابورت : بلاد ما بين النهرين ، الحضارتان البابلية والاشورية ،ترجمة محرم كمال ،ومراجعة عبد المنعم أبو بكر ، القاهرة ،مجموعة الالف كتاب (٣٥) ،ص ١٧٠ – ١٧١

(١٨) نفس المرجع السابق ،ص ١٧٣

(١٩) صموئيل نوح كريم : المرجع السابق ،ص ٥٠

(٢٠) Sepeiser, E., A.op cit., p. 66.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٢١) انظـــر :
ديلابورت ،ل : المرجع السابق ،ص ١٨١ – ١٨٤ ،فاضل عبـــد الواحد على : العرافه والسحر ،مجلد حضارة العـــراق ، الجزء الاول ،بغداد ١٩٨٥ ،ص ٢٠١ – ٢٠٥ ،سامى سعيـــد الأحمد : معتقدات العراقيين القدماء فى السحر والعرافة والاحلام والشرور ، الموءرخ العربى العدد الثانى(١٩٧٥)

(٢٢) انظر فى ذلك على سبيل المثـــال :ـ

Leonard, W, the Letters and Inscriptions of Hammurabi, 1898, p. 159.

(٢٣) انظر : فاضل عبد الواحد على : المرجع السابق

(٢٤) Francois Thureau-dangin, Les Inscriptions de sumer et d'Akkad, 1905, p. 329.

(٢٥) Ibid., p. 237.

(٢٦) Kramer, S.N., History Begins at Sumer, N.y, 1952, pp. 204 - 207.

(٢٧) صموئيل نوح كريم : المرجع السابق ،ص ٩١

(٢٨) Seuish quartery review, vol. 75 (1967)pp 370 - 380.

(٢٩) طـه باقـــر : المرجع السابق ،ص ٢٧٧ .

(٣٠) فـــوزى رشيد : المعتقدات الدينيه ،ص ١٨٦ .

(٣١) رشيد الناضورى : المدخل فى التطور التاريخي للفكر الدينى بيروت ١٩٧٦ ،ص ٦٢ – ٦٣

(٣٢) فـــوزى رشيد : المرجع السابق ،ص ١٨٩ – ١٩٠ .

(٣٣) ديلابورت ،ل : المرجع السابق ،ص ٢٠٥ – ٢٠٦ .

(٣٤) فـــوزى رشيد : المرجع السابق ،ص ١٧٩ .

(٣٥) طـه باقـــر : المرجع السابق ،ص ٢٣٣ – ٢٣٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأدب

خلف العراقيون القدماء تركه ضخمه مدونه على الالواح الطينية تتميز بتنوع الموضوعات المسجلة عليها مابين الاساطير الدينية ،والحكم والامثال والنصائح ،والمناظرات الفلسفية التى تدور حول العدالة الالهية والمفاهيم والقيم الاجتماعية ،والتراتيل والصلوات والادعية ،وبعض القصص، وقصائد الغزل ،وبالمرثيات التى تسجل أحداث تاريخية تتصل بالكوارث التى حلت ببعض المدن العراقية • وتمثل هذه المدونات الادبية نسبة ضئيلة جدا من الكتابات التى وصلتنا اذ تكون غالبية الكتابات من نصوص اقتصادية •

ويعتبر الانتاج الاولى مرآة صادقة تعكس كثيرا من المعتقدات الدينية والعادات والتقاليد الاجتماعية،ولقد حافظت الاداب فى العراق القديم على اصالتها الى حد بعيد ويرجع ذلك بشكل رئيس الى حرص النساخ القدامى على نسخ الاعمال الادبية من مصادرها الاصلية القديمة كما حرصوا على مطابقتها وتدقيقها ،ومما قد يدل على ذلك حرص الكتاب على تذييل مايقومون بنسخة بعبارة " كتب ودقق وفق النسخة الاصلية " ثم يذكر اسمه وأحيانا اليوم والشهر الذى أتم فيه النسخ ولامر من قام به •

ومما تجدر ملاحظته فى نصوص العراق القديم الادبية انها تعتمد على أسلوب التكرار والاعادة فى بعض الاحيان

خاصة عند رواية خبر عل لسان رسول الى واحد او اكثر من شخوص الاسطورة ،ورغم متافى هذا التكرار من ملل الا انه لايخلو من فائدة للباحث اذ يساعد فى كثير من الاحيان على ترميم الاجزاء المفقودة عندما يتعرض النص الى الكسر.

ومن الامور الهامة عند دراسة الادب فى العراق القديم معرفة اللغة التى دون بها ،فقد سادت بلاد الرافدين لغتان مشهورتان هما اللغة السومرية واللغة الاكدية ،والاخيرة هى الفرعالشرقى من عائلة اللغات السامية . اما اللغة الاولى وهى السومرية فكانت هى السائدة منذ معرفة التدوين أى منذ أوائل الالف الثالث ق.م ،وغلبت الثقافة السومرية بلغتها وآدبها ومعارفها المختلفة . ولكن فى الربع الاخير من الالف الثالث ق.م بدأ يبرز كيان الساميين السياسى وانطبع ذلك على الاداب فبرزت لغتهم فى الكتابة وتزايد استخدامها حتى طغت على اللغة السومرية منذ مطلع الالف الثانى قبل الميلاد ،ولم يؤدى ذلك الى اندثار اللغة السومرية،بل بقيت الثقافة السومرية حية واستمر التدوين بالسومرية جنبا الى جنب مع اللغة الاكدية بفرعيها الاساسيين البابلية والاشورية وعلى هذا الاساس فانه لايمكن فهم النصوص الادبية مالم يؤخذ بعين الاعتبار هذا الازدواج اللغوى سواء كان ذلك من ناحية تأثر النتاج الادبى البابلى بأصول سومرية ،أم من حيث استعمال الكثير من المصطلحات الكتابية السومريةفى القطع

الادبية البابلية ،وتأثر هذه القطع بالاساليب اللغوية والادبية السومرية .

وتناول الادب فى العراق القديم موضوعات متعددة منها أدب الاساطير ويتضمن نشأة الخليقة وأصل الوجود والاشياء وأساطير مابعد الموت ،والملاحم وأعمال البطولة ،وآدب القصه وأدب الحكمه ،وأدب المفاخرة والمناظرة ،وأدب الحب والغزل وأدب الرثاء ،وأدب السخرية و الفكاهه . وسنقوم فيمايلى بالقاء الضوء على بعض أنواع هذا الادب لنتعرف على طبيعته ومغزاه و نبدأ دراستنا للأدب بالشعر.

(١) الشعر

خضع الشعر السومرى والبابلى لبعض القواعد فى النظم والتأليف ،ومن ذلك أنه كان يتألف من أبيات قوام كل بيت صدر وعجز وهما يتشابهان فى المعنى والتأليف و كل منهما يتكون من مقاطع-من مقطعين الى ثلاثة مقاطع طويلة ،ويؤلف بيتان من الشعر وحدة فى المعنى ،ويمتاز النظم فى كل من الشعر السومرى والبابلى بأن الشعر موزون ولكنه غير مقفى فيكون ،أشبه بالشعر المرسل ،وقد تؤلف أربعة أبيات من القصيدة وحدة فى المعنى فتكون القصيدة وحدة من الرباعيات وقد يستعمل كتبة الشعر بعض العلامات او الفواصل بين مصراعى (الصدر والعجز) البيت الواحد ،وبين كل بيت وبيت[١].

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويمكن أن ترجع أولى المؤلفات الشعرية السومرية الى القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد ،ومن أوضح الامثلة على ذلك ترتيله طويلة الى عهد الملك جوديا حاكم لجش وذلك حوالى عام ٢١٠٠ ق٠م ،وهى مسجلة على اسطوانيتين من الطين قسمتا الى أربعة وخمسين عمودا ،وهى تعرف باسم اسطوانتى جوديا B . A ،وتنطوى المادة المسجلة فى هاتين الاسطوانتين العديد من أوجه الثقافة السومرية فى الدين والفن والعمارة والتجارة والاخلاق ،وسنورد فيمايلى بعضا مما جاء فى الاسطوانة A (٢)

عندما كان القدر يكتب على السماء والارض
رفع راس لجشى عاليا نحو السماء ،وفقا للناموس الاعظم
و نظر بعين المحبة الى الرب ننجرسو
وأظهر الى الوجود كل مايحى المدينة ،وفقا للناموس الاعظم ٠
القلب فاضت ضفتاه، نحوها
قلب انليل فاضت ضفتاه نحوها
مياه الفيضان أشعت بضياء نحوها
قلب انليل ذى الجلال ،ونهر دجله ،جلبا اليها عذب المياه ٠

قال ننجرسو رب المعبد :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

" معبد انينو ،سوف يسمو ناموسه على السماء والارض
وجوديا ، الملك الصالح ، الفهم الاديب ،يعطى أذنـــا
يقوم بجليـــل الاعمـــال
يسوق الى هناك عجولا وكباشا سليمـــه ،
يرفع راسا الى القرميد المبارك
لقد وطن نفسه على تعمير البيت
فى ذلك اليوم ،رأى ربه ليلا فى الرؤيا ،
أمره ننجرسو أن يعمر البيـــت ،
وأطلعه على ناموس انينو الاعظم الخير،
ولكن مقاصد ننجرسو كانت غامضـــــة

فتمتم جوديا بهذه الكلمـــات :

" تعال الان ،لسوف انبئها ،لسوف انبئها
لعلها تقف الى جانبى فى هذه المسألة
لى ،أنا الراعى ،صدر أمر ملكـــى،
لاأعرف معنـــاه ،
سأقص منامى على والدتـــى ،
لعل المؤولة ، العارفة بصعتهـــا ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العزيزة نانشـه ، اخت سيبارا ـ شمنا ،
تفسر لى معنـاه
وضع قدمه فى قاربه الـ " ماجور "
وجذف القارب نحو مدينته نينا الواقعة على قنـاة
نيناجـن
أبحر والقناة الجديدة بحمولات الفرح
بعد ان بلغ البجارا ، المنزل الذى يمتد والقنـاة
الجديـدة
جاء بقرابين الخبز ، وسكب الماء البارد
خطا نحو ملك البجارا (ننجرسى) وتوجه اليه بالدعاء
" أيها البطل ، والاسد الهصور الذى لايباريه أحد ،
ننجرسو ، الشديد البأس فى الأيـزو ،
الذى يوفر الامن الى نيبـور ،
أيها البطل ، لقد أعطيتنى أمرا ،
وسوف انفذه مخلصـا ،
ننجرسو ، سوف أبنى لك بيتـك ،
سوف انفذ لك الناموس بحذافيره ،
فلتتفضل اختك ، الابنة المولودة فى اريدو ،
التى يعتمد عليها فى صنعتهـا ،
السيدة العارفة بعلوم الالهـه ،
العزيزة نانشيه ، اخت سيارا ـ شمنا ،
وتدلنى على طريق الحلـم ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اجيب الى دعائه ،

قرابينه وصلواته ،

قبلها السيد ننجرسو من جوديا ،

وجوديا أقام وليمة " اش اش " فى بيت بجارا ،

صعد الرجل الصالح الى بيت " جتوم دوج" الى حيث مخدعها ،

آتاها قرابين الخبز ،وسكب الماء البارد ،

صعد الى "جتوم دوج " وتوجه اليها بالدعاء ،

" سيدتى ، ايتها الابنة المولودة من " ان " ،

التى نعتمد عليها فى صنعتها ،

الالاهه التى تعيش وراسها مرفوع فى البلاد ،

التى تعرف حاجات مدينتها

انت " ايتها السيدة " الام التى اسست لجش "

عندما وقعت عينك على البلاد ،نزل القطر وفاض الماء ،

عندما وقعت عينك على الانسان ، امتدت له الحياة .

أنا ممن ، لاأم لهم ،فأنت امى ،

أنا ممن لا أب لهم ،فأنت أبى ،

أنت نقلت بزرتى الى الرحم ،وولدتنى فى الحرم ،

" سيدتى جتوم دوج ، الحكيمة والصالحة ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اضطجعت بالقرب منى ليلا ،

انت سيفى الصمصام ، الملتصق بى ،

انت ....

انت اعطيتنى نسمة الحياة ،

انت يامن انت دثار وسيع ،

فلا نعم يظلك ،

و لتلق على ،أيتها السيدة جنوم دوج ،راحة يدك

النبيلة الرفيعة الشأن

أنا ذاهب الى المدينة ،ليكن فالك خيرا،

الى نينا ،الرابية الطالعة من الماء ،

ليتقدمنى جنبك اللطيف ،

وليجمنى من خلف ملاكك الحارس اللطيف ،

تعالى الان ،سأنبئها بالحلم ،سأنبئها بالحلم،

لعلها تقف الى جانبى فى هذه المسألة ،

سوف اجئ بحلمى الى أمى ،

لعل المؤولهة ،العارفة بصنعتها،

عزيزتى نانشيه ،اخت سيارا شمتا ،

تفسر لى معناه ،

أجيب الى دعائه ،

قرابينه وصلواته ،سيدته ،

جتوم ـ دوج تقبلتها من جوديا،

انطلق بقاربه الـ " ماجور "،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أرسى قاربه في مرفأ مدينة نبينا ،
الرجل الصالح رفع رأسه الى السماء في باحة قصر
سيارا ــ شمتا ،
قدم قرابين الخبز ،وسكب الماء البارد ،
صعد الى ناتشيه ،وأنشأ يصلى
" ناتشية ــ ايتها السيدة الجليلة ،سيدة الناموس
الثمين ،
السيدة التى تكتب الاقدار كالنيل ،
العزيزة ناتشيه التى آمرها دائم ،أيذى ،
انت ،مفسرة الالهه ،
انت ،سيدة البلاد ،أم الروى والاحلام ،
فى منامى ــ رجل
كالسماء فى عظم جرمه ،كالارض فى عظم جرمه
هو ــ راسه راس اله ،
جناحاه جناحا طائر امدوجود ،
قائمتاه قائمتا عفريت طوفان ،
عن يمينه وشماله آسدان يربضان ،
أعطانى الامر بتعمير بيته ،
لاأدرى ماذا يريد ،
" الشمس طلعت لى من الافق ،
امرأة من هى ليست تكون ! من هى تكون ،
وضعت .. على الرأس ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

امسكت قصبة اللوح القضية المضيئة باليد ،
استندت لوح نجم على الركبة ،
تتشاور معه ،
" ثم ،بطل ،
لوى الذراع ،امسك كتلة من حجر اللازورد ،
للمنزل ،رسم مخططا عليها ،

" أمامى سلة مقدسة زرعت ،
قالب قرميد مقدس اقيم مستويا،
قرميد القدر وضع فى قالب القرميد من أجلى ،
فى عوسجة " الداج " المزروعة أمامى ،
عصافير " تييو " مابرحت تغرد طربا ،
ومهر حمار نبيل " اليد اليمنى " لمليكى،كان يضرب
الارض بقائمته ـ ناقد الصبر "

الى الرجل الصالح ،أمه نانشيه تعطى الجواب :
" ياراعى انا ،منامك سأفسر:
الرجل العظيم الجرم كالسماء ، العظيم الجرم كالارض
وراسه راس اله ،
وجناحاه جناحا طائر امد وجود ،
وقائمتاه قائمتا عفريت طوفان ،

وعن يمينه وشماله اسدان يربضـــان ،
ان هذا لهو أخى ننجرسـو ،
أمرك ان تعمر له معبد انينو،

و الشمس التى طلعت لك من الافق ،هى الهك،
ننجش زيـــدا ،
مثل الشمس طلع لك من الافق ،

العذراء التى وضعت ... على الرأس ،
وأمسكت قصبه اللوح القضية المضيئة باليد ،
وأسندت لوح نجم على الركبـــة ،
تتشاور معـــه ،
ان هذه لهى أختى ندابـــا ،
لكى تعمر البيت طبقا للنجوم المقدسة ،
دعتـــــك ،

" ثم – بطـــل –
لوى الذراع ، امسك كتلة من حجر اللازورد ،
ان هذا يتذوب برسم مخطط البيت عليها،

" السلة المقدسة التى زرعت أمامـــك ،
قالب القرميد المقدس الذى أقيم مستويا،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قرميد القدر الذى وضع فى قالب القرميد ـ
ان هذا قرميد انينو الذى يقاوم ...
" فى عوسجة الداج المزورعه امامسك ،
عصافير تيبو مابرحت تغرد طربا ،
فى أثناء تعمير البيت ،لن يأتى الرقاد الحلوالى
عينيك ،

" مهر الحمار النبيل ، اليد اليمنى لمليكك ، الذى
كان يضرب الارض
بقائمته نافد الصبر ،
ان هذا أنت ،كمهر الحمار النبيل سوف تضرب الارض
فى انينو " .

بعد أن فرغت الالهة من تأويل الحلم ،مضت من تلقاء نفسها فى اسداء النصح الى جوديا : عليه ان يأتى بهدايا من السلاح الى ننجرسو المحب للهدايا ، الذى عرف أيضا بالحرب ،عليه ان يأتى بها الى المعبد و معه ،قيثار " الاله الشهير ، اشموجال ـ جلاما ،وبذلك يرق له قلب الاله ويكشف له عن كامل مخطط بيته ،ويتحمس من أجله :

" سوف أعلمك ،تقيد بتعليمى :
توجه بخطاك الى جيرسو ،جبهة لجاش ،

انـزع الـختـم عن مخزنـك ،خذ الـخشـب ،

اصنع عربـة لـمليكـــك

اعقـل مهر الـحمـار الـنبـيـل الـيـهـا ،

زين تـلـك الـعربـة بـالـفضة الـمضيئـة و حجر الـلازورد

كـالـشمس ،أطلـق الـسهـام من الـكـنـانـة ،

ركب بـاحكـام سلاح الانجـارا ،قـوة الـبـطولـة

انسج لـه رايـتـه الـمحبـوبـة ،طرز اسمك علـيـهـا ،

امثـل امـام الـبـطل الـذى سحب الـهـدايـــا ،

ملـيكك ، الـسيـد ننجرســـو ،

الـمصحوب بقيثاره الاثير اشموجال ـ جلاما

آلـتـه الـطنـانـة الـداشعة الـصيت ،ذات الـنبـوءة

ادخل الـى انيـنـو ـ امد وجد ـ بيـار .

سوف يـتـقـبـل كلمتك الـمـتـواضعة كمـا يـتـقـبـل كـلـمـة نـبـيـلـ

الـرب ،قـلـبـه وسيع كـالـسمـــــاء ،

قلـب ننجرسو ، ابـن انـلـيـل سوف يرق من آجلـــك ،

سوف يـكشف لـك كل مخططات بيـتـــه ،

الـبطل ذو الـنـاموس الاعظـــــم ،

سوف يمد لـك يـــدا " ،

يـقـوم جوديـا ،علـى حد روايـة شاعرنـا ،بـتـنـفـيـذ تعلـيـمـ

ـانـشيــه بحذافيرهــــــا :ـ

الراعى معطى " جوديا " ،
يعرف كثيرا ، يصنع كثيرا ،
اعتنى براده الملكة التى نطقت بها نانشيه اليه ،
نزع الختم عن المخزن ، وأخذ الخشب ،

من اكثر المقاطع شعرية فى هذه الترتيلة مقطع يتعلق بعلامة او بشارة يطلبها من ننجرسو ، لانه لم يزل يشعر أنـــه لم يفهم مراد الاله تماما يبدا هذا المقطع حين يتجه ننجرسو نحو جوديا ، وكان اضطجع لينام عله ان يتلقى بشارة الالـــه فى المنـــام :

ثم الى النائم ، الى النائم ،
خطأ ننجرسو ، وبيده لمس قدميـه ،
انت يامن سوف تعمره لى يامن سوف تعمره لى ،
ايها الرجل الصالح ، يامن سوف تعمر البيت لى ،
اى جوديا ، لاعطك العلامة على تعمير بيتـــى ،
ولانبئك بطقوسى طبقا لنجوم السماء المقدسة ،

" بيتى ، انينو الذى لى ، اسسه آن ،
الذى ناموسه هو الناموس الاعظم ، أعظم من كل ناموس ،
الـ ـت الذى ملكه ترى عيناه كل بعيد ،
و ـام صرخته ، التى كطائر امد وجود ، تتزلزل السموات ،

وعظمته المخيفة تصل الى السماء ،
بيتى ،هيبته العظيمة تطغى على كل البلاد ،
باسمه جميع البلاد تجتمع من أقطار السماء،
ماجان وملوخا تهبطان اليه من الجبال ".

يم يمضى الاله فى تعداد سلطاته الواسعة ،وأسمائه الخصوصية التى وهبه اياها الالهان العظيمان آن وانليل ودوره الهام فى ادارة حكم المدينة ،ثم يختم خطابه بوعد لاهالى لجاش بالثروة والرفاه بهذه الكلمات الرنانة :

" عندما تضع يدك على بيتى ، البيت الاول فى جميع البلاد،
ذراع لجاش اليمنى ،
تلك التى تزأر كطائر الامدوجود فى كبد السماء
الانينو ،بيتى الملكى ،
أيها الراعى الامين ،جوديا ،عندما تضع يدك الامينة
من أجلى ،
عندئذ ادعو السماء لكى تمطر ،
وينزل الفيض اليك من السماء ،
وينعم الناس بهذا الفيض ،

" بتأسيس بيتى ،سوف يأتى الفيض ،
الحقول الفسيحة سوف يطول زرعها من أجلك ،

الانتية سوف تفيض عن حوافيها من أجلك ،
فى الروابى التى لم يرتفع اليها ماء،
سوف يرتفع الماء من أجلك ،
وسومر سوف تسكب كثيرا من الزيت من أجلك ،
وسوف تزن لك الكثير من الصوف ،
فى اليوم الذى تملأفيه مصطبتى ،
فى اليوم الذى تضع يدك الامينة على بيتى ،
سأضع قدمى فى الجبل ،
حيث تقيم ريح الشمال ،
وكانسان ذى قوة هائلة ،ريح الشمال ،
من الجبل ، المكان الطاهر
سوف تهب راسا نحوك ،

(لأنه) بعد أن أكون أعطيت نسمة الحياة للناس ،
سوف يقوم رجل واحد بعمل اكثر من عمل رجلين ،
فى الليل ،نور القمر سوف يضيء من أجلك ،
فى النهار ، الشمس الساطعة سوف تشع من أجلك ،
البيت سوف بيتى من أجلك فى النهار ،
وسوف يرتفع عاليا فى الليل ،

من تحت ،شجرة " حلوب " ، الـ(....) المنعشة ،
سوف يؤتى بها اليك ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من فوق ،شجرة الارز والسرو وشجر الزبلوم ،
سوف يؤتى بها اليك فى يسر ،
من بلاد البلوط ،
البلوط سوف يؤتى به اليك ،
فى بلاد حجر" نا " حجر "نا" الجبلى الكبير ،
سوف ينحت ألواحا من أجلك .

فى ذلك اليوم ،نار سوف تلقح ذراعك "
فتعرف عندئذ علامتى "،

يستيقظ جوديا من نومه ،ثم يمضى فى تطهير المدينة بعد أن حصل على علامه الاله ،من الناحيتين الفيزيائية والروحية ،أو كما عبر عن ذلك الشاعر فى كلمات تكشف عن الفجوة بين المثل العليا الاخلاقية التى كان يتحدث عنها السومريون و بين ممارساتهم اليومية :-

استيقظ جوديا ،كان نوم ،
وارتجف ،كانت رؤيا ،
احنى رأسه للكلمة التى نطق بها ننجرسو ،
وراح يتفحص جذيا كل البياض ،
الجدى الذى تفحصه ـ كان فأله حسنا ،
الى جوديا ، المعنى الذى أراده ننجرسو،
جاء مثل الشمس ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يعرف الكثير ،ينجز الكثيـــر ،

الرجل الصالح علم المدينة ان تكون مثل رجل واحـد ،

ان يكون واحدا قلب لجاش مثل ابناء لام واحدة ،

ذرع اشجارا ،قلع شوكـــا ،

نزع الاعشاب الضارة ، ازال اسباب الشكوى ،

و آزال لسان الكرباج و العصـــا ـ

وضع فى مكانه الصحيح صوف النعجة ـ الام ،

الأم لم تنطق شيئا بحق ابنهـــا ،

الابن لم يعارض امـــه ،

العبد الذى أســاء ،

مولاه لم يضربه على رأســه ،

الجارية ، الاسيرة ، التى أوقعت أذى ،

مولانها لم تصفعها على وجههـــا ،

الى الرجل الصالح الذى يعمر البيـت ،

الى جوديا لم يشتـك أحـد ،

الرجل الصالح نظف المدينة طهرها بالنـار،

الوسخ ، الفاجر ، الـ " جايان " ،طرد من المدينة ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٢) الأساطير الدينيـــة :

تدور أساطير السومريين والأكاديين حول الخلق وتنظيم الكون ومولد الالهه و حبهم وكرههم وحول أحقادهم ومؤامراتهم وبركاتهم ولعناتهم و أعمالهم الخلاقة و الهدامة وحقيقة الموت المؤكدة ،وسنتناول فيما يلى بعضا من هذه الاساطير:

(أ) اسطورة الخليقة البابليــة

تعد هذه الاسطوره من اكمل واطول النماذج المتصلة بموضوع الخليفة و أصل الاشياء ،وهى تعرف عند علماء الاشوريات باسم " ألواح الخليقة السبعة " ،ولقد سماها البابليون " اينوما ايليش " (حينما كان فى العلا) لان أول بيت من الشعر فيها يبدأ بهذه العبارة .

واهتم العلماء بدراسة هذه الاسطورة منذ الربع الاخير من القرن التاسع عشر الميلادى وكان من أوائل العلماء الذين قاموا بدراستها جورج سميث عام ١٨٧٦ و ذلك فى
The Ghaldean Account of Genesis

وجاءت الوثائق الخاصة بهذه الاسطورة من مصادر ثلاث ، الاول ، حفائر البعثات الانجليزى فى نينوى التى نشرت عام ١٩٠١ ،ثم نشرت مرة اخرى عام ١٩٠٢ فى :

King's, L.W., The Seven Talolets of creations, 2 Vols, 1902.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والمصدر الثانى ، الحفائر الالمانية فى مدينة آشور والتى نشرها :

Ebeling, E., Keilschrifttexte aus Asswr relingiosen Inhalts, 1915

والمصدر الثالث الحفائر الانجليزية الامريكية فى موقع كيش والتى نشرت فى :

Langdon, S., Oxford Editions of Cuneiform Texts, Vol. Vl, 1932.

ولقد ترجمت هذه الاسطورة ترجمات عديدة الى اللغات الاوربية ولايزال البحث فيها مستمرا ورغم أن تاريخ ألواح الخليقة السبعة ترجع الى القرن السابع قبل الميلاد ، الا أنه يستدل مما جاء فيها أن زمن تأليفها يرجع الى عهد أسرة بابل الاولى والى عهد حمورابى على وجه الخصوص ويتضح ذلك فى تمجيد الاله مردوخ معبود بابل وتعظيم شأنه ومن ثم تمجيد بابل و كان دلك فى عهد حمورابى حينما أصبحت بابل عاصمة لامبراطوريته . وعندما غدت آشور فى الالف الاول قبل الميلاد القوة الكبرى استبدل الكتاب الاشوريون الاله مردوك بالههم أشور ،وادخلوا على القصة بعض التحوير المناسب للبطل الجديد .

ويبدو أن استبدال مردوك بأشور كبطل للقصة لم يكن الاستبدال الاول والوحيد فيها ، اذ سبق النسخة التى تدور حول

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مردوك نسخة آخرى بطلها المعبود انليل ،وهذا يمكن استنتاجه من دلائل عديدة فى الاسطورة نفسها ،أهمها أن انليل ،وان لم يكن على الاقل الاله الثالث من حيث الاهمية بين آلهه العراق القديم ،فانه لايقوم باى دور فى الاسطورة التى بين أيدينا ،بينما تقوم فيها الالهه الكبرى الاخرى ككل بأدوارها الخاصة بها ،ثم ان الدور الذى يقوم به مردوك لايتفق وشخصيته (٣)

وبالنسبة لمحتويات الاسطورة فانها تكاد تكون فى جزءين ، يعالج الجزء الاول منها أصل معالم الكون الرئيسية ويروى الثانى كيفية تأسيس نظام العالم الحالى ،و لكن الموضوعية ليسا بالمنفصلين انفصالا تاما ،فالحوادث فى قسم الاسطورة الثانى يشار اليها فى حوادث القسم الاول، وتتداخل أحيانا فيهما .

و تذكر الاسطورة انه فى البدء لم يكن هناك شىء يذكر سوى الماء العذب (ابسو) والماء المالح (تيامه) وكانت مياههما مختلطة ،ولم يكن قد ولد اى من الالهه ولا ذكرت اسماؤهم ،ومما جاءت ذلك :

حينما فى العلى لم يكن للسماء اسم
وفى الدنى لم تكن الارض شيئا مذكورا
ولم يكن فى البدء غير ابسو وتيامه وكانت مياههما
مختلطة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولم يكن قد ولد أى من الالهه ولاذكرت اسماؤهم
عندئذ تكونت الالهه فيهم ·

و تشير الاسطورة بعد ذلك الى انه تولدت من الاله ابسو والالهه تيامه أجيال متعاقبة من الالهه كان منها الاله " آنو " الذى أصبح عزيما ونظيرا لابائه الالهه العتيقة ثم بعد حين من الوقت آساءت الالهه الحديثة الى آبائهم ولاسيما امهم تيامه وأبيهم أبسو ،فأساء هذا العمل أبسو معزم على ابادتهم جميعا وارجاع نظام الكون الى سابق عهده وكاد ان يفتك بهم ،وفى اللحظة الحاسمة علم الاله " ايا " الذى كان متحليا بالمعرفة والحكمه والقوة ،بالخطه المبيته فلجأ الى سحره المقدس ،فألف تعزيمه قوية وقرآها على الماء (ابسو) فأحل فيه السبات فشله وتلد وابتنى فى جسمه (أى فى الماء) بيته فسكن فيه هو وزوجته ،وولد له ابن هو مردوخ الذى كان على أتم مايكون من كمال الخلق وكان خارق القدره فسر به أبوه وفضله على غيره و علا قدره عل من سواه من الالهه ،ونذكر فيما يلى ماجاء بالاسطورة حول مردوخ وصفاته :

" كان فاتن القوام وعيناه تشعان بالحياة ،
أجمل كانت مشيته مشيه العظماء
فلما رآه أبوه الاله ايا الذى ولده
انشرح صدره وتوردت وجنتاه وامتلأقلبه بالسرور

ولم لا ! فقد جاء كامل الاوصاف يوازى الهين فى العقل
أجل ! لقد كان ممجدا بين الالهه وكان الاعظم بينهم
كان كامن الاعضاء والاطراف الى حد لايصدقه عقل
فلا أحد يفهمه ولاعقل يدركه "

و تذكر الاسطورة أن " تيامة " زوج " أبسو " عزمت على الانتقام من الالهه الحديثة لمقتل زوجها وأخذت تعد العدة لذلك فخلفت أنواعا كثيرة من الشياطين والافاعى وسلحتها بأسلحة فتاكة و أمرت عليها أحد الالهه القديمة وجعلته زوجها وزودته بالسحر وأودعت عنده الواح القدر وسيأت جمعها للبدء بحرب الالهه .

وعندما سمع الالهه بمخطط تيامه لشن الحرب ضدهم أصابهم الزعر وراحوا يفتشون عن وسيلة تنقذهم من دمار محقق، وعمت الفوضى بينهم ،و أخيرا و بعد الاخذ والرد والبحث وقع اختيارهم على الاله مردوخ ليقود المعركة ضد تيامه وجيشها وفى ذلك تذكر الاسطورة :

" وأقاموا له عرشا فاخرا
فتصدر المجلس قباله آباءه الآلهة
وعندئذ بايعوه قائلين : أنت الاعظم إجلالا بين الآلهه
فقرارك لايواتيه شئ ,وأمرك هو أمر السماء
و منذ هذا اليوم ستكون كلمتك ثابته لاتتغير

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فمن شئت ان ترفع او تخفض فأمره منوط بيديك
اجل ستكون كلمتك هى الصحيحة وسيكون قرارك معصوما
من الخطأ ،
ولن يتخط حدودك اى من الالهه
يامردوخ انت بالحق من يثأر لنا
ها نحن نبايعك على ملك الكون بأجمعه
وعندما تأخذ مكانك فى المجلس ستكون كلمتك هى العليا
وسوف لن تقهر اسلحتك بل انها ستحطم اعداءك
ياسيدنا أنقذ حياة من وضع ثقته فيك
وعسى ان تزهق حياة كل اله اقترف المعصية "،

وعندئذ قام القائد مردوخ من مجلسه وتناول قوسه وصولجانه ثم علق القوس والجعبة الى جنبه ،وتقدم وخلفه جنوده ،وقد حمى جسده بدرع هو " الرعب " ووضع على رأسه هاله هى " الرهبه " واطبق شفتيه على تويذه سحرية وحمل بيده نباتا يقذف السم ،واستمر فى التقدم الى أن صار هو وجنده على مقربة من تيامه " ،فخاطبها بلهجة ساخرة أثارت غضبها وجعلتها تفقد رشدها ،وفى ذلك تذكر الاسطورة

" وعندما سمعت تيامه ذلك
صارت كالمجنونة ،لقد فقدت صوابها
واطلقت صرخة عالية من شدة الغضب
فارتجفت ساقاها من الاعماق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثم راحت تقرأ رقية وتلقى بسحرهـــا

فى حين كان آلهة المعركة يشحذون اسلحتهم

ثم التقى الاثنـان ،تيامه ومردوخ أحكم الالهـــه

فشد كل منهما على الاخر فى نزال فردى ثم التحما فـــى

المعركـــــه

وعندئذ أطلق فى وجهها الريح الشريرة التى كانت تتبعه

فلما فتحت تيامه فمها لتبتلعهـــا

أدخل فيه الريح الشريرة لكى لاتستطيع ان تطبق شفتيها

وحالما هاجمت الريح الشريرة جوفهـــا

انتفـخ جسمها وانتفـخ شدقاهـــــــا

انذاك اطلق مردوخ سهمـــا فرق جسمهـــا

اجل لقد قطع أحشاءها وشطر قلبهـــا

ولما تم له قهرها انقض عليها واخمد انفاسهـــا "

ثم تذكر الاسطورة ان مردوخ قسم جسم تيامه الى شطريـن خلق منهما الارض والسماء ثم اسر من كان معها من الالهه وعلـى راسهم كبير قوادها كنكـو بعد ذلك تم خلق الكواكب والاقمـار والمياه والاشجار والنباتات ،ثم قرر مردوخ خلق الانســـان ليقوم بخدمة الالهه ويقدم لهم القرابين لكى تشعر هى بالراحة التامة ،فبارك الالهه الفكرة على ان يخلق الانسام من دم أحد الالهه عندئذ جئ بالالـه كنكو قائد قوات تيامه فذبحـــوه ومزجوا دمه بالطين وخلقوا منه الانسان ،وبعد أن كمل خلـــق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الانسان أسست الالهه معبد مردوخ فى بابل واجتمعوا فيه بعد تمامه فى حفل مقدس حيث منحوا مردوخ أهم ألقابهم واسمائهم المقدسة ،فصار يجمع في شخصه اكثر صفاتهم (٤)

ملحمة جلجامش

اشتهر اسم جلجامش فى آداب العراق القديم وصار موضوعا لعدة ملاحم وقصص سومرية وبابلية ،وهى تدور حول وصف أعماله والمغامرات التى قام بها وبطولاته التى تقترن به ،ومن أشهر القصص والملاحم التى حيكت حول اسم جلجامش وأعماله الملحمة المشهورة بقصة جلجامش ،و هى تتناول موضوعا انسانيا محضا و تتعامل مع أشياء دينوية مثل الانسان والطبيعة ،و الحب والمغامرة ،والالـ[illegible] والـ[illegible]اقة ، والصراع لتكون منها جميعا فصولا تمهيدية لموضوع الملحمة الرئيسى وهو حقيقة الموت المطلقة .

وقد ورد اسم جلجامش فى ثبت ملوك الوركاء و ذلك فى عهد أسرة الوركاء الاولى وذلك حوالى عام ٢٦٥٠ ق.م.

وعثر على ملحمة جلجامش ضمن المؤلفات المحفوظة فى مكتبة آشور بانيبال فى نينوى ،كما عثر فى مدن أخرى على بعض الالواح الطينية التى تكون أجزاء منها ،ويرجح أن أول تدوين للملحمة البابلية كان فى العصر البابلى القديم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى حدود ٢٠٠٠ – ١٦٠٠ ق٠م ،وأنها صارت بشكلها النهائى المعروف حاليا فى الفترة من ١٥٠٠ – ١٢٥٠ ق٠م٠

ولقد امكن تجميع ملحمة جلجامش وأرض الاحياء من أربعة عشر لوح وقطعه ،كشف منها أحد عشر لوح فى نيبور و لوح فى كيس واللوحان الاخران لايعرف المكان الذى جاء منه ولقد قام صموئيل فوج كريمر بترجمة النصوص الخاصة بهذه الملحمة ونشرها عام ١٩٤٧ وذلك فى دوريه :

Journal of Cuneiform stadies, val, I (1947) PP.. 3 - 46 .

كما نشرها كذلك فى :

Ancient Neat Eastern Texts, P.P 47.

ويتضح من دراسة هذه الملحمة أنها اقرب ماتكون الى الجمع الازلى المؤلف من عدة قطع مختلفة ،ولكنها جمعت جمعا أدبيا فنيا لتكون وحدة على هيئة ملحمة ،ويمكن تقسيمها الى ثلاثة أجزاء رئيسية يتصل الجزء الاول باعمال جلجامش ومغامراته والجزء الثانى قصة الطوفان اما الجزء الثالث المسجل على اللوح الثانى عشر فهو يتصل بوصف العالم الاسفل او عالم الارواح كما رآه انكيدو صديق جلجامش (٥)

يبدأ اللوح الاول من الملحمة بذكر مآثر جلجامش ومنجزاته العمرانية فى مدينة الوركاء ،وكيف انه بنى أسوارها ومعبدها المقدس " اى – انا " ،وتصف الملحمة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جلجامش بأنه كان على أتم مايكون من الصوره والخلق وكان قوي الجسم هائل الخلقه ثلثاه اله وثلثه الباقى انسان.

ولقد اخذ جلجامش أهل الوركاء بالعنف والاضطهاد فلم " يترك ولدا لابيه " ،" ولم يترك الزوجه لحبيبها " فاستغاث أهل الوركاء بالالهه لتخلق منافسا له يشغله ،فيجد الشعب شيئا من الراحه " نظيرا له فى البأس وقوة اللب وعندئذ يكون الاثنان فى صراع مستديم لتهنأ المدنية بالسلام والاطمئنان " .

واستجابت الالهه لدعوات أهل الوركاء فخلقت انكيدو القوي وكان مارد الجسم كثا الشعر يعيش فى البرارى يأكل العشب ويعيش مع الظباء وحمر الوحش ،وفى أحد الايام رآه أحد الرعاه فأخبر والده بخبره فقام بدوره باعلام جلجامش به فأشار على الراعى بحيلة مؤداها أن يذهب اليه ببغى و عندما يأتى هذا الوحش لورد الماء تغويه وتعمل على ترويضه ومن ثم تستدرجه الى الوركاء .

ونفذ الراعى الخطه وأخذ البغى وراحا ينتظرن مجىء أنكيدو عند مورد الماء ،وعند مجيئة مع الظباء كشفت له الفتاه عن مفاتن جسمها فتعلق انكيدو بها واغراه جمالها وبقى معها " ست أيام وسبع ليالى " وتغير حاله من بعد ذلك وذهبت وحشيته .ونفرت عنه الظباء والوحوش التى كانت تألفه

ولم يستطع أن يجرى معها ويجاريها بالركض ،فرجع الى البغى وارتمى عند قدميها ،فلما رأته قد استسلم للامر الواقع عرضت عليه الذهاب معها الى مدينة الوركاء حيث يعيش البطل القوى جلجامش ،فقبل انكيدو واعلن تلهفه لرؤية جلجامش ومنازلته .

وعندما وصل انكيدو بصحبه الفتاة الى الوركاء تملكه العجب مما راى فيها من مظاهر الحياة الجديدة التى لم يألفها فى البرارى مع الحيوانات ،وكان عليه ان يتعلم كيف يأكل ويشرب ويدهن جسده بالزيت ويتعطر بالطيب ويرتدى ملابس نظيفة ،وعندما سار انكيدو فى أسواق الوركاء أعجب الناس به وتردى الملحمة فى ذلك :

" سار انكيدو الى الامام وخلفه البغى
ولما دخل الوركاء ذات الاسواق الواسعه
تجمع الناس حوله
حين وقف فى شارع الوركاء ،فى موضع السوق
تجمهر الناس حوله وقالوا عنه :
انه مثيل لجلجامش فى البنية
ولكنه أقصر قامة وأقوى عظما
انه أقوى من فى البرية وذو بأس شديد
لقد رضع لبن حيوان البر فى البادية
وفى الوركاء [illegible] السلاح

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فرح الابطال وهللوا قائلين
لقد ظهر بطل ند وكفو للبطل الجميل
اجل ظهر لجلجامش الشبيه نظيره ومثيله ٠

وفى المساء ،وبينما كان جلجامش يهم بدخول بيت عشتار اعترضه انكيدو وضعه ،عندئذ اشتبك البطلان فى سوق المدينة وبمرأى من الناس ،واستمرا فى صراع عنيف اهتزت له الجدرات وتحطمت لعنفه الابواب ،وبعد جهد تمكن جلجامش من انكيدو وطرحه على الارض ، وعندها هدأ جلجامش وذهبت سورة غضبه ،وأقر انكيدو بتفوق غريمه ،وأعجب البطلان كل منهما بالآخر فصارا صديقين حميمين ٠

وبعد نقص فى الملحمة نجد جلجامش يعزم على القيام بسفر طويل يذهب به مع صديقه الى غابات الأرز فى سورية ليحصلا على الشهرة والمجد ،وتروى الاسطورة فى ذلك على لسان جلجامش موجها حديثه الى صديقه انكيدو٠

" انكيدو ، القرميد والختم لم يأتيا بعد بالنهاية المحتومة ، بودى دخول البلاد ، بودى رفع اسمى ،
فى مكانه حيث الأسماء مرفوعه ، بودى رفع اسمى ،
فى مكانه حيث الأسماء غير مرفوعه ،بودى رفع اسم الآلهة ٠

وتنتقل الملحمة بعد ذلك إلى الاستعدادات التى اتخذها جلجامش ومنها التسلح بأسلحة ضخمة حملاها معهم الى غابات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأرز ، إلا أنه كان لابد من الحصول على موافقة مجلس الشيوخ في المدينة وكذلك مباركة الآلهة لهم ،وبعد أن تمت لهم رحلتهم بعد مشاق وعناء عادوا الى مدينتهم ،واثناء الاحتفال بعودتهم رأت عشتار جلجامش وهو في حلله الزاهيه وسلاحه المصقول فاعجبت به وعرضت عليه الزواج منها ، ولكنه أعرض عنها وأهانها بعبارات ذكرها فيها بما جلبه حبها من الدمار والهلاك على عشاقها السابقين ومما قاله لها.

" انت قصر يتحطم فيه الأبطال

انت قار يلوث حامله

وقربه تبلل من يحملها

فأى من عشاقك من أبقيت على حبه

تعال أفش لك قصة عشاقك

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فمن أجل " دموزى " زوج صباك قد أمرت بالبكاء والنوح كل عام وقد أحببت طير " الشقراق "(٦) الرقش فلطمته وكسرت جناحه واذا هو يندب فى البساتين والاحراش : جناحى! جناحى! "

وحينئذ غضبت عشتار فصعدت الى السماء حيث آنو وطلبت منه أن يخلق لها ثورا مقدسا تقضى به على جلجامش ، الا أن جلجامش وانكيدو تمكنا من القضاء عليه .

حتى هذا الجزء من الملحمة لم يعن الموت شيئا عند جلجاش ،فهو قد قبل مقاييس البطولة المعهوده ،ومقاييس حضانته المعهودة ،وهى أن الموت لابد منه ،ومن العبث التخوف منه ،فهو لم يكن يعرف الموت عندئذ الا كأمر مجرد ، ولم يكن ؤدسه الموت مباشرة بحقيقته الرهيبه ، الى ان يمرض انكيدو فجأه ويموت ،وحينئذ يدرك جلجامش ما لم يدركه من قبل ، فبكاه بكاء مرا ورثاه بعبارات تفيض آلما وحسرة :

" اسمعونى أيها الشيوخ واصغوا إلى
من أجل انكيدو خلى وصاحبى أبكى
وانوح نواح الثكلى
انه الفأس التى فى جنبى وقوة ساعدى
والخنجر الذى فى حزامى والمجن الذى يدرأ عنى
وفرحتى وبهجتى وكسوة عبرى
ولقد ظهر شيطان وسرقه منى

ياخلي ياآخى الأصغر الذى اقتنص حمار الوحش فى التـــلال
والثور فى الصحارى
انكيدو ياصاحبى ، وأخى الصغير
الذى اقتنص حمار الوحش فى التلال والنمر فى الصحـــارى
فأى سنة من النوم هذه التى غلبتك وتمكنت منـــــك
طوال ظلام الليل فلا تسمعنى " .
لم يرفع (جلجامش) عينيه عنه
جس قلبه ، فلم ينبـــض
ثم كسا صديقه كأنه عروس الزفاف
وزأر صوته ـ كأســـد ..... ،
كالبوءه أبعدت عن أشـــبالهـــا ،
وراح المرة تلو المرة يتأمل رفيقه ،
وهو يشد شعره ويبعثره نتفـــــا ،
ويشق ثوبه الفاخر ويمزقه إربا إربا .

لقد كانت خسارته فى صديقه فادحه ، وكانت أفجـــع من أن يتحملها ، فكان رافضا من داخله أن يعترف بها كأمر واقع ،وتعبر الملحمة عن هذا الرفض على لسان جلجلش :

ذاك الذى شاطر فى كل خطر
حتف الانسان المحتوم قد أحاق به
بكيته طيلة النهار وطيلة الليل بكيته

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ورفضت الاذن بدفنه
فلعل رفيقى أن ينهض لصراخـــى ،
سبعة أيام وسبع ليــــال
الى أن سقطت من أنفه دوده
لا عزاء لى منذ أن راح ،
ورحت ، انا كالصيــاد أطوف البرارى "

لقد صار شبح الموت يلاحق جلجامش ويقرعه عندما أدرك أن الموت سيقهره أجلا أم عاجلا مثلما قهر صديقه انكيدو ، وهنا صار يفكر بوسيلة للتخلص من الموت ونيل الحيـــاة الخالدة ، وهنا تذكر قصة جده " أوتور نبشتم " رجـــل الطوفان الذى يعيش فى بقعة نائيه فى البحار البعيـــدة والذى كان قد حصل على الحياة الخالدة ، فعزم جلجاش على شد الرحال إليه مهما كلفه الأمر ليسأله عن سر الحيـــاة الخالــــدة .

وبعد سفر طويل شآق وصل الى جبال أطلقت عليهـــا الملحمة " ماشو " يرجح أن تكون جبال لبنان ،وتصفهـــا الملحمة بأنها الجبال التىتمر من مدخلها الشمس فى سيرهـــا اليومى ،ويحرس ذلك المدخل مخلفوقات غريبة مركبة من انسان وعقرب ، وبعد أن تمكن جلجلش من عبور هذا المدخل ســـار مسافات طويلة فى ظلام دامس الى أن وصل الى بستان تحمـــل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أشجارها الجواهر والدر المتألق ، وبعد البستان يصل إلى ساحل البحر حيث يجد " حانه مقدسة " تقيم فيها احدى الالهات ،ويدخل جلجاش الحانة ،ويقص قصته على صاحبتها ويطلب منها أن ترشده الى الطريق الموصل الى " أتوربنشتم" وهنا تقول له :

" الى أين أنت تسعى ياجلجامش ؟
إن الحياة التى تبحث عنها ،لن تجدها أبدا
لأن الآلهة ،عندما خلقت الانسان ،جعلت
الموت نصيبه ،وأمسكت
بأيديها عنه الحياة •
جلجامش ، املأ بطنك —
أمرح ليلك ونهارك
واملأ أيامك بالمتعه
وارقص واعزف الألحان ليلا ونهارا
والبس القشيب من الشياب ،
وأغسل رأسك واستحم ،
وانظر إلى الطفل الممسك بيدك
ودع زوجتك تتمتع بعناقك
هذا وحده ما يبتغيه البشر "

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكن جلجامش لا يستطيع أن يتصرف عن بحثه ويستسلم كما هو نصيب الناس كلهم ، إنه ليتحرق شوقا الى الحياة الدائمة ،فألحق في سؤال صاحبه الحانه عن مكان "أوتورنبشتم" فلم تجد بدا من أن تدله على ملاح " أوتورنبشتم" الذى صحبه الى الساحل الذى يعيش فيه "أوتورتبشتم " .

وعند وصول جلجامش قص على اوتونبشتم ماحل به والفرض الذى جاء من أجله وهو معرفة سر حصوله على الخلود،فأجابه :

" قال اوتو - نبشتم لجلجامش ... هل بنينا بيتا يقوم الى الأبد ؟ وهل ختمنا عهدا يقوم الى الأبد؟ وهل تبقى البغضاء فى الأرض أبد الأبديين ؟ .. لم يكن خلود منذ القدم ، وياما اعظم الشبه بين النائم والميت ! ألا تظهر على وجهها هيئة الموت ؟ وهكذا العبد والسيد لما ينتهى أجلهما " .

فسأل جلجامش أوتو نبشتم الخالد كيف صار اذا خالدا وهو مثله بشر بل يبدو أضعف منه ، وهنا يبدأ أوتورنبشتم يقص عليه قصة الطوفان الذى حصل من بعده على الحياة الخالده ،وأخبره كيف أنه استطاع انقاذ نسل البشرية من الفناء بسفينته رست بعد انتهاء الطوفان على قمة جبل ، وأنه خرج بعد ذلك من السفينة وقدم القرابين ،فتجمعت الآلهة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من حوله وقررت أن تكافئه وزوجته بالخلود فصار فى مصاف الآلهة .

ثم تساءل اوتورنبشتم وقال مخاطبا جلجاش :"أما انت ياجلجامش فمنذ الذى سيجمع الآلهة من أجلك حتى تجد الحياة التى تبغى ؟ "ومن جهة أخرى آراد أن يفهم جلجامش أنه يسعى وراء شىء مستحيل ،لذلك فإنه اختبره بشىء ليس بمقدور اى انسان أن يفعله وهو عدم النوم ستة أيام وسبع ليال ، وقبل جلجامش الاختبار املا فى الحصول على الخلود، ولكنه سرعان ما غط فى نوم عميق ،وهكذا فشل فى اجتياز الاختبار وعند ئذ أمر اونورنبشتم ملاحه أن يرجع جلجامش الى مدينة الوركاء فلا جدوى فى بقائه بعد ذلك .

ويهىء جلجامش نفسه للعودة يائسا كئيبا ،وفى تلك اللحظة تحث زوجة اوتورنبشتم زوجها على إعطائه هدية وتشفعت له ،وحينئذ رق لحاله وكلمه قائلا :

" سأسر لك ياجلجامش بأمر خفى وسأطلعك على سر من أسرار الآلهة : يوجد نبات شوكه مثل شوك الورد يخز يديك وهو ينبت فى أعماق البحر ،فان ظفرت بهذا النبات حصلت على تجديد الشباب والحياة " . فربط جلجاش برجله حجارة ثقيلة وغاص فى أعماق البحر ووجد ذلك النبات العجيب وعزم على آخذه الى مدينته لينميه ويستفيد منه الناس .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى طريقه الى الوركاء شاهد بركة ماء بارد وكـان ..
اليوم قائظ وقد بلغ به التعب من السفر أقصاه ،فخلع عنه
ثيابه ونزل فيها ليستحم ويزيل عن نفسه وعناء السفر،
وترك على حافة البركه النبته التى أحضرها معه ، وفيما هى
ملقاة هناك ،تشم رائحتها احدى الافاعى ، فتخرج من جحرها
وتختطفها ،وحصلت بواسطتها على قدرة تجديد الشباب ،
اذ كلما أدركها الهرم نزعت عنها جلدها فتجدد شبابها
وتولد فتيه من جديد ، أما الانسان فتستحيل عليه هذه
العودة الى الشباب لأن نبته جلجامش ضاعت عليه ،ويمتلىء
قلب جلجامش مرارة ،ويتأمل فى هذه النهاية لبحثه الطويل :

وعندها قعد جلجامش أرضا وبكى
وجرت الدموع على خديه
....
" لمن أجهدت عضلاتى ،يا أورشنابى ؟
لمن سكبت الدم من قلبى ؟
لم آت لنفس ببركة واحدة
ولم أحسن الصنيع الا لأفعى الثرى "

وهكذا تعكس هذه الملحمة فكرة الانسان العراقى القديم
عن الخلود ،وأنه كان مقدرا للآلهة فقط ،أما الانسان فانه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لم يكن من حقه الحصول عليه .

قصة الطوفان :

كشفت الأدلة النصية التي عثر عليها في العراق القديم عن ثلاث روايات رئيسية تتصل بحادثة الطوفان ،وسنذكر فيما يلي قصة الطوفان كما وردت في النصوص السومرية ،ثم نتبعها بقصص الطوفان البابلية وسنختار منها القصة التي وردت في ملحمة جلجامش لاتصالها بالموضوع الذي سبق وأن أشرنا اليه وهو ملحمة جلجامش .

أولا : قصة الطوفان السومرية :

كشفت بعثة الآثار الأمريكية في الفترة ما بين عامي ١٩٨٩م و ١٩٠٠م عن اللوح الطيني الذي يحتوي على القصة السومرية للطوفان وذلك في مدينة نفر (ينبور) ،ثم قام " ارنوبوبل " Arno Poebel بشرحها عام ١٩١٤م .

وللأسف فإن ما تبقى على هذا اللوح لايتعدى ثلثه الأخير وقد فقدت المقدمة والنهاية الخاصة به ،ويقدر عدد الاسطر التي يتكون منها النص في جملته بحوالي ثلاثمائه سطر ، لم يعثر الا على حوالي المائة منها . وسنحاول فيما يلي القاء بعض الضوء عليها .

بعد ٣٧ سطر مفقود نلتقي بمعبود يذكر أنه سوف ينقذ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البشر من الهلاك وأن الانسان سوف يبنى المدن والمعابد ، وبعد عدة أسطر غامضة تتحدث القصة عن خلق الانسان والحيوان ، ويلى ذلك ما يقرب من ٣٧ سطر مفقود ثم تشير الى القصة الى هبوط الملكية من السماء وتأسيس خمس مدن ، وبعد عدة أسطر أخرى ضائعة تتحدث القصة عن عدم رضى بعض الآلهة عن القرار الذى اتخذ بالفيضان ،ثم تشير القصة الى " زيوسدرا " الذى يوصف بالتقوى ومخافة الآلهة ، وأنه اثناء اقامته بجوار حائط المعبد استمع الى صوت معبوده أنك الذى أخبره بالقرار الذى اتخذه مجمع الآلهة بارسال الطوفان لاهلاك بذره الجنس البشرى •

ويل ذلك فجوة كبيرة ربما كانت تتعلق بالتعليمات الصادرة الى زيوسدرا ببناء سفينة كبيرة ،والجزء الذى يلى الفجوة يصف موضوع الطوفان وما حدث اثناءه الى أن انتهى بعد سبعة أيام ،ثم توجد فجوة أخرى يليها وصف لكيفية نفث الاله لروح الخلود فى زيو سدرا واستقراره فى أرض دلمون حيث تشرق الشمس •

ويمكن ترجمة ما تبقى من قصة الطوفان السومرية على النحو الآتى (٧).

بعد الاسطر المهشمة فى بداية النص التى تقدر بحوالى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣٧ سطرا تذكر القصة :

" ... إن البشر عبادى ،وعن الهلاك المحيق بهم ساعمل ...الى نينتو ... ساعيد مخلوقاتى ساعيد القوم الى مواطنهم، أما المدن ،فحقا سوف يبنون فيها لانفسهم أماكن للشرائع الالهيه ، وساجعل ظلالها فى سلام ،وأما عن بيوتنا فحقا سوف يضعون قوالب بناشها فى أماكن طاهرة ، وهو (أى الاله) قد وجه ... الخاص بالحرم ،واكمل الشعائر ،والشرائع الالهيه المبجلة ،وعلى الأرض ....وقد وضع ... هناك ،وبعد أن خلق اوتو وانليل وانكى وننحرساج البشر " ذوى الرؤوس السود " واردهر الزرع فى الأرض ،وأخرجت الحيوانات ومخلوقات السهول ذوات الأربع الى الوجود بحكمة ... .

(فجوة تقدر بـ ٣٧ سطر) .. وبعد أن أنزلت الملكية السماء ،وبعد ان أنزل " تيارا " المعظم ،عرش الملك من السماء ... أكمل الشعائر والشرائع الالهية المبجلة ، وأسس المدن الخمس فى .... مواضع مقدسة ،وسماها باسمائها وجعلها مراكز للعباده ،وكانت أولى هذه المدن " آريدو " فاعطاها الى " نوديمو" القائد والثانية " بادتبيرا " وأعطاها الى..، وكانت الثالثه " لاراك " وأعطاها الى اندو بيلحورشساج، وأعطى الرابعة " سيبار" للبطل " اوتو" وأما الخامسة و " شورباك " وقد أعطاها الى " سود " وحين سمى هذه المدن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وجعلها مراكز للعبادة ،فانه أحضر ... ثم قرر تطهير الأنهار الصغيرة .....

(فجوة تقدر ب ٣٧ سطر) ... الطوفان ... هكـــذا

حل ب ... ثم بكت سيتو مثل .... وناحت " أنانا "المقدسة من أجل اناسنها ، ثم قام زيو سدرا ، الملك ، الكاهن،وبنى ....ضخما ،مطيعا متواضعا فى احترام ... حاضرا كل يـــوم دائما .... محضرا كل أنواع الاحترام ... ناطقا اسمى السماء والأرض ... الآلهة حائط ... وكان زيو سدرا واقفا الى جانبه وقد سمع ....قد عند الحائط الى جانبى الأيسر ، وعنـــد الحائط سوف ألقى اليك كلمته ... أصغ الى تعليمـــات، بقضائنا .... طوفانا سوف يكتسح مراكز العبادة ،ويقضـــى على بذرة البشر ،ذلك قرار ، انها كلمة مجلس الآلهة ،بناء على الكلمة التى أمر بها " آنو " و " انليل " ... وسوف ينتهى ملكها وحكمها (فجوة تقدر بأربعين سطر ... وهبت جميـــع الزوابع بعنف وضراوة كقوة واحدة ، وبعد ذلك ولمدة سبعـــة أيام وسبع ليال ، اكتسح الطوفان الأرض فيها ،وتقاذفـــت الأعاصير السفينة الضخمة فوق المياه الضخمة وظهر " أوتو" الذى يضيء السماء والأرض ،وفتح زيو سدرا كوة فى الفلـــك العظيم ؛ وأنفذ البطل " اوتون اشعته فى الفلك العظيـــم، وسجد زيو سدرا الملك أمام " اوتون العظيم ،وفى نفس الوقت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اكتسح الطوفان مراكز العبادة ،وضحى الملك بثور وشاه (فجوة تقدر بـ ٣٩ سطر) تنطق أنت " نسمة السماء"و"نسمة الأرض " حقا وتبسط نفسها عنه .... ونادى آنو وانليل نسمة السماء ونسمة الأرض بـ ... فبسطت نفسها ....وازدهر الزرع الذى ينبت من الأرض ،وسجد زيو سدرا أمام آنو وانليل ورضى آنو دانليل عن زيوسدرا ، الملك ، الذى حافظ على اسم الزرع وبذرة البشر ،وفى أرض دلمون ،أرض العبور ، حيث تشرق الشمس أسكناه هناك ...." ثم تلى ذلك فجوة تنتهى بنهاية اللوح .

يلاحظ من دراسة قصة الطوفان السومرية أنها تتضمن عدة وقائع هامة تتصل بخلق الانسان والنبات والحيوان وبأصل الملكية السماوى ،والمدن الخمس التى وجدت قبل الطوفان ،ثم حادثة الطوفان ، التى كانت بلا شك من الأحداث العظيمة التى واجهت الانسان العراقى فى جنوب العراق وذلك رغم تعدد الفيضانات فى هذا الجزء ،ولكن يبدو أن هذا الفيضان الذى تحدثت عنه القصة كان من الضخامة والآثار المدمرة وما صاحبه من عواصف وأمطار بشكل لم يسبق له مثيل ويتجه سير ليونارد وولى Leonard woolley (٨) الى اعتبار هذا الطوفان طوفانا كبيرا لا مثيل له فى أى عصر لاحق من تاريخ العراق القديم ، ويذكر أنه وجد فى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أسفل طبقة المباني السومرية طبقة طينية مليئة وان مصنوعة من الفخار الملون ،ومختلط بها أدوات مصنوعة من الصوان والزجاج البركاني ،وكان سمك هذه الطبقة حوالى ١٦ قدما أسفل المباني الطينية التى يمكن تاريخها بحوالى عام ٢٧٠٠ ق ٠م ،وأن أور قد عاشت أسفل هذه الطبقة فى عصر ما قبل الطوفان ،ولم تجر حفائر فى هذه المنطقة على نطاق واسع ،وكل ما أمكن اثباته هو وجود مدينة قبل الطوفان ، وأن الفخار الملون قد اختفى ، ويستنتج دولى ان سبب اختفائه مرة واحدة راجع الى أن الطوفان قد قضى قضاء تاما على سكان هذه البلاد ، وحتى من بقى منهم حيا فقد فقد القدرة على الانتاج ،فجاء شعب جديد هم السومريون الذين أسسوا حضارة جديدة واستعملوا عجلة الفخار والأدوات المعدنية (٩) .

هذا ويرى وولى أن هذا الطوفان كان مقصورا على الحوض الأسفل لنهرى الدجلة والفرات ،وأنه قد أغرق المنطقة الصالحة للسكن هناك بين الجبال والصحراء ، وأن المساحة التى شملها الطوفان ربما كانت ٤٠٠ ميل طولا فى ١٠٠ ميل عرضا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثانيا : قصص الطوفان البابلية :

توجد لدينا قصتان بابليتان للطوفان الأولى ما وردت فى اللوح الحادى عشر من ملحمة جلجامش أما الأخرى فتعرف باسم تمة بيروسوس ،وسنتناول فيما يلى القصة التى وردت فى ثنايا ملحمة جلجامش والتى كان بطلها " أوتو - بنشتم " (١٠) ابن "وبار - توتو " .

" ... قال اوتو - بنشتم لجلجامش ،سأكشف لك ياجلجامش عما خفى من الأمر ، سوف أخبرك بسر الآلهة ،شورباك مدينة أنت تعرفها على ضفاف الفرات ، وهى مدينة قديمة قدم الآلهة التى بها ، عندما انتوت الآلهة احداث الطوفان ،كان من بينهم " آنو " أبوهم و " انليل " الشجاع مستشارهم و " نينورتا " مساعدهم و " إينوجى " المشرف على الترع ، وكان حاضرا معهم " نينجيكو - أيا " ، واعاد قولهم الى كوخ القصب (ربما كان مسكن اوتو - بنشتم) : ياكوخ القصب ،ياحائط ،ياحائط ، اسمع ياكوخ القصب ، استمع ياحائط ،يارجل شورباك ،يا ابن "وبار - توتو " .

اهدم هذا البيت ،وابن فلكا ،دع الأملاك وانقذ حياتك واهجر المتاع ودع الروح حية ، واحمل على ظهر الفلك بذرة كل شىء حى ،والفلك التى ستبنيها ستكون أبعادها حسب هذا المقياس ، عرضها مثل طولها ،واجعل سقفها كسقف الايسو

(العالم السفلى) . ففهمت وقلت لمولاى " ايان نعم يامولاى، ان ما تأمر به يشرفنى أن أنفذه ، لكن بم أجيب المدينية الناس والشيوخ .

ففتح " إيا" فاه وأجاب قائلا لخادمة ،لى أنا ،قل لهم علمت أن انليل يعادينى ،ومن ثم فلا استطيع أن أقيم فى مدينتكم أو أضع قدمى فى أملاك انليل ،ولذا فسوف أنزل الى الاعماق ، واسكن مع مولاى " إيان ،وأما أنتم فسوف ينزل عليكم مطرا مدرارا ... خير الطيور وأنذر الاسماك ، وسوف تمتلىء الأرض بمحاصيل وفيرة ،ومع انبثاق الفجر تجمعت الأرض من حوالى ...(توجد فجوه) وحمل الصغار القار وجاء الراشدون بكل ما احتجنا اليه .

وفى اليوم الخامس أقمت هيكل السفينة ،وكانت أرضيتها فدانا كاملا ،وكان ارتفاع كل حائط من حوائطها ١٢٠ ذراعا ، وبنيت هيكل جوانبها وربطها الى بعضها ،وجعلت فيه سته أسطح ،قسمتها الى سبعة طوابق ،وقسمت أرضيتها تسعة أجزاء ودققت سدادات المياه بها ،وجهزتها بما تحتاج اليه من المؤن ،وصببت فى الفرن ست سار (السار = ٨٠٠ جالون) من القار ،كما صببت كذلك ثلاثة سار من الاسفلت ،و كذا ثلاثة سار من الزيت نقله حاملوا السلال ،كما خزن الملاح سارين من الزيت ،وذبحت ثيرانا للناس ،و نحرت ماشيه كل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يوم ،واعطيت العمال عصير فواكه ،ونبيذا أحمر وآخر أبيض وكأنه مياه النهر ،ليشربوا وكأنهم فى يوم عيد راس السنة وفتحت .... الدهون ،لوضعها على يدى .

واكتمل الفلك فى اليوم السابع ،وكان انزاله الى الماء بالغ المشقة ،حتى أنهم اضطروا لدفع ألواح أرضية من أعلى و من أسفل ،حتى أمكن انزال ثلثى هيكله الى الماء ،وحملتها بكل ماعندى ،حملتها بكل مالدى من الفضة حملتها بكل مالدى من الذهب ،حملتها بكل ما أملك من الكائنات الحية و كل عائلتى وذوى قرباى ،أركبتهم الفلك وكذا حيوان الحقول ووحوش البرية ،و كل الصناع أركبتهم معى .

وقد حدد لى " شمس " وقتا معينا ،عندما ينزل الموكل بالزوابع ليلا مطرا مهلكا ، اصعد الى الفلك وأوصد بابه وجاء اليوم الموعود ،وانزل الموكل بالزوابع ليلا مطرا مهلكا ،وأخذت أرقب وجه السماء ،وكان منظر العاصفة مخيفا يثير الرعب فصعدت الى الفلك وأوصدت بابه ،وعهدت الى الشوتى " بوزور ـ آمورى " بقيادة الفلك وبسد جميع منافذه .

ومع انبثاق الفجر ،ظهرن فى السماء غمامة سوداء،وأرعد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

" أداد " من داخلها ،وتقدمها " شولات " و " هانبش " كنزيرين موق التل والسهل ،ونزع " ايرجال " (نرجال اله العالم السفلى) الاعمدة ،وجاءت " نينورتا " وجعلت السدود تفيض ،وحمل " الانوناكى " المشاعل وجعلوا الارض تشتعل نارا ،ووصل اندعر من " أداد " الى عنان السماء ،فأحال النور الى ظلمة ،وانصرعت الارض الواسعة ،وكأنها جرة، وهبت عاصفة الجنوب يوما كاملا بسرعة عنيفة حتى أخفت الجبال ،وحلت بالناس وكأنها حرب ،فلا يرى الاخ أخاه ولم يعد الناس يعرفون من فى السماء ،وخشى الالهة الطوفان فأجفلوا وصعدوا الى سماء " انو " حيث ربضوا كالكلاب على الاسوار الخارجية ،وصرخت عشتار وكأنها امرأة فى المخاض ،وناحت سيرة الالهة ذات الصوت الشجر بصوت عال : واحسرتاه ! لقد تحولت الايام الخوالى الى طمى لأنى نعنت الناس فى مجمع الالهه ،ولكن : كيف ألعن الناس فى مجمع الالهه ،وأعلن حربا لفناء الناس ،بينما أنا التى وهبتهم الحياه ، انهم يملأون البحر كبيض السمك وبكى آلهة " الانوناكى " معها و جلس الالهه جميعا يبكون فى ذله ،وقد التصقت شفاههم بعضها ببعض ،واستمرت ريح الفيضان تهب ستة أيام وست ليال ،وعاصفة الجنوب تكتسح الارض .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يوم ،واعطيت العمال عصير فواكه ،ونبيذا أحمر وآخر أبيض وكأنه مياه النهر ،ليشربوا وكأنهم فى يوم عيد راس السنة وفتحت ..., الدهون ،لوضعها على يدى .

واكتمل الفلك فى اليوم السابع ،وكان انزاله الى الماء بالغ المشقة ،حتى أنهم اضطروا لدفع ألواح أرضية من أعلى و من أسفل ،حتى أمكن انزال ثلثى هيكله الى الماء ،وحملتها بكل ماعندى ،حملتها بكل مالدى من الفضة حملتها بكل مالدى من الذهب ،حملتها بكل ما أملك من الكائنات الحية و كل عائلتى وذوى قرباى ،أركبتهم الفلك وكذا حيوان الحقول ووحوش البرية ،و كل الصناع أركبتهم معى .

وقد حدد لى " شمس " وقتا معينا ،عندما ينزل الموكل بالزوابع سيلا مطرا مهلكا ، اصعد الى الفلك وأوصد بابه وجاء اليوم الموعود ،وانزل الموكل بالزوابع سيلا مطرا مهلكا ،وأخذت أرقب وجه السماء ،وكان منظر العاصفة مخيفا يثير الرعب فصعدت الى الفلك وأوصدت بابه ،وعهدت الى الشوتى " بوزور - آمورى " بقيادة الفلك وبسد جميع منافذه .

ومع انبثاق الفجر ،ظهرت فى السماء غمامة سوداء،وأرعد

" أداد " من داخلها ،وتقدمها " شولات " و " هانبش " كنزيرين فوق التل والسهل ،ونزع " ايرجال " (نرجال اله العالم السفلى) الاعمدة ،وجاءت " نينورتا " وجعلت السدود تفيض ،وحمل " الانوناكى " المشاعل وجعلوا الارض تشتعل نارا ،ووصل الذعر من " أداد " الى عنان السماء ،فأحال النور الى ظلمة ،وانصرعت الارض الواسعة ،وكأنها جرة ، وهبت عاصفة الجنوب يوما كاملا بسرعة عنيفة حتى أخفت الجبال ،وحلت بالناس وكأنها حرب ،فلا يرى الاخ أخاه ولم يعد الناس يعرفون من فى السماء ،وخشى الالهه الطوفان فاجفلوا وصعدوا الى سماء " انو " حيث ربضوا كالكلاب على الاسوار الخارجية ،وصرخت عشتار وكأنها امرأة فى المخاض ،وناحت سيرة الالهة ذات الصوت الشجر بصوت عال : واحسرتاه ! لقد تحولت الايام الخوالى الى صمى لأنى لعنت الناس فى مجمع الالهه ،ولكن : كيف ألعن الناس فى مجمع الالهه ،وأعلن حربا لفناء الناس ،بينما أنا التى وهبتهم الحياه ، انهم يملأون البحر كبيض السمك وبكى آلهة " الانوناكى " معها و جلس الالهه جميعا يبكون فى ذله ،وقد التصقت شفاههم بعضها ببعض ،واستمرت ريح الفيضان تهب ستة أيام وست ليال ،وعاصفة الجنوب تكتسح الارض .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لست أنا الذى افشيت سر الالهه العظام ،بل جعلت حكيم الحكماء اوتو - بنشتم يرى حلما كشف فيه سر الالهه ،فاقص فيه ما أنت قاص ،وحينئذ صعد انليل على ظهر السفينة وأمسك بيدى و أخذنى الى ظهرها و أخذ زوجتى وجعلها تركع بجانبى ووقف بيننا ليباركنا وقال : لم يعد اوتو بنشتم بشرا ،سيكون هو وزوجته أشبه بنا معشر الالهه ،وعلى ذلك أخذونى واسكنونى بعيدا عند مصب الانهار ،ولكن أنت ياجلجامش من يجمع لك مجمع الالهه ليبهوا لك الحياة التى تريد ؟ .."

(٣) أدب الحكمة

يتضمن أدب الحكمة تآليف متنوعه تهدف الى الحكمه والموعظة وتتطرق احيانا الى قضايا فكرية وفلسفية تتعلق بالانسان وماتقدر له الالهه من ثواب او عقاب ومن اسباب نجاح او الفشل نظم على شكل قصيدة ،وربما كان الهدف منه التشكيك فى القيم الاجتماعية والدينية آنذاك (حوالى ١٠٠٠ ق.م) كما انها من ناحية أخرى لاتخلو من مغزى فلسفى مضاده أن الخير و الشر مفهومان نسبيان ،فليس هناك خير مطلق أو شر مطلق ،فقد يبدو امرا ما خيرا لاول وهله لكنه يحمل فى باطنه كل بذور الشر ،و فيما يلى الر بعض مما جاء فى هذا الحوار حتى نتعرف على الاسلوب الذى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كتب به والقيم الموجودة فيه والاسلوب الساخر الذى صيغ به :

السيد : اسمعنى ايها العبد

العبد : اجل ياسيدى ، انى مصغ اليك

السيد : هيء عربتى احضرها من اجل أن أذهب الى القصر

العبد : افعل ياسيدى ، افعل . انه سوف .... من أجلك ويعفو عنك .

السيد : لا ايها العبد ، انتى لن أذهب الى القصر

العبد : لاتفعل ياسيدى ، لاتفعل ، لانك اذا ذهبت الى القصر فانه سيرسلك الى ... ويبعثك فى طريق لاتعرفه . انه سيسبب لك الشقاء والاحزان .

السيد : اسمعنى ايها العبد

العبد : اجل ياسيدى ، انى مصغ اليك

السيد : احضر لى فى الحال ماء لاغسل يدى لانى أريد أن آكل .

العبد : كل ياسيدى ، كل ، فالاكل بانتظام يشرح القلب.. ان الاله شمش يحضر مأدبة كل من يأكل بيدين نظيفتين .

السيد : لا ايها العبد ، لن آكل

العبد : لاتأكل ياسيدى ، لاتأكل طالما ان الجوع من بعد الشبع والعطش من بعد الشرب يأتى لكل انسان

السيــد : اسمعنى ايها العبــد

العبــد : اجل يـاسيدى انى ممغ اليــك

السيــد : عزمت ان أقوم بعصيـــان

العبــد : افعل ياسيدى ، افعل ،فاذا لم تقم بعصيـــــان
فمن أين تحصل على ثيابك ومن سيملأ"لك كرشك ؟

السيــد : لا أيها العبد ،لن أقوم بعصيان مهما كان الامر

العبــد : لاتفعل ياسيدى ،لاتفعل • ان من يقوم بعصيـــــان
اما ان يقتل او يسلخ جلده اوتسملى عينـــــاه
او يحتجز او يرمى فى السجـــن •

السيــد : اسمعنى ايها العبــد

العبــد : اجل يـاسيدى ، انى ممغ اليـــك

السيــد : اريد أن أحـب امـــرأة

العبــد : افعل ياسيدى ، افعل • فالرجل الذى يحب امـــرأة
ينسى أحزانــه وهمومـــــه

السيــد : لا أيها العبد ،لن أحب المـــرأة

العبــد : لاتفعل ياسيدى ،لاتفعل ، المراة بئر ، انها حفـرة
وخندق ، المرأة خنجر من حديد صارم يقطع عنـــق
الرجـــــل •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السيد : اسمعنى ايها العبد

العبد : اجل ياسيدى ، انى مصغ اليك

السيد : عزمت على أن أقرض الناس واساعدهم

العبد : افعل ياسيدى ، افعل ان من يقرض الناس تبقى
حنطته خالصه ويكون ربحه عظيما

السيد : لاأيها العبد ،لن أقرض الناس

العبد : لاتفعل ياسيدى ،لاتفعل • ان من يقرض الناس كمن
يحب امرأة •• فاسترجاعها امر عسير مثل
ولادة طفل ،ثم انهم سيأكلون حنطتك وينزلون
عليك لعناتهم دون هوادة ويحرمونك من
الفائدة على حنطتك •

السيد : اسمعنى ايها العبد

العبد : اجل ياسيدى ، انى مصغ اليك

السيد : اريد أن اساعد بلادى

العبد : افعل ياسيدى ان من يساعد بلاده ••• توضع حسناته
امام الاله مردوخ •

السيد : لاايها العبد ،لن أساعد بلادى

العبد : لاتفعل ياسيدى ،لاتفعل ، اصعد فوق الاطلال القديمة
وتمشى هناك ،وانظر الى جماجم الاسبقين واللاحقين
فأيهم الاشرار وايهم الابرار

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السيد : اسمعنى ايها العبد

العبد : اجل ياسيدى ، انى مصغ اليك

السيد : اذا ماهو الخير فى هذه الدنيا ؟

العبد : ان يدق عنقى وعنقك ونرمى فى النهر ،ذلك هو الخير فى الدنيا ترى من يستطيع ان يطاول السماء

ومن يستطيع ان يحتوى العالم السفلى ؟

السيد : ايها العبد ، انى سأقتلك ،وادعك أولا ...

العبد : ان سيدى لن يستطيع العيش من بعدى حتى لو كان ذلك لثلاثة أيام (١١)

ومن الموضوعات التى تناولها أدب الحكمه فى العراق القديم موضوع العدالة الالهية ،وهو من الموضوعات التى عنى بها الكتاب والمفكرون السومريون والبابليوم ،ويرجع ذلك الى اعتقاد الانسان فى العراق القديم أن الالهة خلقت البشر ليقوموا بخدمتها ،وفى مقابل ذلك كان الانسان يطمع فى أن تمنحه الالهه مقابل تقواه وسلوكه الحسن العون والحماية والسعادة فى الحياه ،غير أن قاعدة " طاعه الالهه " تساوى " حياة سعيدة " لم تكن مضمونه بهذه الدرجة من السهولة ،فكان للانسان العراقى القديم مثل غيره من بنى البشر نصيبه من الفقر والمرض والحزن وكوارث الطبيعة المختلفة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن النصوص الادبية التي خلقها الانسان العراق القديم ويتصل بموضوع العدل الالهي ،ما اصطلح الباحثون على تسميته باسم " قصة أيوب البابلي " أو " التقي المعذب " وعنوان هذه القصة في الاصل البابلي " لدلل بعل نيميقي " ومعناها " لامجدن رب الحكمة " والمقصود برب الحكمه هو معبود بابل " مردوخ " .

ويرجح ان هذه القصة تدور حول احد الامراء البابليين واسمه " شبسي - مشري برجال " وذلك حوالي النصف الثاني من الالف الثاني قبل الميلاد و كان شخصا صالحا متعبدا وفي ذلك يقول في وصفه لتقواه : " لم أعرف في حياتي سوى العمل الصالح والعبادة وشغلت افكاري بالتضرع الى الالهه والتضحية والتقرب اليها ،وكانت اوقات عبادة الالهه سرورا لقلبي ،والايام التي أسير فيها في مواكب الالهه مكسبي و نصري في الحياه ،ويبعث تمجيد الملك المسرةلقلبي والموسيقى التي تعزف له مثار غبطتي وسروري ،وألزمت أهلي وأتباعي مراعاة شعائر الالهه وعبادتها ،وعلمت الجند طاعه القصر ،لان هذه الاعمال تسر الالهة .

الا انه رغم هذا الصلاح حلت به المصائب والنكبات فغضب عليه الملك وتآمرت عليه الحاشيه ،واصبح وحيدا منبوذا وفتكت بجسمه الامراض زتخلت عنه الالهه ويصف حالة هذه بقوله

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

".... لقد تمكن مرض " آنو " من جسدى و غطاء كالرداء أذناى مفتوحتان ،ولكنهما لاتسمعان ،وأصاب جسدى الضعف والوهن ،واصبح الوسط المسلط على يرعبنى ويعذبنى ،وصار معذبى يطاردنى فى النهار ويسلبنى الراحة فى الليل. لقد خذلنى الاله ولم يتقدم اله لمساعدتى ،ولم تعطف على آلهتى فتخلصنى من مصائبى ،حسبنى الجميع ميتا كأن القبر مفتوح امامى فنهبوا اموالى ،فرح بى حسادى وشمت بى اعدائى ،ولم يستطع السحرة والمعزون مساعدتى "...

ويتناقض حال هذا الرجل الذى وصل اليه رغم تقواه مع العدل الالهى الذى رسمه الكهنه وان كل انسان يجزى بعمله . وقد يثير هذا الامر الشكوك حول العهد الالهى، ولكن ناظم هذه القصة قدم حلين لذلك ، الحل الاول عقلى ينحصر فى تعذر تطبيق مقاييس القيم البشرية على أعمال الآلهه وتصرفاتها لان الانسان قاصر النظر لايستطيع ان يدرك حكمه الالهه من وراء اعمالها ،فما قد يبدو امرا محببا من وجهه نظر الانسان قد لايكون كذلك فى أعين الآلهه اما الحل الآخر فيدور حول ان هذا العذاب لدى يحل بالعبد الصالح لايظل ملازما له الى الابد ،بل انه اختبار له من الالهه لامتحان صبره وتعلقه بالآلهه والالتزام بأحكامها وقبول اقدارها .

وبالفعل فانه نتيجة صبره ،فقد قررت الالهه اعادته الى حالته السابقة من الصحة والثروة والجاه ،وتنتهى هذه القصة بتقديم المدح والثناء للاله مردوخ وزوجته .

ولقدعثرعلىمجموعات من الحكموالنصائح مكتوبة باللغتين السومرية والبابلية . ومما تجدر الاشارة اليه أنه يصعب فهم الكثير من هذه الامثال رغم انها مفهومه من الناحية اللغوية فمعظمها عبارة عن جمل كثيرة مقتضبة ومركزه المعنى وتعبر عن تجارب و حالات خاصة فى حياة المجتمع ،كما ان الكثير منها نشأ من وقائع او حوادث قيلت فيها تلك الامثال وسنورد فيما يلى بعضا من هذه الامثال :-

" لن يجف مخزن مياهى ،ومن ثم فان ظمأى لن يتجاوز الحد " .

وواضح من هذا المثل انه على الانسان ان يدخر لغد فاننا لن نعرف قيمة المياه الا حينما تجف البئر.

" لقد أرخيت الشباك ولكن القيد شديد "

" لقد حصلت على الرهن ،ولكن الحسارة لم تتوقف "

بمعنى ان الحظ العاثر لايوجد شئ يستطيع ايقافه .

" اذا لم أذهب انا بنفسى ،فمن الذى سيذهب بجوارى"

" يحصل الرجل القوى على طعامه من اجر عمله ،أمـــا الرجل الضعيف ،فانه يحصل على طعامه من عمل اطفالـــه ".

" لقد اصبح سعيدا فى كل شىء ،وذلك منذ ان ارتدى حلة نخمة . ويتصل بهذا المثل الاخير كذلـــك :

" الريش الفخم يصنع الطيور الجميلـــة "

" الرداء يصنـع الانســـان "

ومن الامثلة التى تضرب للشخص الذى يكره الحرب وينأى عنها :

" لاتستطيع بوابات المدينة غير المحصنة تحصينـــا قويا دفع الاعـداء " .

ومن الامثلة التى تضرب لمن تسول له نفسه الاستيلاء علـــى أملاك الغيـــر :

" انك تذهب و تستولى على حقول الاعداء و يجـــىء الاعداء ويستولون على حقولـــك ".

وجاء فى هذا المعنى : صاعا بصاع أو " واحدة بواحدة "

ومن الامثال التى تضرب للانسان المهموم ذو الحـــظ العاثر ،أو ذلك الذى يجلب الحظ السيىء للآخرين من خـــلال عينه الشريـــرة :

" اذا وضعت فى النهر ، اصبحت مياهه كريهة الرائحة على الفور ،واذا وضعت فى حديقة الفاكهه ، اصاب الفاكهه الطازجه العطـــب " .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن الامثال التى تعبر عن ان النتائج بمسبباتها :

" اذا لم يكن تيار الماء سليما ،فان السيقان لن تنمو ، او تخلق البذور "

" من البذور الشريرة ،يأتى حصاد طيب ،ولا ينتج خط المحراث المعوج سيقانا ،ومن ثم فهل يمكن ان ينتج بذورا "

ومن الامثال كذلك :

" قد تدوم الصداقة يوما ،والعبودية دهرا "

" حيثما يوجد العبيد يحدث شجار "

" ثور الغريب ياكل الحشيش ،وثور صاحب الحقل نائم من الجوع "

" للمواطن الساذج فى مدينة أخرى يصبح زعيمها "

" المرأة من غير زوج كالحقل من غير زرع "

" ان الحقل مثل المرأة التى لازوج لها فى حاجة للزراعة " .

ويشبه هذين المثلين المرأة بالارض الخصبة ،فكلاهما رمز للانتاج واستمرارية الحياة .

ومن الامثلة التى تضرب عن ان الانسان مهما ضعف لايستطيع تقبل الضيم الى النهاية ،فان لكل شىء رد فعل مهما طال وبعد به الزمن :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

" يحصل الرجل القوى على طعامه من اجر عمله ،أمـــا الرجل الضعيف ،فانه يحصل على طعامه من عمل اطفالـه ".

" لقد اصبح سعيدا فى كل شىء ،وذلك منذ ان ارتدى حلة نحمة . ويتصل بهذا المثل الاخير كذلـــك :

" الريش الفخم يصنع الطيور الجميلـة "

" الرداء يصنع الانســان "

ومن الامثلة التى تضرب للشخص الذى يكره الحرب وينأى عنها :

" لاتستطيع بوابات المدينة غير المحصنة تحصينـــا قويا دفع الاعداء " .

ومن الامثلة التى تضرب لمن تسول له نفسه الاستيلاء علـــى أملاك الغيـر :

" انك تذهب و تستولى على حقول الاعداء و يجـــىء الاعداء ويستولون على حقولـــك ".

وجاء فى هذا المعنى : صاعا بصاع أو " واحدة بواحدة "

ومن الامثال التى تضرب للانسان المهموم ذو الحـــظ العاثر ،أو ذلك الذى يجلب الحظ السيىء للآخرين من خـــلال عينه الشريـــرة :

" اذا وضعت فى النهر ، اصبحت مياهه كريهة الرائحة على الفور ،واذا وضعت فى حديقة الفاكهه ، اصاب الفاكهه الطازجـه العطـب " .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن الامثال التى تعبر عن ان النتائج بمسبباتها :

" اذا لم يكن تيار الماء سليما ،فان السيقان لن تنمو ، او تخلق البذور "

" من البذور الشريرة ،يأتى حصاد طيب ،ولاينتجخط المحراث الموجسيقانا ،ومن ثم فهل يمكن ان ينتج بذورا "

ومن الامثال كذلك :

" قد تدوم الصداقة يوما ،والعبودية دهرا "

" حيثما يوجد العبيد يحدث شجار "

" ثور الغريب يأكل الحشيش ،وثور صاحب الحقل نائم من الجوع "

" للمواطن الساذج فى مدينة أخرى يصبح زعيمها "

" المرأة من غير زوج كالحقل من غير زرع "

" ان الحقل مثل المرأة التى لازوج لها فى حاجة للزراعة " .

ويشبه هذين المثلين المرأة بالارض الخصبة ،فكلاهما رمز للانتاج واستمرارية الحياة .

ومن الامثلة التى تضرب عن ان الانسان مهما ضعف لايستطيع تقبل الضيم الى النهاية ،فان لكل شىء رد فعل مهما طال وبعد به الزمن :

" عندما يضرب النحل ،فانه لن يسكت ،ولكنه يلدغ يد الانسان التى تضربه "

ومن الامثلة التى تشير الى ان أمر الزوجة يشمل زوجها:

" عندما تقف المرأة الاثمة على بوابه منزل القاضى ،فان امرها يشمل زوجها"

ومن الحكم التى وصلتنا من العراق القديم ،ويرجع انه تكون قد كتبت قبل علم ٧٠٠ ق.م.

" كن حكيما ،فتعرض فهمك ومعرفتك بأدب ، أغلق فمك ،وأحرس كلامك ،جعل شفتاك ثمينة مثل ثروة الانسان"

" لاتتحدث أبدا ببذاءة ،لاتعطى ابدا مشورة غير موثوق فيها "

" لاتبحث عن اماكن الشجار

" حيث يجب عليك ان تعطى قرارا

" وستدفع للادلاء بشهادتك فى قضية لاتخصك

" فعندما ترى مشاجرة اذهب بعيدا دون ان تشاهدها

" واذا كانت المشاجرة خاصة بك أنت ،فأخمد لهيبها ، اذ يضيع فى المشاجرة الصواب ... "

" السور المحصن من أجل سور العدو غير المحصن "

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

" افعل العدل مع عدوك

" وبالنسبة لمن ظلمك ...

" دعه يستمتع بظلمك ... فسوف يعود عليه

" لاتدع قلبك يقتنع بعمل الشر

" اعط الطعام للجائع والخمر للعطشان

" كن متعاونا خدوما ،وافعل الخير "

" لاتتزوج من الزانية .....

" فهى لن تتركك لهمومـــك

" اذا تشاجرت معها فسوف تشنع عليك

" التبجيل والخضوع ليس معها

" حقا ،فانها اذا اخذت ملكية المنزل فاطردها منه

" نحو الطريق الغريب تدير عقلها

" والبيت الذى تدخله فانها تدمره "

" وزوجها لايفلح ابداء

" لاتفترى على أحدث بماتحدث هو طيب .

" لاتتفوه بسوء ، أخبر بما هو حسن

" لاتفتح فمك على شدقيه ، احرس شفتيك

" لاتتحدث بأسرارك لنفسك ،حتى ولو كنت وحيدا

" فالذى تتحدث الان بعجلة ،سوف تضطر للاعتذار عنه
فيما بعد ..... "

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

" قدم الولاء لالهك يوميا
" بالقرابين وللصلوات وحرق البخور
" نحو الهك يجب ان تشعر بالقلق فى القلب
" فهذا هو الملائم للاله
" الصلاة والابتهال ،والانبطاح على الارض
" عندما تقدم العطايا فى الصباح تصبح قوتك كبيرة
" وبمساعدة الاله ،تصبح غزيرة ،وتصبح موفقا.

" بالنسبة للانسان ،فانه طالما لم يعمل ،فانه لن يجنى شيئا ،ومن ذا الذى سيعطيه شيئا من آجل ...؟
" الشخص الذى ليس له ملك او ملكة ـ فمن هوسيدة ؟ فهو اما ان يكون حيوانا ، او شخصا يستقر أسفل....
" تناول الطعام ،ولكن ليس الى درجة البدانة ،ومن ثم فلن تكون هناك دماء فى برازك
" لاترتكب ايه جريمة ،وخاف من الهك ،فانك لن تجنى ثمارها "
" لاتتحدث بأذى ،ومن ثم فان الكآبة لن تصل الى قلبك"
" لاتفعل الشر ،ومن ثم فانك لن تقاسى من سوء الحظ المستمر "
يلدغ العقرب الانسان . فماذا جنى من وراء ذلك .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد يتسبب النمام في وفاة انسان ،فما هو الشيء الطيب الذى قام به ؟

" أكلت ثوما في العام الماضى ،وفى هذا العام التهبت بطنى "

" مثلما كانت الخياة بالامس ،فانها ستكون كذلك كل يوم "

" اذا كنت ذاهبا للموت ،فاننى سوف استخدم كل ما أملك ...

" اما اذا كنت ذاهبا لاعيش ،فاننى سوف أحتفظ بما أملك "

" الشيء الذى لم يحدث منذ العصور السحيقة ،أن تتجشا المراة صغيرة السن وهى فى حضن زوجها "

" الشخص غير المتعلم مثل المركبة ،والجهل يكون طريقه "

" أيتها العروس ،كما تعاملين حماتك ،سوف تعاملك زوجة ابنك "

" اذا كانت عيجنة كبيرة فاسدة ،فكيف تكون البيرة جيدة المذاق ؟

ومن النصائح العراقية التى وصلتنا كذلك نصائح " شورو باك " التى وجهها الى ابنه زيوسدرا ،وهى تعتبر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من أقدم القطع الادبية فى العراق القديم • ومما جاء فيها نقتطف النصائح الاتية :

" ••• ولدى ،نصيحتى اقدمها لك ،فتقبل نصيحتى، وكلمة أقولها لك ،فأعرها سمعك ،لاتهمل وصيتى ،ولاتتعد كلمتى ••• لاينبغى اقتناء حمار مزعج النهيق ،ولاينبغى زراعة حقل على الطريق •••• "

و من النصائح و الحكم الاكادية :

" لاتتحدث مع ناقل الاشاعات

لا تتشاور (مع ••••) ••• الذى يكون كسلانا

لانك بقدراتك الممتازة سوف تكون مثالا لهم

وحينئذ فانك سوف تهمل فى عملك الخاص من اجل مسلكك

وسوف تترك حكمتك ،ويفسد فكرك

اقمع فمك ،واحرس كلامك ء

فهذا فخر الرجل

اجعل ماتقوله غاليا جدا

دع الصلف والسباب ،وبغضهما لنفسك

لاتتحدث بأى سوء ،أو أى شىء مجاف للعدالة

ان ناقل الكلام موضع الازدراء ••••••

" ... أعمل الاشياء الطيبة ،وكن كريما طوال ايامك

لاتعامل الخادمة فى منزلك بحفاوة

فانها لن تستطيع السيطرة على فراشك مثل الزوجة

..... لاتسلم نفسك للخادمات

فان البيت الذى تحكمه خادمة ..تؤدى الى تمزيقه (١٢)

الحواشـــــــــــى

(١) طـهباقر . المرجع السابق ، ص ٤٤١ – ٤٤٨

(٢) قام بنشر هذه الاسطوانه كلمن L.Heuzed , E.,de Sarzec (2)
وذلك فى مؤلفهما :

Sarzec.E Heuzey Decouvertes en chaldeed paris,
Paris, 1884 , pls. 33-35.

ثم قـــــام G.A Barton بترجمة أخرى عام ١٩٢٩، انظر
Barton, G.A., The Royal Inscriptions of sumer
and Akkad, New Haven, 1929, PP.2o5 ff.
ولقد اعتمدت فى هذه الترجمة على صموئيل نوح كريمر انظر:
صموئيل نوح كريمر: المرجع السابق ، ص ٤٢ ومابعدها.

(٣) Jacobsen, T., in Before philosophy, PP.182 ff.

(٤) Speiser, E.A., " Akkadian Myths and Epics", in
ANET, PP 60 ff.

(٥) انظر : Kramer, S. N., " Sumerian Myths and Epic
Tales " in ANET, PP 47 ff. ,
Jacobsen, T., op cit., PP. 223 ff.

(٦) يكثر طائر الشقران فى جنوب العراق ،وهو يخرج فى اثناء
طيرانه فى موسم اللقاح صوتا يشبه اللفظة البابليـــة
" كفى " أى جناحى ،ولعل صوته وشكل طيرانه هو الـــذى
أوحى للبابليين بهذا الخيال انظر .

طه باقر : المرجع السابق ،ص ٤٦٣ حاشـــية ٢.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٧) فيما يتصل بقصة الطوفان السومرية ، انظر :
محمد بيومى مهران : دراسة حول قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسه ،مجله كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية ، العدد الخامس ، ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥م
ص ٣٨٥ — ٣٩٤
وكذا :
محمد عبد القادر محمد : قصة الطوفان فى أدب بلاد الرافدين ، ص ١١٠ — ١١٤ .
وكذا :

Poebel, A., in P B S, IV, pt,1.PP. 9 - 70.,
King, L.W., Legends of Babylon and Egypt in Relation to Hebrow Tradition, 1914.
Kramer, S.N., Sumerian Mythology, philadelphia, 1944, PP. 97 - 98.

(٨) Woolley, L., Excavations at Ur, London, 1963, PP 34 - 36.

(٩) محمد عبد القادر محمد :المرجع السابق ،ص ٩٦— ٩٧
وكذا
محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٣٩٣ — ٣٩٤ .

(١٠) وفيما يتصل بترجمة هذه القصة ، انظر :
محمد بيومى مهران : نفس المرجع السابق ،ص ٣٩٨— ٤٠١ وكذا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

محمد عبدالقادر محمد : المرجع السابق ص١ ٣٤ – ٣٥٩ وكذا

Heidel, A., The Gilgamesh Epic and Old Testament Parallels, 1949.,

Thompson, E.C., The Epic of Gilgamesh, 1930.

(١١) Lambert, W.G., Babylonion wisdom Literature, 1960, PP. 139 .

(١٢) انظر :

Biggs, R.D., " Akkadian Didactic and wisdon Literature , in ANET, 1974, PP. 593 ff.

Gordon, E.I., " Sumerian Proverbs, Glimpses of everyday Life in Ancient Mesopotamia, Philadelphia, 1959.,

Langdon, S., Babylonian wisdom. London, 1921.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البـاب الثـانـــــى

حضــــــارة ايـــــــــــــــران

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التنظيم السياسى والادارى والعسكرى

حينما اتسعت رقعة الامبراطورية الفارسية نجح ملوكها فى تنظيم ادارتها نجاحا كبيرا وقد وضعوا آسسا ثابتة لتنظيمها اذ آنهم قسموها الى عشرين ولاية تشمل مختلف الاقطار والجهات التى آخضعون وكان لكل ولاية كيانها السياسى الخاص بها.

وكان الملك على راس النظام السياسى والادارى ، واتخذ الملوك العديد من الاتعاب التى عبرت عن طبيعتهم وامتداد سلطانهم ،فكان ان اتخذوا لقب " خشاشرا " الذى يفيد معنى المحارب وهو يعبر عن طبيعة ملوك الفرس وطبيعته دولتهم التى اصطبغت بالصبغة العسكرية منذ نشآتها واتخذو كذلك لقبا معبرا آخر وهو " ملك الملوك " وهو يشير الى امتداد سلطانهم الى مناطق شاسعة ضمت تحت لوائهم العديد من الدول و الممالك .

وكان الملك يتمتع بسلطه مطلقة ،فكانت اوامره مطاعه ،وكلامه واجب التنفيذ ،وكان فى بعض الاحيان يمنح آمه او كبيرة زوجاته حق القتل القائم على النزعات والاهواء ،وقلما كان آحد يجرؤ على انتقاء الملك آولومه كما كان الرأى العام ضعيفا عاجزا مجزا مصدره الحيطه والحذر ،فكان كل مايفعله الذى يرى الملك يقتل ابنه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البرئ امام عينيه رميابالسهام أن يثنى على مهـــارة الملك العظيمه فى الرمايه ،وكان المذنبون الذين تلهب السياط أجسامهم بأمر الملك يشكرون له تفضله بأنه لم يغفل عن ذكرهم . و كان من حق الملك أن يختار خلفه من بين أبنائه ،ولكن وراثة العرش كانت تقرر فى العادة بالاغتيال والثوره .

مع ذلك فلقد كانت سلطته فى الواقع مقيدة بعادات وتقاليد كثيرة ،فالاوامر التى كانت تعطى لتنظيم مناطق الامبراطورية كانت تعتمد من " مجلس الملك " الذى يتكون من أفراد الطبقة الموسرة و كان لهم فى اقطاعاتهم سلطان يكاد مطلقا ،فكانوا يسنون القوانين ،وينفذون أحكام القضاء ،ويجبون الضرائب ،ويحتفظون بقواتهم المسلحة فى مقابل ان يمدوا الملك بالمال والعتاد فى وقت القتال .

واتسمت الحكومة بسمة التسامح ،وكان الملوك يراعون بدقة عادات وأديات الشعوب العديدة الخاضعة لهم بل ويعملون على انعاشها فى البلاد التى تسود فيها ،ومع أن الفرس كانوا قساة فى بعض الاحيان الا انهم كانوا متسامحين بوجه عام مع أعدائهم الخاضعين لهم ،فلم يتعفوا بالوحشية المطلقة ولم يجدوا لذة فى استخدام القسوة والعنف وعمليات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القتل على نطاق واسع كما فعل الاشوريون ،ولكنهم كانوا دائما لايرحمون الخونة .

ومما يشير الى ذلك النفوس الموجودة على مقبرة الملك داريوش والتى ترجمت أيام غزو الاسكندر الاكبر لبلاد فارس وذلك فيما يذكر سترابون ،وقد جاء فى هذه النقوس " لقد كنت صديقا لاصدقائى ،وقد تفوقت على غيرى فى ركوب الخيل والرمى بالمنشاب ،كما أجدت الصيد، واستطعت أن أعمل كل شئ " فالمعروف عن داريوش أنه على الرغم من أنه قهر ملوكا كثيرين فانه كان يحترم الشعوب المغلوبة ويعاملها معاملة الاصدقاء ،ولم يكن مجاملته ضعيفا فقد اطاعه جميع من فى امبراطوريته وكانت ارادته هى العليا .

وقد عثر على لوح فى سوسه يشتمل على مضمون النقوش التى أمر دارايوش بنقشها على قبرة عند نقش رستم ،وقد جاء فيه :

(١) " ان آهور مزواله عظيم خلق هذه الارض،و خلق من فوقها السماء ،وخلق السماء و خلق له السعاده وجعل داريوش ملكا ،ملكا واحدا للكثيرين ،وسيدا واحدا للكثيرين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٢) " أنا داريوش الملك العظيم ،ملك الملوك ،ملك الممالك التى تشمل على كل أصناف البشر ملك هذه الارض الطويلة العريضة ،وابن هشتاسب ، اكمينى، فارس ، ابن فارس آرى ،من سلالة آرية .

(٣) " يقول داريوش الملك : هذه هى البلاد التى ملكتها خارج فارس ،وحكمتها ،وقد حمل أهلها الى الجزية ونفذوا كل ماقلت لهم ،وعملوا بقانونى الذى منحهم الاستقرار (يلى ذلك تعداد الممالك) .

(٤) " يقول دايوش الملك : لقد أصلحت كثيرا من الشرور لقد كانت الاقاليم مضطربة ،وكان الرجل يطعن آخاه وقد استطعت ان انفذ مايلى بفضل أهورا مزدا : ألايطعن المرو انسانا آخر ،وأن يبقى كل فى مكانه ،وقد خاف الناس قوانينى ،فلم يعد القوى يطعن الضعيف أو يقضى عليه .

(٥) " يقول داريوش الملك : بفضل أهورا مزدا أعدت كثيرا من المصنوعات التى نقلت من مواضعها الى أماكنها الاصلية ،وقد سقط حائط مدينة ... لقدمه ،ولم يصلح من قبل ،فشيدت لها حائطا سوف يحميها الان وفى المستقبل .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٦) " يقول داريوش الملك : فيحفظى أهرو مزوا والالهه وليحفظوا بيتى الملكى ،وكل مانقش بأمرى .

(٧) " يقول داريوش الملك : فليساعدنى أهورا مزواوآلهه البيت الملكى ،وليحفظ اهورا مزوا هذه البلاد من جيوش الاعداء ومن الجوع ومن الكذب ،لاأصاب الله هذه البلاد بجيش ولابجوع ولا بالكذب ،وانى لالتمس هذا نعمة من أهور مزوا ونعمه من آلهه البيت الملكى،فلعل أهورا مزوا والالهه ينعمون على بها".

ولقد انعكست هذه الروح القومية الفياضة للملك داريوش على أفراد شعبه ،وفى ذلك يذكر هيروردت ، انه لم يوجد فارس يلتمس الخير من الله لنفسه ،وانما هو يلتمسه للملك وللشعب الفارسى كله ،وهو بالضرورة فرد من هذا الشعب .

وكان اقليم فارس هو مقر الحكومة المركزية حيث يوجد الملك كرئيس للجهاز الادارى ،وتعددت المدن التى باشرها الملوك سلطاتهم ،ومن أشهر هذه المدن " بازار جاده " التى تعرف فى الفارسية باسم " تحت مادر سليمان" ومدينة " برسيوليس " والتى تعرف فى الفارسية باسم " تخت جمشيد " و منها كذلك مدن اكباتانا وسوسه .

وبلغت الامبراطورية الفارسية أقصى اتساع لها في عهد الملك داريوش الاول ،وقد ساعد تقسيم الدولة الى ولايات على تسهيل ادارتها ،وجعل داريوش هذا النظام أساسا لحكم الامبراطورية ،وأحكم النظام الحكم في هذه الولايات التي بلغ عددها زهاء العشرين ولاية ولقد ذكر اليونان أن أقسام ممالك ايران كانت ستة وعشرين قسما ولكن عدد الولايات التي ذكرها داريوش في نقش رستم بلغت بالاضافة الى فارس عشرين ولاية تضم مصر ،وفلسطين وسوريا ،وفينيقيه ،وليديا ،وفريجية ،وايونيا ،وقبادوش ، وقليقيه ،وأرمينية ، وآشور ،وقفقاسيه ،وبابل ،ومديا ، والبلاد المعروفة حاليا باسم افغانستان ،وبلوخستان والقسم الممتد من الهند غرب نهر السند ،وسيمديانا وبكتريا (بلخ) ،وأقاليم المسجينة و غيرهم من قبائل آسيا الوسطى .

وكان على راس كل ولاية واليا كان يطلق عليه " خشتريوان " بمعنى حارس أو حامي المملكة أي الولاية وأطلق عليه اليونان " ساتراب " ولقد اصبحت كلمة Satrap (والى) كلمه مألوفة في اللغة الانجليزية وكان الولاة عادة من النبلاء أو الامراء ،وكانوا غالبا مايعينون مدى الحياة ،وكانوا يشبهون الملوك تماما في

الولايات لهم فيها سلطة مطلقة كما كانوا يقومون فيها ببعض الاتصالات السياسية مع الدول المجاورة .

ومع هذه السلطات التى تمتع بها الوالى فانه كان دائما معرضا لتجسس عيون من أتباعه أو من غيرهم ،ومن هؤلاء وجود مراقب يراقب أعمال الوالى ويقوم بحلقة الوصل بينه وبين الحكومة المركزية ،ولم تقف رقابة الملك عند هذا الحد ،بل كان هناك مفتشون يعرفون بأفراد الملك او عيونه ،وكان لهم سلطة مستقلة ،كما كانت تتبعهم قوات مسلحة ،وكان هؤلاء الاذان اوالعيون ينتقلون فى انحاء الامبراطورية ويزورون الولاه زيارات مفاجئة ويطلعون على ادارتهم للولايات كما كانوا يراقبون الاوضاع المالية للولايات ومن ناحية أخرى فقد كان الاشراف يمنحون الاراضى فى الولايات ويتولون المناصب الهامة فيها ولهم حق الاتصال المباشر بالملك ،وكانت الطوائف المحلية مثل كهنوت اليهود فى بيت المقدس ،تشجع على تأسيس هيئات مستقلة لها ،وهكذا ظهرت سياسه " فرق تسد" بوضوح وطبقا لاول مرة فى التاريخ .

وبجانب الوالى ،فقد عين فى كل ولاية اثنين من الموظفين من الادارة المركزية كمساعدين للوالى فى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ادارة ولايته وحتى لاتتركز السلطة فى يد فرد واحد ،ولقد تولى أحد هذين الموظفين قياده الجيش المحلى الذى يحرس الولاية ،ويتولى الثانى ادارة امور الولاية كرئيس للديوان ،وكان الهدف من تأسيس هذا المنصب أن يقف الملك على أحوال الولاية ويطمئن على تنفيذ الاوامر التى يصدرها وعلى هذا فلقد كان رئيس الديوان على اتصال مباشر بالسلطة المركزية ،وفى بعض الامور كانت الاوامر تصدر اليه مباشرة من الادارة المركزية ٠

ومما ساعد على نجاح الامبراطورية فى ادارة ممتلكاتها أن الاباطرة انشأوا بها كثيرا من الطرق ونظموا البريد لسيتسير الاتصال بين مختلف انحاء امبراطوريتهم وكان اهتمام ملوك فارس بهذه الطرق عظيما بوصفها احدى الضرورات الادارية ،وقد ساعدت هذه الطرق على ازدهار التجارة وزيادة تداول البضائع بين انحاء الامبراطورية ٠

ومن هذه الطرق ، الطريق الذى كان يربط سوسه بافسوس فى آسيا الصغرى و كان من الطرق الرئيسية ويبلغ طوله ١٦٧٧ ميلا و كان مقسما الى مائه واحدى عشرة محطة بريدية بكل منها خيول تتولى فقل اتباع الملك على طول الطريق ٠ وكان هناك طريق يصل مصر ببابل ثم ايران

فافغانستان ثم غرب الهند ،والى جانب الطرق الرئيسية كانت هناك طرق فرعية ،وكان بعض هذه الطرق مرصوفا ولاتزال بعض بقايا الرصف بالحجارة موجودة حتى الوقت الحاضر .

وعلى طول هذه الطرق جهزت منازل وفنادق جيدة على طول هذه الطرق ،كما أنشأوا مراكز للبريد وذودها بقدر كاف من الخيول السريعة ،وكانت تلك الطرق تخترن الجبال فى بعض الاماكن فعينوا من الحاميات مايكفى لحمايتها ،وكان حملة البريد يوصلون الرسائل الصادرة من العاصمة الى أقرب مركز بريد فيتسلمها حملة بريد غيرهم ويوصلونها الى مركز البريد التالى ،وهكذا كان حملة البريد فى حركة دائمة ليل نهار ،وكانت اوامر الدولة تصل بسرعه الى الاماكن الموجودة اليها.

وكان جمع الضرائب ،نقدا او عينا ،من بين مهام الوالى ،وكانت هذه الضرائب تفرض على جمع الولايات ولايعفى منها الا ولاية فارس مسقط راس أسرة الاكمينيين و كانت هذه الضرائب تجمع بدقة فى الامبراطورية كلها ، ولقد تميز عهد داريوش بمقدرة فائقة فى هذا المجال اذ لم يكن هناك نظام معين لحماية الاموال قبل عهده ،فقد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كان الولاه :يجبون كل مايريدون ،فلما جاء داريوش نظم جباية الضرائب ،ويذكر هيرووت آن داريوش فرض على كل ولاية من الولايات مبلغا محددا يجبى كل سنة ،و كانت الضرائب نقديه وعينيه •

ويذكر بلوتارخ آن داريوش بعد آن حدد الجباية النقدية والعينية للممالك آخذ يعيد النظر ليتبين اذا كانت تثقل كاهل الناس ،وبعد آن تبين آنهم يستطيعون دفع مافرض عليهم خفض المطلوب الى النصف ،وقال ان الولاة سيجبون ضرائب اضافية من الناس للوفاء بمصاريفهم لهذا يجب تخفيف مايجبى منهم حتى لايقع عليهم عبء متطلبات الولاة •

وقد تمتعت الولايات التابعة للامبراطورية بشىء من الحرية اذ سمح لها باستعمال لغتها الخاصة وعاداتها وتقاليدها وديانتها وعملتها ،بل وبقاء آسرتها الحاكمه آحيانا ،مما جعل بعض الولايات تحس بآنها آحسن حالا فى تبعيتها لفارس من خضوعها لقادتها آنفسهم •

وكان اتساع رقعة الامبراطورية وانضواء كثير من الولايات الغنية المختلفة الموارد تحت لوائها سببا فى جعلها قادرة على الاكتفاء الذاتى من الناحية الاقتصادية

اذ لم تعوزها الموارد التى تحتاج اليها . فالاخشاب الجيدة التى تستخدم فى البناء وصنع السفن والعربات والاسلحة والمعدات الحربية وغيرها كانت موجودة على الساحل الفينيقى وآسيا الصغرى وكريت وقبرص ،والفضة والنحاس والحديد كانت تأتى من قبرص كذلك ،ومن آسيا الصغرى يأتى النحاس والفضة ،ومن اقليم كرمان كان يأتى الذهب والفضة ،والى جانب هذه المعادن كانت أحجار البناء الجيدة تجلب من عيلام تجلب الاحجار الكريمة وشبه الكريمة من جهات آخرى مختلفة ،ومما زاد الاحوال الاقتصادية انتعاشا أن موارد الثروة السمكية فى دجله والفرات والخليج العربى كانت من الوفرة بحيث كان من المملكة تصدير الفائض منها بعد أن تملح وتقدر .

واهتم معظم الملوك بتحسين انتاج الاراضى الزراعية فلجأوا الى حفر القنوات فى باطن الارض و كان لهذه القنوات قيمة حيوية للعصبه الايرانية ،كما تم حفر قنوات فى البقاع التى تخلو من الماء مثل صحراء سوريا ،وبعض أقاليم آسيا الوسطى ،كما يبدو محققا أن الفرس قاموا بتخفيف المستنقعات كما تحسنت الزراعة نتيجة لتلك الحروب التى قامت ومن ايران وغيرها من الدول فتتم تبادل

المبادلات بين الاقاليم ، وكان داريوش يهتم بهذا الامـــــر وقد وصلنا خطاب كتبه الى أحد عماله يشكره فيه كل نقـــل أشجار الفاكهة من غرب الفرات وآسيا الصغرى وزراعتهـــا فى ايران ، ولم يكن المقصود بهذا نفع ايران وحدهـــــــا ولكن نفع الشعوب الاخرى فى الدولة ، فقد زرع الملـــــــوك الاخمينيون نوع من الكروم التى يحبونها فى دمشق ، كمـــــا ادخلوا الفستق الى حلب والسمسم الى مصر والارز الـــــــى العـــــراق .

وازدهرت الصناعات فى المدن ، وكان من أروج الصناعات صناعة الملابس وصناعة الاحذية والاثاث ، واوانى الذهـــب والفضة والبرونز ، وكذلك الاوانى الفخارية .

وقد عمدت الدولة الى تيسير التعامل فاستخدمـــت النقود المسكوكة ابتداء من عهد داريوش وكان ظهور العملة الفضية الصغيرة فى القرن السابع عشر قبل الميلاد ، ولكـــن لم يوجد نظام نقدى يقوم على معادن متعددة من الذهـــب والفضة الا فى عهد كروسس ملك ليديا ، وقد انتشر هـــــذا النظام من ليديا الى بقية أنحاء آسيا الصغرى ثم اقتبســـه داريوش . وراجت هذه العملة فى جميع انحاء الامبراطوريـــة الفارسية ، وكانوا يسمونها " دريك " اى الذهب ، ويتضـــح من تلك العملة ان عيارها الذهب كان عاليا جدا ، ....

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أن داريوش كان ذا ولع شديد بأن تكون عملة من الذهب الخالص .

و عثر على الواح فى برسيولس يشتمل بعضها على قوائم بأجور العمال الذين كانوا يعملون فى انشاء القصر الملكى هناك ،وتعطى هذه القوائم صوره حية لفترة الانتقال التى اعقبت ادخال العملة فى ايران فقد كانت الاجور تدفع من قبل بالبضائع من لحم وشعير وقمح ونبيذ و غير ذلك ،وفى عهد كسركسيس الاول خليفة داريوش كانت الاجور تدفع ثلثاها بالبضائع والثلث بالنقد ، ولكن فى أواخر عهد هذا الملك أصبح ثلث الاجور فقط يدفع بالبضائع ،وبهذا يكون استخدام النقد بدلا من البضائع فى المعاملات قد استغرق اتمامه نحو نصف قرن وكانت هناك بعض معاملات نقدية صرفه منذ بدء ادخال نظام النقد مثل مبدأ الائتمان او اوراق الاعتماد والسندات .

وكان الجيش العماد الحقيقى لسلطان الملك والحكومة الامبراطورية ،وتدل أقدم النقوش على أن المحاربين كانوا ينقسمون الى شاة فرسان يركبون الجياد وفرسان يستخدمون العربات الى يمر كل منها زوج من الخيل ويتميز الخياله بما يلبسونه ومن أحذية تنحنى فى مقدمتها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الى أعلى ،وقد عثر فى بعض المقابر على أسلحة مختلفة منها السيوف والخناجر والدروع ورؤوس السهام ،وقد صنعت جميعها من البرونز او الحديد ،كما عثر على أعنة للخيول وقد حليت رؤوسها وصدورها .

وكانت الخدمة العسكرية اجبارية فى وقت الحرب لكل ذكر سليم بين سن الخامسة عشرة والخمسين ،وتشير الشواهد انه لم يكن يعفى منها أحد ، اذ حدث مرة أن طلب والد ثلاثة ابناء ان يعف واحد منهم من الخدمة العسكرية فما كان من الملك الا أن آمر تقتلهم الثلاثة ،وارسل والد آخر أربعة من ابنائه الى ميدان القتال ،ثم رجا الملك ان يسمح ببقاء أخيهم الخامس ليشد عائل ليشد الاسرة فما كان من الملك الا أن أمر بقطع جسم هذا الابن نصفين ووضع كل نصف على أحد جانبى الطريق الذى سيمر منه الجيش .

ويبدو أن الجنديه كانت محبوبه ،ومصدر فخر للاهلية ، اذ كان الجند يخرجون الى القتال وسط دوى الموسيقى العسكرية وهناك الجماهير التى تجاوزت سن التجنيد .

وكانت اهم فرق الجيش ،فرقة الحرس الملكى ، التى تضم عددا من النبلاء والاشراف وكانت تتألف فى معظم الاحايين من ألفين من الفرسان وألفين من المشاة وتركزت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مهمتها فى حراسه الملك والمحافظة على حياته .

وتكون الجيش العامل كله بلا استثناء من الفرس والميديين ،وكان يؤخذ من هذه القوات الدائمة معظم الحاميات القائمة فى النقط العسكرية الهامة فى الامبراطورية ،أما القوات الحربية الكاملة فكانت تتكون من فرق تجند من جميع الامم الخاضعة لسلطان الفرس ،وكانت كل فرقة تتكلم بلغتها ،وتقابل بأسلحتها وتتبع أساليبها الحربية الخاصة . و كانت هذه نقطة الضعف الشديدة فى تكوين الجيش الفارسى ،فمن أول بادرة من بوادر الهزيمة كانت تتحول الى جموع من الغوغاء عديمة النظام ،وكانت تهزم أعداءها بقوة عددها لاعبر،وبمقدرتها على استيعاب قتلاها ،فاذا مالاقاها جيش حسن التنظيم يتكلم افراده لغة واحدة ويخضعون لنظام واحد حاقت بهم الهزيمة .

وفيما يتصل بالاسطول ،فلا شك أن تجربة الفرس فى ركوب البحر كانت فى بداية الامر أقل منها لدى غيرهم ولذا كانوا يستعينون بالفينيقيين ،ومع هذا لم يدخر الفرس وسعا فى انشاء اسطول قوى كان يضم سفنا فينيقية ويونانية ،واستخدموا فيه المصريين والقبارصة والسوريين

وغيرهم الى جانب الفينيقيين ويونان آسيا الصغرى، واستطاعوا أن يسيطروا على البحر المتوسط والمحيط الاطلنطى ،وكانت سفنهم التى صنعها لهم الفينقيون على ثلاثة أنواع النوع الاول سفن الهجوم والثانى ناقلات الجنود والخيول والثالث ناقلات الامتعة والذخائر وكان النوع الاخير صغير الحجم نسبيا .

وقد استتب النظام فى انحاء المملكه فى أوقات نهضتها بفضل سيادة القانون وعدم التهاون فى تطبيقه وكانت المراسيم لاتنقض بحال من الاحوال ،فقد اعتقد القوم أن الوعد أو المرسوم الملكى او الاحكام الملكية انما يوحيها الاله أهورا - مزورا نفسه .

وعلى هذا الاساس - كما يذكر ول ديورانت - كان قانون المملكه مستمدا من الارادة الالهية ،وكان كل خروج على هذا القانون يعد خروجا على ارادة الاله ،فكان الملك صاحب السلطة القضائية العليا ،ولكنه كان فى العادة يعهد بهذا العمل الى أحد اتباعه ،ويأتى من بعد المحكمه العليا التى تتألف من سبعة قضاة محاكم يحله تنتشر فى انحاء المملكة .

وكان الكهنه هم الذين يضعون القوانين ،وظلوا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

زمنا طويلا يتولون القضاء ،وبعد ذلك تولى هذا المنصب رجال بل ونساء من غير رجال الدين ونسائه ،وكانت الكفالة تقبل من المهتم فى جمع القضايا الا ماكان منها خطير الشأن ،وكانت المحاكم وهى تنظر فى الجرائم تقدر ما للمتهم من حسنات وما أداه من خدمات ،ولكى يحولوا بين اطالة الاجراءات القضائية حددوا زمنا معينا تنتهى فيه كل قضيه تعرض امام المحاكم ،وفى بعض الاحيان كان يعرض على الخصوم ان يختاروا لهم حكما يحاول فض مابينهم من نزاع بالطرق السليمة .

ونظرا لكثرة السوابق القانونية و تعقيد القوانين فقد نشأت طائفة أطلق عليها " المتحدثون فى القانون كانوا يعرضون على المتخاصمين ان يفسروا لهم القانون ويساعدوهم على السير فى قضاياهم .

ومن المرجح ان القضاة كانوا يبقون فى مراكزهم مدى الحياة مالم ينسب اليهم مايدعو الى فصلهم بسبب بعدهم عن العدالة ،ومما عمله قميز لضمان نزاهة القضاء ان أمر بأن يسلخ جلد القاضى الظالم حيا وأن يستخدم هذا الجلد لتنجيد مقاعد القضاة ،ثم يعين ابن القاضى القتيل بدلا منه .

وفيما يتصل ببعض العقوبات ،فلقد كانت الجرائم الصغرى يعاقب عليها بالجلد من خمس جلدات الى مائتى جلد و ذلك بسوط من سياط الخيل ،وكان عقاب من يسمم كلب راع مائتى جلده ،ومن يقتل آخر خطأ يعاقب بالجلد تسعين جلده ،وفى بعض الاحيان كان يستبدل الجلد بالغرامه وذلك على اساس احتساب كل جلده واحدة بست روبيات .

أما الجرائم التى هى آشد من هذه فكان يعاقب عليها بالكى بالنار او بتشويه الاعضاء او بتر بعض الاطراف ،أو سمك العين او السجن او الاعدام ،وكان نص القانون يحرم على آى انسان حتى الملك نفسه ان يحكم على انسان بالقتل عقابا على جريمة صغرى ،ولكنه يحل القتل عقابا على خيانة الوطن او هتك العرض أو اللواط ،أو القتل او حرق الموتى او دفنهم سرا ،او الاعتداء على حرمة القصر الملكى ،او الاتصال باحدى سراوية ،او الجلوس مصادفة على عرشه او الاساءة الى احد أفراد البيت المالك .

وكان يتم اعدام المذنب بعدة طرق منها ارغامه على تجرع السمم ،او خزقه او صلبه ، أو شنقه ،أو رجمه بالحجارة او دفن الجسم الى مادون الراس ،أو تهشيم راسه بين حجرين كبيرين ،أو خنقه فى رماد ساخن ،اوبقتله

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بواسطة مايعرف باسم عقاب الزورقين ،وفيه كان يؤخذ قاربان متماثلان تماما ثم يوضع المذنب على ظهره في احدهما ويغطى بالقارب الثاني بحيث يترك راسه ويداه وقدماه في خارج القاربين ، اما سائر جسمه فيكون بينهما ثم يقدم له الطعام ،فاذا رفض أرغموه على ذلك بوخز عينيه ،وبعد تناوله يسقونه مزيجا من اللبن والعسل يصبونه في فمه و على وجهه بأكمله ،ويظل وجهه في هذه الاثناء موجها نحو الشمس ،فلا يلبث آن تغطيه أسرابا الذباب ،ونظرا لتبرزه وتبوله في مكانه فكانت تكثر الحشرات و الديدان في البراز الاقذار وتتسرب الى جسده ،ويترك هكذا الى آن يموت ويتحلل جسده ،ولايرفعون القارب الذى فوق جسده الا وقد تآكل جسده وتكاثرت الدايدان فيه ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المراجـــــع

- عبد النعيم محمد حسنين : الايرانيون القدماء ، القاهرة ١٩٧٤.

- محمد ابو المحاسن عصفور ،معالم حضارات الشرق الادنـى القديم ،بيروت ، ١٩٧٩،ص ٢٧٢،٢٧٧.

- محمد عبد السلام كفافى : فى أدب الغرب وحضارتهم،وبيروت ١٩٧١ ،ص ١٣٤ – ١٤٢

ول ديورانت ،قصة الحضارة ،المجلد الاول ، الجـزء الثانى

- Gray, G.B., " The Reign of Darius" , In C.A.H., Vol. IV, PP. 184 ff.

- Huart, C., Ancient Persian and Iranian Civilization, PP. 25 ff.

- Plutarch, Life of Artaxerxes

- Rawlinson, Five Great Monarchies of the Aneient Eastern world, III, PP. 171 - 172, 241,245.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفكر الدينى

لايوجد لدينا فكرة واضحة عن طبيعة الفكر الدينى القديم فى ايران قبل ظهور زردشت والمعلومات التى بين أيدينا مستمدة من كتاب زردشت الدينى ومما ورد فى كتابات المؤرخين اليونان .

ويستدل مما ورد فى الأوستا أن القوم قد عبدوا الاجرام الطبيعية كالشمس والقمر والنجوم ، كما أنهم قدسوا عناصر الطبيعه من ماء ونار وتراب ،وروى المؤرخ هيردروت أن الفرس كانوا يعبدون الشمس والقمر والارض والنار والماء والنجوم منذ أقدم الازمنه ،وبقى فى دين زردشت بقايا من الفكر الدينى السابق له تمثل فى تقديس الاجرام الطبيعية وتقديس عناصر الطبيعه ، كما أن به دعوة حاره الى نبذ السحر وعبادة الشياطين .

زردشت :

يعتبر زردشت المؤسس الحقيقى للدين الفارسى القديم فشخصيته وتعاليمه قد صبغت هذا الدين بصبغة قوية ميزته عن غيره من الأديان الاريــة . ويختلف الباحثون حول زمان مولده ومكانه ،وفيما يتصل بزمان مولده ،فقد اتجه المؤرخون اليونان الى القول بانه قد ظهر قبل الميلاد بحوالى ستة آلاف عام أو أكثر ،بينما ترى الكتب اليهودية

أنه ظهر قبل حملة الاسكندر بثلاثمائة عام ، أما الروايات الزردشتيه فتذكر أن زردشت قد ولد فى حدود سنه ٦٦٠ق٠م٠

ويتجه العلماء المحدثين الى تحديد تاريخ مولده فيما بين القرن الرابع عشر والقرن السادس قبل الميلاد، وان كان معظم العلماء يتجهون الى الاخذ بالرأى الذى نادى به وليامز جاكسون A.VW . Jaclspm وهو أن زردشت قد ولد فى النصف الثانى من القرن السابع ق ٠ م وتوفى فى النصف من القرن السادس ق ٠ م ٠

أما عن المكان الذى نشأ فيه ، فكان الرأى السى أنه فى بلخ ، ولكن الرأى الغالب أنه ولد فى منطقة أذربيجان وفى شيز على وجه التحديد ،وهذا الرأى الاخير يطابق ما ورد فى الأوستا والكتب البهلوية،ويذكر بعض المؤرخين الاسلاميين كالبلاذرى وابن الفقيه والمسعودى وأبى الفداء أن زردشت من أذربيجان ،وأنه ولد فى (أريـنه) وعلى ذلك فانه طبقا للروايات الزراشتيه والاسلامية وأقوال غالبية المستشرقين يكون موطن زردشتا فى غربى ايران ، ومن هناك هاجر شرقا الى بلخ حيث قام بنشر دعوته ٠

وفيما يتصل بحياة زردشتا ،فقد ورد فى الأوستا فصل كامل عن حياته ،ولكن هذا المفصل فقد ،وقد حفظت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أجزاء منه فى الكتابات الدينية البهلوية ،ويشوب الكثير مما ورد عن حياته وبخاصة مولده الكثير من العجائب والخرافات ، ومنها : أن أمه قد حملت به حملا الهيا مقدسا ذلك أن الملاك الذى كان يرعاه تسرب الى نبات الهوما ، وانتقل مع عصارته الى جسم كاهن حين كان يقرب القرابين المقدسة ،وفى ذلك الوقت نفسه دخل شعاع من أشعة العظمه السماويه الى صدر فتاة راسخة النسب ،وتزج الكاهن بالفتاة وامتزج الحبيبان الملاك والشعاع ،فولد زرادشتا من هذا المزيج ، وتروى الأساطير -أنه حين ولادته لم يبك مثل سائر الاطفال ،ولكنه ضحك ففرت من حوله الأرواح الخبيثة ، وفرحت الطبيعة بمقدمة فاهتزت الاشجار وانسابت الأشجار .

ولما بلغ سن العشرين انقطع عن الناس وخلا بنفسه يتفكر ويتأمل ،وبدأ دعوته فى عمر الثلاثين ،وتروى القصص أنه لم يستطع أن يقنع أحد بدينة لمدة عشر سنوات حينما نجح فى اجتذاب تاج واحد ،ولكنه وبعد أن نجح فى اقناع أحد ملوك ايران بدعوته أخذ فكره فى الانتشار فى ايران ثم فى بعض أجزاء من الهند وآسيا الصغرى .

وكان الكتاب المقدس للدين الجديد هو مجموعة الكتب التى جمع فيها اصحاب زردشت واتباعه أقواله وأدعيته ،

وسمى أتباعه المتأخرون هذه الكتب باسم " الاوستان (الابستان) وتجمع الروايات على أن ما وصلنا من صحف زردشت نزر يسيـــــر مما كانت له عليه ،ويتجه بعض الباحثين الى الاعتقاد بـــــأن الموجود بين أيدينا من الأوستا القديمة هو ما يعادل ربعهـــا فقط، وطبقا لما ورد فى كتاب " دنيكرت " (أحد الكتـــــب البهلوية المشهورة) فان الاوستا التى كانت موجوده فى العصر الهجا منش قد احترقت عندما اشغل الاسكندر المقدونى النيران فى قصر الحكم ،وحصل اليونانيون على نسخة أخرى لها وترجمـــوا اقسامها العلمية الخاصة بالطب والنجوم الى اللغة اليونانيـــة وألقوها بعذ ذلك فى النار، وفى العصر الساسانى تم جمع ماحذف من الأوشا من علوم الطب والفلسفة والنجوم والجغرافيا مـــن اليونان والهند وأضيف اليها ،وتم الاعتراف بهذه الاوستا رسميا فى عهد سابور الكبير (٣١٠ – ٣٧٩ م) واعتبرت قانونـــــــا للدولـــــة .

وتتكون الأوستا أو الابستان حاليا من خمسة أجزاء هـى :

(١) يسنا yasng : وهى أهم الاجزاء ،ومعناها العبـــــادة والتسبيح والصلاه والعبـد ، وتتكون من ٧٢ نصلا كل فصـــل منها يسمى " ها " أو " هات " ويعتقد أن الفصول الاولـــى من اليسنا اكثرها قداسة لأن الزردشتيون يعتقدون أنها مـن نظم زردشت نفسه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٢) ويسيرد : ومعناها (كل السراه) وهو ليس كتابا مستقلا بذاته بل يمكن القول بأنه من ملحقات اليسنا، ويسمى كل فصل من فصوله (كرده) وتتراوح عدد فصوله ما بين ٢٧ و ٢٣ فصلا .

(٣) ونديداد: ومعناه (قانون ضد الشياطين) وهويتكون من ٢٢ فصلا ،وتتصل فصوله بخلق الارض والاقاليم والصحة والمرض والقوانين المذهبية والاحكام الدينية .

(٤) يشتها : جمع كله " يشت " ومعناها العباده والتسبيح فهى تسابين للخالق وملائكته ، وفيها العديد من الفقرات التى تشير الى بعض الاحداث التاريخية التى صيغت فى قالبأسطورى والموجود الآن منها واحد وعشرون يشتا تتراوح فيما بين الطويل والقصير.

(٥) خرده آوستا : أى الابستان الصغير أو مختصر الابستان، وهو كتاب للصلاة والادعية الخاصة بكل وقت من اليوم والايام المباركة من الشهر ،والاعياد الدينية فى العام ،والمراسم الاخرى وأوقات الصحة والمرض ،وفصول هذا الكتاب وأدعيته مستخرجه من الابستاق الكبير مع ادخال تعديل فى أول وآخر كل منها يلائم الصلاة والدعاء فى كلمناسبه ،وقد زيد عدد هذه الأدعية فيما بعد.

وبمرور الزمن أصبحت فنون الأوستا من الغموض بحيث احتاجت الى شرح وتوضيح ولم يكن فى وسع كل زردشتى أن يفهمها ،فوضعت العديد من الشروخ والتفاسير المختلفة والتى منها :

(١) الزند : هو الشرح الأول للأوستا ، وقد بدىء فى كتابته فى القرن الاول الميلادى وهو ترجمة حرفية للاوستا مختلطة بالمتن ،وكثيرا مايخلط القدامى بينهما •

(٢) البازند : تفسير الزند و كتب بالبهلويه وقد ظهرت لغة البازند بعد الفتح العربى •

(٣) اياردة أوهى شرح شروح الاوستا فهى شرح للزند وسائر الشروح الاخرى ،وهى أوضح التفاسير للاوستا•

ومن أهم خصائص دين زروشت ، التثنية ،أى الاعتقاد بوجود قوتين تسيطران على هذا العالم هما قوة الخير وقوة الشر ،او اله الخير الذى يمثله أهورا مزدا يقابله الشر الممثل فى الشيطان أهريمن ،وعالم الدنيا من خلق الله ،ولكن الشيطان يفسد هذا الخلق ويتلفه ولولا هذا لكان عالمنا الدينوى عالما خيرا ،لانه من خلق اله الخير ان هذا العالم الدينوى هو نقطة الاحتكاك بين الخير والشر ومسرح الحرب بينهما ،ومحور هذا العالم هو الانسان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الا انه يؤمن أن الشيطان فى النهاية سينهزم ،وسختص الى الابد وبذلك تسود مملكه النورى وهنا تقوم القيامه ويبعث الناس ،ويكافأ الخير ،ويعاقب المذنب .

وتؤمن الرزوشيته بالبعث ،وكذلك بالحساب ،ويكون حساب الانسان يوم البعث منوطا بما قدمه فى الدنيا من خير أو شر .

وكان أهور مزوا اله الايرانيين القدماء ،ومعنى اسمه " الاله الحكيم " وأهم صفاته العلم والحكمه ،وهو حارس يقظ ،يحمى و يقى ،يكافىء ويعاقب ،وهو أب لكل شىء حسن وهو خالقه ،وعرشه فى السماء فى عالم النور والخلود ،ويوجد حوله عدد من الملائكه يتلقون أوامره وينفذونها .

ويقف امام عرش أهور مزدا عدد من الملائكة الكبار يتلقون أوامره وينفذونها ،وهؤلاء الملائكة الكبار شبيهون بالوزراء ،والاسم الايرانى الذى أطلق عليهم يفيد معنى الكائنات المقدسة الخالدة ،وعدد هؤلاء الملائكة ستة وتتكون منهم مع أهور مزدا قيادة مملكة النور وهم ليسوا كائنات حية ،وانما هم اسماء تعبر عن مثل او تصور فضائل مجردة مطلقة ،وهذه الفضائل هى : (١) الفكر الخير ،(٢) الصواب

(٣) الكون اولئك المرتجى ،(٤) التقوى الخيره ،(٥) الصحة المبخية ،(٦) الخلـــود •

وحسب الفكر الدينى الزردشتي ،فلقد كان أهور مزدا هو خالقها وقد أوجدها لتعاونه فى عمله ،وكل مالها من قوة خالقة او منظمه يلائم وضعها بوصفها عمالا عند أهور مزدا الذى يمضى ارادته ومشيئته عن طريقها ،وهو يكلفها بكثير من الاعمال الدنيا ،فالفكر الخير موكل برعاية الحيوانات النافعه ،والصواب الاعظم موكل برعاية النار والملك المرتجى موكل برعاية المعادن ،والتقوى الخيرة الالهه الارض ،والصحة المنجية موكله برعاية الماء ،و أما الخلود فموكل برعاية النباتات •

ويخصص لكل من هذه الملائكة شهر لتعظيمه ،كما أن لكل منها يوما مقدسا ،كما أن لكل من هذه الملائكه نوعا من الزهور يناسبه ويقدم اليه كهدايا ،فالياسمين يهدى لملك الفكر الخير • ويلاحظ انه حسب الفكر الزروشتى كان لكل من هذه الملائكة شيطان يعارضه ولكن كل ملك سوف ينتصر على شيطانه ،وذلك حينما تقوم القيامه ومنع الحساب •

ويلى طبقة الملائكة الكبار ،طبقة أخرى من الملائكة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تعرف باسم " اليزاتات" Yazalas ومعناها الكائن المعبود ،ومهمتهم أن ينقلوا أوامر الله الى الناس و أن ينفذوا ارادته ،وعددهم يقدر بالالاف ،وهى ليست متساوية فى أهميتها ،وتنقسم الى فريقين ،فريق سماوى وفريق أرضى ،ويأتى على راس الفريق السماوى اهور مزوا ،وعلى راس الفريق الارضى زرادشت .

ويعتقد الزرادشتيين بوجود عدد كبير من الارواح الخيره ،وهى تمثل عنصرا روحيا فى تكوين الانسان و كان يطلق عليها " فرافاشا " وهى تعنى الملك الحارس أوالراعى وكان يوجد فى السماء قبل ان يولد الانسان ،وعند موت الانسان تتحد الروح بنفسه ،ولهذا فان نفوس الموتى تعد أرواحا من هذا النوع . واعتقد أن هذه الارواح تعاون البشر فى محاربة الشر وتحرس كل ماهو نافع ومفيد فى الدنيا .

ولم تقتصر مملكه السماء على الملائكه بل ضمت كذلك كائنات خرافية خيره كانت تعاون كذلك فى حسن ادارةالعالم وجلب الخير للانسان .

وبجانب قوة الخير فى العالم والتى يمثلها

الملائكة ،توجد قوة الشر والتى يأتى على راسها الشيطان الاكبر المعروف باسم " اهريمات " وهو بطبيعته شرير منذ البداية ،وصور فى الاوسنا على أنه شرير وانه يتعقب اهور مزوا ليتلف فى اصرار مايخلقه وهو يحاول أن يضعف سلطة الخير ،وان كان لايستطيع القضاء عليها . فما خلق أهور مزوا خيرا الا خلق أهريمان شرا يقابله ،ولهذا سميت أعماله بالافعال المضادة ،فينسب اليه خلق الموت وانه صانع الشر وأنه يمنع المياه من أن تجرى فى مجاريها الطبيعية ،كما أنه يخلق الجراثيم والاوبئة والامراض ليؤدى الناس ويولمهم .

وكان يلى اهريمان مجموعه من الشياطين تولت من الفكر الشرير ،ومن الشيطان الاكبر ،ومن العقل الخاطىء وقد خلقها اهريمان لتحارب الخير وتؤدى الناس ،وكان منها مايظهر فى صورة البشر ،وهى فى غالب الامر تشخيص للاثام والاحزان والامراض .

ولقد راعت العقيدة الرزادشتيه الاحتفاظ بطهارة عناصر الطبيعة من ماء ونار وهواء وتراب ،فلقد كانت النار عندهم مصدر النور ،والنور رمز لاله الخير،ويتضح تقدسيهم للارض فى طريقه دفنهم لموتاهم ،فاذا مات انسان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حملوه الى جبل ،ووصفوه فى الهواء فى وعاء اسطوانى حيث يترك تحت حرارة الشمس لتفترسه الطيور الجارحة المتوحشة ،وكانت طهارة الماء واجب دينى يلتزمون به وكان يمنع القاء الحيوانات المنافعة فى مجارى المياه

ودعا زراوشت الى العديد من المبادىء الخلقية ومنها ان كل انسان مسئوول عن عمله ،وأن الاعمال الطيبه تسجل له ،كما تسجل الاعمال السيئه عليه ،وسوف قورنه هذه الاعمال يوم البعث ويحاسب عليها الانسان .

ومن هذه المبادىء الخلقية الوفاء بالوعد وعدم خداع الناس ،والكذب ،ولقد كان الكذب من اكبر الرذائل ،ويليه الوقوع فى الدين ،كما أنه يدعو الى الإعتزاز بالقومية وطاعه الحكام المدينية ورجال الدين والقناعه والشجاعه ومحبة العلم والحكمه .

وجاء فى الاوسنا أن على الانسان واجبات ثلاثة ان يجعل العدو صديقا ،وأن يجعل الخبيث طيبا ،وأن يجعل الجاهل عالما ،وأعظم الفضائل عند زرادشت التقوى ويأتى بعدها مباشرة الشرق والامانة عملا وقولا ،وحرم أخذ الربا من الفرس ،وجعل الوفاء بالدين واجبا يكاد يكون مقدسا . وراس الخطايا كلها هى الكفر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولما كانت التقوى أعظم الفضائل على الاطلاق فان أول مايجب على الانسان أن يفعله هو أن يعبد الله بالطهر والتضحية والصلاه ،ولم يسمح باقامه الهياكل او التماثيل ،بل كانوا ينشئون المذابح المقدسه على قمم الجبال و فى القصور او فى قلب المدن وكانوا يوقدون النار فوقها تكريما لاهور مزوا او لغيره من صغار الالهه ،و كانت كل أسرة تجتمع حول موقدها تعمل على أن تظل نار بيتها منقده لاتنطفىء أبدا.

المراجع

رشيد الناضورى : المدخل فى التحليل الموضوعى المقارن للتاريخ الحضارى والسياسى فى جنوب غربى آسيا وشمال افريقيا ،الكتاب الثالث ،المدخل فى التطور التاريخى للفكر الدينى ،بيروت ،١٩٦٩، ص١٥٥.

محمدعبدالسلامكفاف : فى أدب الفرس وحضارتهم ،بيروت ،١٩٧١، ص ١٩١ — ٢٢٠ .

يحيى الخشاب : " فصل فى اسلام فارس " فى موءلف ثمرات فارس ،القاهرة ،١٩٥٩، ص ٤

دل ديورانت: قصة الحضارة ،المجلد الاول الجزء الثانى ص ٤٢٤ — ٤٣٧.

Brown, E.G., Aliterary History of persia, vol I, Cambridge, =1964, pp. 99 - 102

Frye, R.N; the Heritage of Persia, London, 1962 p. 51 ff.

Gray, G.B. " Tje reign of Darus" in C.A.H., vol IV , p. 207.

Jackson, A.V.W., Zoroaster, the prophet of Ancient Iran, N.y., 1919.

Meyer, E., in Encyclopaedia Britannica, 11 th Ed., xxl, 205 b.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دراسة لبعض مظاهر العمارة الايرانية
فى العصر الهخامنشى

امتدت الامبراطورية الفارسية فى العهد الهخامنشى (الاكمينى / الكيانى) لتشمل ايران والعراق ومصر وسوريا ومملكة ليديا بآسيا الصغرى المدن اليونانية الموجودة بها وبعض جزر البحر المتوسط وبعض مناطق من الهند وترجع بداية تأسيس الامبراطورية الفارسية الى عهد الملك قورش (٥٥٩ - ٥٣٠ ق٠م) الذى يطلق عليه غالبا قورش الكبير • فبعد آن وطد حكمه فى ايران واصبحت مملكته •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

، تعرف باسم مملكة الميديين والفرس ، اتجه الى تكوين امبراطوريته ،فتمكن عام ٥٤٧ ق٠م من الاستيلاء على ليديا ومعظم آسيا الصغرى ٠ وقام فى الفترة من ٥٤٥ – ٥٣٩ ق ٠ م بتوسيع حدود دولته ناحية الشرق حيث وصل الى الهند التى ضم مناطق منها الى دولته و عام ٥٣٩ ق٠م تمكن من الاستيلاء على بابل وسوريا وفينيقيا ٠ وتوفى قورش عام ٥٣٠ ق٠م أثناء حملة قام بها للقضاء على الاضطرابات عند حدوده الشرقية ،وكان قد كلف ابنه قمبيز بتجهيز جيش لفتح مصر ،وتمكن الملك قمبيز (٥٣٠ – ٥٢٢ ق٠م) بعد أن خلف والده فى الحكم من الاستيلاء على مصر عام ٥٢٥ ق٠م ٠

وبعد موته خلفه دارا الاول (٥٢٢ – ٤٨٦ ق ٠ م) واستمرت الاسرة الهخامنشية حتى دخول الاسكندر الاكبر ايران عام ٣٣٠ ق٠م ٠

ولقد كان لفن العمارة الفارسى طبيعته الاصلية التى تأثرت بفنون عمارة الدول التى انطوت تحت لواء الامبراطورية الفارسية ،ونتج عن ذلك فن مركب هو الفن الاكمينى ظهر ذلك فى احجام المبانى شديدة الضخامة وفى زينتها وزخارفها شديدة الثراء ٠ ويلاحظ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

آن كل ماتبقى من مظاهر العمارة الايرانية يتصل بالملوك وسنقوم فيما يلى بدراسة نماذج من العمارة الايرانية فى العصر الاكمينى و فيما يتصل بالقصور والمقابر الملكية واخيرا المعابد ،وسنوضح التأثيرات الاجنبية فيها وبخاصة التأثيرات المصرية والعراقية والايونية

القصور الملكية

بذلت محاولات كبيرة لدراسة بقايا القصور الملكية فى المدن الفارسية الكبرى : باسارجادا وسوسه وبرسيوليس وفى الوقت ذاته اتجهت الجهود لمحاولة ترميم طرزها المعمارية • فلقد كان المقر الملكى فى الواقع هو المركز السياسى للامبراطورية ،و نقذ المعمارى فى المبانى الملكية ماكان يتصوره فى خياله • بينما اتبعت المبانى الجنزية طرازا واحد فقط يتشابه فى جميع الاحوال • فلقد اجتهد المعماريون الذين كانوا يشيدون القصور الملكية في تغيير تصميماتهم المعمارية من قصر الى آخر ،حيث رغب كل ملك فى تشييد قصر مستقل له ،ولم تكن لدى أى ملك الرغبة فى آن يستخدم الاشياء التى استخدمها اسلافه •

ويذكر استرابون ان احد المؤرخين المعاصرين للاسكندر وهو بوليكليوثوس (Polycleitos) قد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لاحظ ذلك فذكر " أنه على قمة الهضبة شيد كل ملك لنفسه قصرا مستقلا ،بأثاثه ونفائسه وأدواته ،والتى كان الهدف منها ان تكون جزية او اتاوة يفرضها فى عهده ثم تبقى اثرا يذكر بادارته "

وبعد أن اتحدت الملكية الفارسية نقل قمبيز الاول عاصمته الى باسارجادا (يفيد اسمها معنى "معسكر الفرس ") وهى تقع فى منطقة غنية وتتركز وسط قبائل الفرس التى تنتشر فى ايران من الناحية الجنوبية الغربية والى الجنوب من الصحراء الكبرى الوسطى فى اتجاه كرمان .

ومن الميزات التى تمتاز بها منطقة باسارجادا وجود قلعة محصنة تحصينا قويا ،وهى تغطى مساحة كبيرة ، اذ يبلغ طولها حوالى ٢٠٠ م بينما يصل عرضها الى حوالى ١٣٠م ،ويقع الى الشمال من القلعة مباشرة وأد مغلق يحيط به سور من الطوب اللبن ،ويوجد أعلى السور أبراج مربعة أبراج مربعة على مسافات متساوية .

وفى عهد قورش الكبير اصبحت باسارجادا عاصمة الامبراطورية ،ولقد شيد فيها قصره . الذى ظلت بقاياه قائمة حتى مجىء الاسكندر الاكبر الى هذه المنطقة،وتوجد

بقايا هذه القصور حاليا فى الخرائب الموجودة شمال شرق مقبرة قورش بحوالى نصف ميـــل •

ويتكون قصر قورش الكبير فى باسارجادا من ثلاثة مبانى رئيسية (شكل ٢) يقع المبنى الاول فى أقصى الجنوب الشرقى ،ويوجد مدخله الرئيس فى الركن الجنوبى حيث تبرز من السور المحيط بالبناء كله بوابه ضخمة أطلالها مربعة • وبعد المدخل توجد صالة كبيرة رفع سقفها على صفين من الاعمدة ،يتكون كل صف منها من أربعة عمد غير مقناة ،وقد قدت من الحجر الجيرى الابيض ونصبت الاعمدة فوق اسطوانات من الحجر الجيرى واساسات من الكتل الحجرية البيضاء • وفى كل جانب من الجانبين القصيرين للصالة يوجد ممر ،وضع عند مدخل كل منهما تمثالان كبيران مصنوعان من الحجر الجيرى الرمادى المائل للسواد ،واتخذت التماثيل شكل ثور ذى أجنحة واقيمت التماثيل فوق كتل حجرية سوداء• ويلاحظ أن الثورين الموجودين عند المدخل المواجه للقصر الملكى لهما رؤوس آدمية •

وكانت توجد فى الشمال الشرقى من الصالة حجرة صغيرة ،نقش عند مدخلها شكل انسانى يبلغ ارتفاعه

قدمين ،وقد رفع يديه فى وضع تعبد وهو متأثر بالاشكال الاشورية العراقية ،ولهذا الشكل الانسانى أربعة أجنحة ويوجد فوق راسه تاج (شكل ١٠) ويظهر التأثير المصرى واضحا فى هذا النقش ،ويتضح ذلك من وجود الاجنحة التى تمثل الاله حور • وتأثر التاج بالتيجان المصرية القديمة ،وقد زين التاج بقرنين منبسطين كانا يرمزان فى مصر للاله امدن ،ولقد سجل فوق هذا النقش نص مكتوب بثلاث لغات هى الفارسية والعيلامية والاكدية جاء فيه " أنا قورش الملك ، الاكمينى " •

والى الشمال الغربى من المبنى الاول وعلى مبعدة مايقرب من ٨٠ م يقع المبنى الثانى والذى يطلق عليه قصر الاجتماعات (شكل ١١) وذلك على قناة صغيرة • ولقد شيدت جدرانه من الطوب اللبن ويبلغ سمك الجدران حوالى عشرة اقدام ،واقيمت الجدران فوق اساسات من كتل الحجر الجيرى الابيض ،ويلاحظ ان اعتاب الابواب واكتافها والنوافذ قد شيدت من كتل الحجر الجيرى•

وتقع واجهة " قصر الاجتماعات فى الناحية الجنوبية" الغربية ويبلغ طولها حوالى ١٨٧ قدما خصص منها حوالى ١٠٠ قدم للشرقة الرئيسة ولم يتبق منها سوى حجرتين صغيرتين ،واحدة فى كل ركن من أركان الشرفة وزينت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جوانب القصر الاخرى برفات مماثلة ،ولكن يلاحظ ان الشرفه الواقعة خلف القصر كانت من أطول هذه الشرفات نظرا لعدم وجود حجرات جانبية فيها • ولقد زينت اكتاف الابواب سواء فى واجهة القصر او جوانبه بنقوش متماثلة وهى صور ثلاثة كهنة حفاة الاقدام يرتدون ثيابا تصل حتى أقدامهم ،وتشبه هيئتهم هيئة الكهنه الاشوريين •

ويتكون قصر الاجتماعات من صالة كبيرة ذات شكل مستطيل وقد رفع سقفها فوق صفين من الاعمدة يبلغ عددها أربعة فى كل صف • وتتميز الاعمدة بطولها وقلة سمكها ،فبينما يصل ارتفاعها الى حوالى أربعين قدما فان قطر محيطها يصل الى ثلاثة أقدام ونصف قدم و كانت قواعد هذه الاعمدة عبارة عن كتل حجرية سوداء ذات شكل مربع ،وشكلت تيجان الاعمدة من حجر أسود ،وقد نحت على هيئة الجزء الامامى لبعض الحيوانات التى امكن معرفة الثيران والاسود والخيول وأحيانا كانت تأخذ اشكالا مركبة تشبه تيجان الاعمدة العراقية •

والى الشمال من قصر الاجتماعات بحوال ٣٦٥ م يتسع المقر الملكى (شكل١٢) ويبلغ حجمه ٧٦ × ٤٢ م • وتوجد فى واجهة القصر شرفه مقامه فوق صفين من الاعمدة الخشبية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويبلغ ارتفاع هذه الاعمدة ستة أمتار . ويلاحظ ان المقر الملكى يشبه فى تصميمه العام ونقوشه قصر الاجتماعات ،

ويتضح من دراسة نماذج الاعمدة التى استخدمت فى مبانى قورش فى باسارجادا ، أنها متناثرة بالاعمدة الايونية فى آسيا الصغرى . وذلك من حيث شكلها العام وفى استخدام الحجر الجيرى الابيض والاسود (شكل١٣)

وبعد أن تولى دارا الاول العرش (٥٢٢ – ٤٨٦ ق.م) وامتدت امبراطوريته من مصر غربا الى الهند شرقا اصبحت العاصمة باسارجادا صغيرة بالنسبة لهذه الامبراطورية فاختار مدينة سوسة لتصبح عاصمة سياسية وادارية ويشير دارا فى أحد نصوصه الى ماقام به من أعمال ترميم للمبانى العيلامية التى كانت موجودة فى سوسه واقامته لمبانى اخرى جديدة بدلا من تلك التى دمرت وجاء فى هذا النص : " لقد قمت بترميم العديد من الحصون التى لحقها التدمير ، وأعدت بناء القلعة ، كما قمت ببناء حصون جورناما (Gurnama) واللانوش (Allanush) ، ولقد شيد فى هذه العاصمة العديد من المبانى ، منها القلعة التى أقامتها فوق انقاض القلعة العيلامية ، وشيد القصور الملكية الى الشرق من القلعة ، أما مبانى العاصمة فتقع الى الجنوب من القصور

وأحاط هذه الاقسام الثلاثة بسور كبير حفر أمامه أخدودا هو النهر الصغير شاهور لحماية المدينة .

ولقد سجل الملك دارا الاول فى أحد نصوصه عملية تشييده لقصره في سوسه والشعوب المتعددة التى شاركت فيها ،ومما جاء فى هذا النص :

" هذا هو القصر الذي شيدته في سوسه ،وأحضرت زيناته وزخارفه من اماكن بعيدة ،ولقد حفرت أساساته حتى وصلت الى القاعدة الصخرية . ووصل عمق الاساسات فى بعض المناطق الى ٦٠ قدما بينما كانت فى مناطق أخرى ثلاثين قدما ،وأخذ البابليون الرديم والحصى المستخرج وصنعوا منه الطوب المحروق ،وقد أحضرت كتل اخشاب الارز من جبل يسمى لبنان ،ولقد قام الاشوريون باحضاره الى بابل ،حيث قام الكاريون والايونيون بتوصيله الى سوسه ،وجلبت اخشاب الساج من جاندارا وكارمانيا . وأحضر الذهب الذى استخدم فى القصر من ساردیس وباکتیریا ،وجلب اللازورد والعقيق من سوجديانا ،والفيروز من شورا سمى ،والفضة والابنوس من مصر ،والزخارف التى زينت بها الجدران من ايونيا والعاج من آثيوبيا والهند واراشوذى ،والاحجار الخاصة

بالاعمدة من منطقة ابيرادوش فى علام ،وأما النحات الذين قاموا بنحت الحجارة فقد كانوا من ايونيا وساردييس ،وجاء الصياغ الذين قاموا بتصنيع الذهب من ميريا ومصر • أما الاثاثات الخشبية فقام بصناعتها عمال ساردييس ومصر ،وقام العمال البابليون بصناعة الطوب المحروق ،بينما قام الميديون والمصريون بزخرفة الحواشط ••• "

وشيد القصر على النمط البابلى ،فبنى منصه صناعية كما اتبع فى تصميمه نمط القصور البابلية والاشورية (شكل ١٤) ويلاحظ أن تخطيط مبنى الاجتماعات يشبه نظيره فى باسارجادا بما فى ذلك وجود صالة وسطى يحيط بها ثلاثة أروقة ،وتوجد عند زواياها الشمالية حجرتان مربعتان ،ورفع سقف الصالة الوسطى فوق ستة صفوف من الاعمدة ،فى كل صفة ستة أعمدة ،وبذلك يصبح عدد أعمدتها ستة وثلاثين عمودا•

ولقد قدت هذه الاعمدة بمهارة ودقة واتقان ،وكان جسم العمود مضلعا ،وقاعدته مربعة ،وزينت تيجانه بمقدمتى ثورين (شكل١٥) ويبلغ ارتفاع كل عمود عشرين مترا ،وكان بكل رواق من الاروقة الثلاثة صفين مكونين من ستة عمد كانت قواعدها على هيئة الناقوس •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتوجد حجرة العرش فى الشمال الغربى من مجموعة مبانى القصر ،وهى مربعة الشكل يبلغ طول ضلعها ٥٩ مترا وقد صنعت بوابتها من الخشب المغطى بصفائح البرونز ويلاحظ أن الاعمدة الموجودة فيها كانت مقناة ،وشكلت قواعدها على هيئة الناقوس ،أما تيجانها فقد زخرفت بمقدمتى ثورين ،ويوجد فى تيجان الاعمدة بقايا طلاء أحمر مما يستدل منه على أن أعين الثيران كان يتم تلوينها .

ولم يمض وقت طويل على الانتهاء من العمل فى قصر سوسه حتى يقرر دارا بناء عاصمة آخرى فى برسيبوليس فى موطنه الاصلى فارس وتقع برسيبوليس جنوب سارا جادا ويرجع أهمية موقعها الى طبيعتها الدينية ،حيث دفن الملوك الاكمينيون بالقرب منها فى موقف نقش رستم و حيث كان يتم الاحتفال سنويا عند بداية الربيع بعيد النيروز ،وهو العيد الكبير للديانة المزدية . وهويمثل راس السنة .

وبدا العمل فى المدينة الجديدة باقامة شرفة تستند الى الجبل وذلك على امتداد البروز الثانى من جبل كوهى رهمات (Kuh - I- Rahmat) بطول يقرب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من ٤٥٠ م• ولقد بدا دارا ببناء مدينة برسيوليس عـــام ٥٢٠ ق•م • واستمر العمل فى بنائها مايقرب من ستيـــن عاما ،حيث استكملت مبانيها فى عهد خلفائه كسركس وارتا كسـركس •

وسنحاول فيما يلى تتبع المعالم الرئيسة لمبـان برسيبوليـس (شكـل ١٦)•

ففى أقصى الشمال الغربى من المدينة يوجد السلـم الكبير وقد شيد على شكل منصة ،صنعت درجة من الاحجـار الجيرية الجيدة التى تم صقلها حتى أصبحت تشبه الرخـام ويتكون السلم من مجموعتين من الدرج أحداهما ناحيـة الشمال والاخرى ناحية الجنوب • وكان الدرج الموجـود ناحية الجنوب مخصصا لصعود كبار رجال الدولة من الفـرس والميديين ،أما السلم الموجود ناحية الشمال فكان مخصصا لصعود رؤساء البعثات المشاركين فى الاحتفالات •

ويوجد فى مواجهة السلم بوابة الملك كسركـس ويطلق عليها " باب كل الاقطار " ومنها يبدا الطريـق الذى يتخذه الموكب فى الاحتفالات •

والى الجنوب من بوابة كسركس توجد صالة الاجتماعات

وقد أضيف اليها أروقة فى جهاتها الشمالية والشرقية والغربية ،وفى الناحية الجنوبية بنيت حجرات التخزين وتوجد عند الاركان الاربعة لصالة الاجتماعات أبراج يوجد فيها درج يؤدى الى سطح الصالة . ولقد نحت عند مدخل كل برج أشكال كلاب كبيرة وحيوانات أخرى مفترسة ،كان الغرض منها الرمز بأنها تقوم بحراسة مداخل الابراج.

ويوجد لصالة الاجتماعات سلمان يؤديان اليها أحدهما فى الناحية الشمالية (٤) والاخر فى الناحية الشرقية (٦) ،وغطيت واجهات السلالم بنقوش ،ويلاحظ أن هذه النقوش كانت متماثلة فى كل من السلمين . وقد نقش موكب مكون من ثلاث وعشرين دولة وقبيلة خاضعة للامبراطورية ورجال البلاط من الفرس والميديين ،وفى ركابهم خيولهم وعربات الملك ومعهم حراس من أهل سوسة .

وفى الجنوب الشرقى من صالة الاجتماعات يوجد بناء يطلق عليه " المبنى الرئيس " أو " صالة المداولة " (٧) وهو عبارة عن بناء صغير له ثلاثة أبواب تذكارية وكان هذا المبنى يصل مابين المنطقة الشمالية ذات الافنية المفتوحة والمبانى العامة الفسيحة ،والقسم

الذى شغلته القصور التى اقام فيها الملوك ،وكان يقابل هذا المنبى فى الناحية الغربية القصر الذى شيده دارا لتقام فيه الولائم الرسمية (٨) ،ولقد أقام الملك كسركس قصرا آخر الى الجنوب لتقام فيه ولائمه الرسمية (٩)٠

و الى الشرق من صالة الاجتماعات كانت توجد صالة الاعمدة او صالة العرش (١٠) ويوجد فيها مائه عمود وقد صور فيها رؤساء البعثات السياسية وقد أحيطوا برجال من حاشيتهم ،وهم يتوجهون الى صالة العرش حيث يدخل كل رئيس بعثة ليضع تحت العرش هداياه ،واذا ما انتهت البعثات من مهمتها تعود من حيث جاءت من طريق المواكب ٠

ويوجد الى الشمال من صالة الاعمدة بوابة ضخمة غير كاملة (١١) ،والى الشرق من صالة الاعمدة اماكن اقامة الجنود (١٢ ،١٣ ،١٤) أما فى الجنوب فكانت توجد صالة مخصصة لحفظ جزء من الكنوز الملكية (١٥) ،ويقع الى الجنوب منها الصالة المعروفة ب " صالة التسعة وتسعين عمودا " وهى صالة العرش التى اقامها الملك دارا (١٦) ،وكان يوجد الى الجنوب منها الخزائن الملكية (١٧) وفى جنوب المدينة كانت توجد المساكن الملكية (١٨)٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن الاشياء الجديرة بالملاحظة فى مبانى برسيوليس استخدام الاعمدة فى كل المبانى بشكل كثيف ،وشكلت قواعد الاعمدة على هيئة الناقوس وزينت جوانبها بنقوش على هيئة أوراق الشجر او زهور ،ويوجد فوق القاعدة حلقة غير مزينة .

ويمكن تمييز أربعة أنواع من التيجان فى برسيوليس (١) التيجان التى على هيئة مقدمتى ثورين ،(٢) التيجان التى على هيئة رؤوس اسود وقد زودت بقرون ،(٣) التيجان التى على هيئة مقدمة مزدوجة للعقاب ،(٤) التيجا التى على هيئة رؤوس آدمية (شكل ١٧ ، ١٨) .

وتنوعت نماذج الاعمدة تنوعا كبيرا ،وعكس هذا التنوع الطرز المعمارية المتعددة التى تأثر بها صانعوا هذه الاعمدة ،فقد ظهر تأثرهم بالاعمدةاليونانية والفينيقية والمصرية .

ويلاحظ فى هذا المجال ان درجة تأثير العمارة الفارسية بالعمارة المصرية كان كبيرا ،فبالاضافة الى الاعمدة ،فقد أخذ الفرس عن مصر زينة الكورنيش المصرى التى زينت بها واجهات المبانى ،وقد ظهرت هذه الزينة فى واجهة قصر الملك دارا .

ويرجع ذلك الى مجيء الفرس الى مصر واقامتهم فيها فترة من الزمن، فتأثروا بما شاهدوه فيها، وبخاصة معابدها الكبرى بما تحويه من أفنية ومايوجد فيها من أعمدة ونقوش وزخارف، كما شاهدوا قاعات الاستقبال في القصور الملكية، فحاولوا نقل بعض هذه المظاهر المعمارية الى بلادهم، وساعدهم على ذلك الفنيون المصريون الذين أحضرهم الملك دارا للعمل في المباني الملكية في سوسة وبرسيوليس، وذلك حسبما ورد في نص الملك دارا الذى سبقت الاشارة اليه .

(٢) المقابر :

شيد ملوك فارس في العصر الهخامنشى لانفسهم مقابر ضخمة، ويمكن تمييز طرازين معماريين مختلفين لهذه المقابر، كان الطراز الاول منهما عبارة عن مباني مربعة مستقلة، وظهر هذا الطراز في باسارجادا ونقش رستم، وشيد هذه المقابر الملوك الاول في الاسرة الهخامنشية وهم قورش وقمبيز . و منذ عهد الملك دارا الاول تأثرت عمارة المقابر بتأثير خارجي قادم من مصر، وذلك بعد الغزو الفارسي لمصر، فأخذ ملوك الفروس ينحتون مقابرهم في الصخر، وأول من شق مقبرته في الصخر كان الملك دارا الاول، ثم تابعه في ذلك خلفاؤه من بعده .

وسنقوم فيما يلى بدراسة نموذج من كل طـــــراز وسنتناول من الطرا الاول مقبرة الملك قورش ،ومـــــن الطراز الثانى مقبرة الملك دارا الاول .

ولقد شيدت الملك قورش مقبرته فى منطقة مشهــــد مرغب ،وذلك على مسافة قريبة من باسارجادا (شكـــل ١٩) وهى عبارة عن بناء مستطيل يشبه التابوت ،وله سقـــف جمالونى مكون من كتل حجرية ملساء وله باب فى أحد جانبيه يؤدى الى داخل التابــــوت
وترتفع هذه الحجرة فـــوق قاعدة هرمية مدرجة مكـونة من سبعة مداميك مبنيــــة من الحجر ويبلغ ارتفـــاع المقبرة مع قاعدتهــــــا حوالى احد عشر متــــــرا وكان يحيط بالمقبرة فـــى العصور القديمة رواق لـــم يبق منه الا بعض أساساتـــه التى يمكن رؤيتها حاليـــا
وكانت توجد حديقة تحيط بالمقبرة ورواقها ،وكانت الحديقة تروى بواسطة قنوات تصل اليهــــــا .

ويروى استرابون ان الاسكندر الاكبر عندما جـــاء الى باسارجادا زار مقبرة قورش ويشير انها عبارة عـــن برج بحجم معتدل فى وسط ميدان متسع ،ويوجد اسفلهـــا منطقة صخرية صلدة ،ويتوجها سقف حجرة ذات مدخل ضيـــق جدا •

ومنذ عهد الملك دارا الاول أخذ الملوك يشقـــون مقابرهم فى صخور الجبل الواقع خلف العاصمة برسيوليـــس من ناحية الغرب ،وتبعه خلفاؤه من بعده فشقوا مقابرهـــم بجوار مقبرته فى المنطقة التى يطلق عليها ،نقش رستم •

ويلاحظ أن هذه المقابر جميعا قد شيدت بطريقـــة واحدة ،وفيما يتصل بمقبرة الملك دارا (شكل ٢٠) فـــان سطحها الخارجى يصل ارتفاعه الى مايقرب من ٢٤٫٤٠ متـــرا وهو مرتب فى ثلاثة أجزاء بعضها فوق بعض ، الجزء السفلـــى منها عبارة عن بناء مستطيل لاتوجد فيه أية زينـــات ويوجد فوق هذا البناء المستطيل رواق من أربعة أعمـــدة شكلت تيجانها على هيئة رؤوس الثيران ،وله باب مزيـــن بزينة الكورنيش المصرى ،ويمثل الجزءان العلويان معـــا مقدمة القصـــر •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وزينت المقبرة فى أعلاها بصور نحتت فى بروز منخفضة ،وتمثل هذه الصور الملك وهو واقف فوق منصة تتكون من ثلاث درجات ،ويمد يده اليمنى فى هيئة المتعبد نحو مذبح اشتعلت فيه النار ،ويظهر قرص الشمس فى أعلى المنظر بين الملك والمذبح ويوجد أسفل المنصة ثمانية وعشرون شكلا لرجل مرتبة فى صفين بعضهما فوق بعض ،ويبدو مرجحا ان هذه الاشكال تمثل المناطق المتعددة التى تتكون منها الامبراطورية الفارسية .

وفيما يتصل بتصميم المقابر من الداخل ،فهى عبارة عن دهليز يؤدى الى حجرة منخفضة يوجد فى أرضيتها اناء واختلف عدد الاوانى التى عثر عليها فى المقابر مابين اناء واحد وتسع أوانى ،وكانت الجدرات الداخلية خالية تماما من أية نقوش أو زينة .

ويلاحظ أن فكرة شق المقابر فى الجبال ترجع الى الملك دارا الذى قام بنقل هذا الطراز المعمارى من مصر اثناء تواجده فيها حيث تأثر بالطراز المعمارية للمقابر المصرية الموجودة فى منطقة بنى حسن ،وهى المقابر التى شيدها حكام الاقاليم فى هذه المنطقة فى عصر الدولة الوسطى .

(٣) المعابد :

لم يتخلف من فارس القديمة شئ يماثل المعابد المصرية او العراقية او اليونانية ،ولايعنى ذلك انه لم يكن للفرس دور للعبادة ،حيث عثر فى ناحية نقش رستم على مركز دينى وجدت فيه بقايا نقوش عيلامية منحوتة فى الصخر كما يوجد تجاه مقبرة دارا معبد على هيئة برج مربع الشكل يسمى حاليا ،لعبة زراذشت •

وشيد الفرس العديد من مذابح النار ،وتوجد فى ايران حاليا فى العديد من المناطق آثار صغيرة يطلق عليها السكان " مكان النار " ولكن المشكلة التى تواجهنا هى تحديد الحقبة الزمنية التى ترجع اليها •

ويوجد فى منطقة نقش رستم مذبحان منحوتان فى الصخر (شكل ٢١) وهما غير متساويين فى حجميهما ويلاحظ انهما متسعان عند القاعدة اكثر من القمة ،ويوجد فى واجهة كل منهما قبو على هيئة نصف دائرة مصمت وهو يرتكز على اعمدة مربعة تدخل فى الاركان ،ويوجد فى اعلاها مائدة مربعة بها تجويف يوضع فيه النار• ويبدو محتملا ان هذين المذبحين كانا أقدم من مبانى برسيوليس وهمايرجعان الى تلك المدينة الفارسية القديمة وذلك قبل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أن تنمو وتصبح عاصمة الدولة .

وعثر فى باسارجادا بالقرب من مقبرة قورش على ركيزتين يبدو أنهما قد استخدمتا كقاعدتين لمذبحى النار ،يطلق عليهما حاليا ،منصة الطاووس " ،وهما يتكونان من كتلة حجرية واحدة تأخذ شكل المكعب ،وهى مجوفة من الجانب ،ويؤدى الى احدى هاتين الكتلتين سلم من سبع درجات . أما الكتلة الاخرى فقد اختفى سلمها وبجانب هذه المذابح التى عثر عليها مزدوجة ،فلقد كانت هناك مذابح منفردة ،ومنها تلك التى توجد فى فيروز آباد .

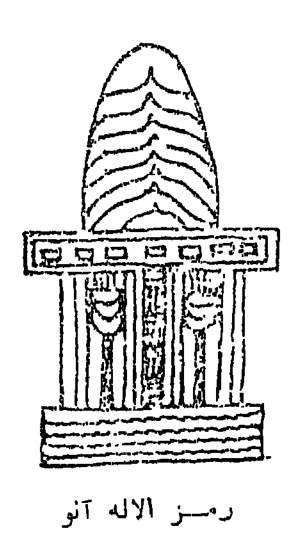
شكل (١)

المراحل التطورية التي مرت بها العلامة المسمارية الخاصة بالاله آنو

الشكل الصوري ٣٢٠٠ ق.م	الفترة السومرية ٢٧٠٠ – ٢٠٠٠ ق.م	العهد البابلي القديم ٢٠٠٠ – ١٥٠٠ ق.م	البابلي الحديث ٦٥٠ – ٥٣٩ ق.م	شمال، ش شرق، ش غ، غرب، شرق، ج شرق، ج غ، جنوب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شـــكل (٢)



رمـــز الاله آنو

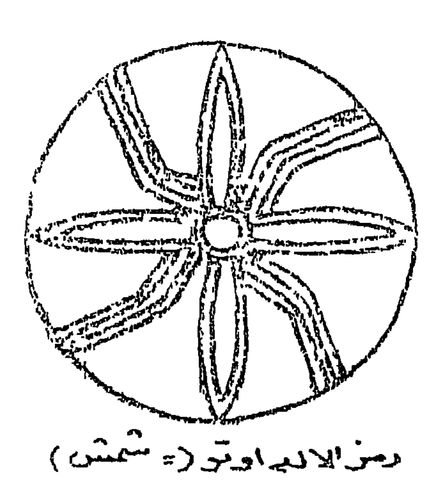
Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)


شـــكل (٣)


رمز الاله انكي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شـــكل (٤)

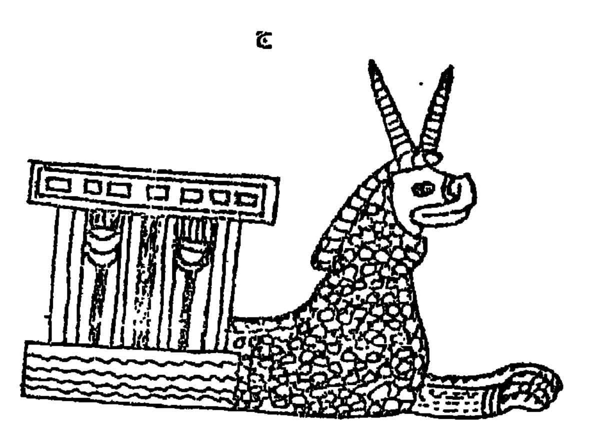


رمز الاله اوتو (= شمش)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شـــكل (٥)

ج



رمز الاله مردوخ

شـــــكل (٦)



رمز الاله اشور

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

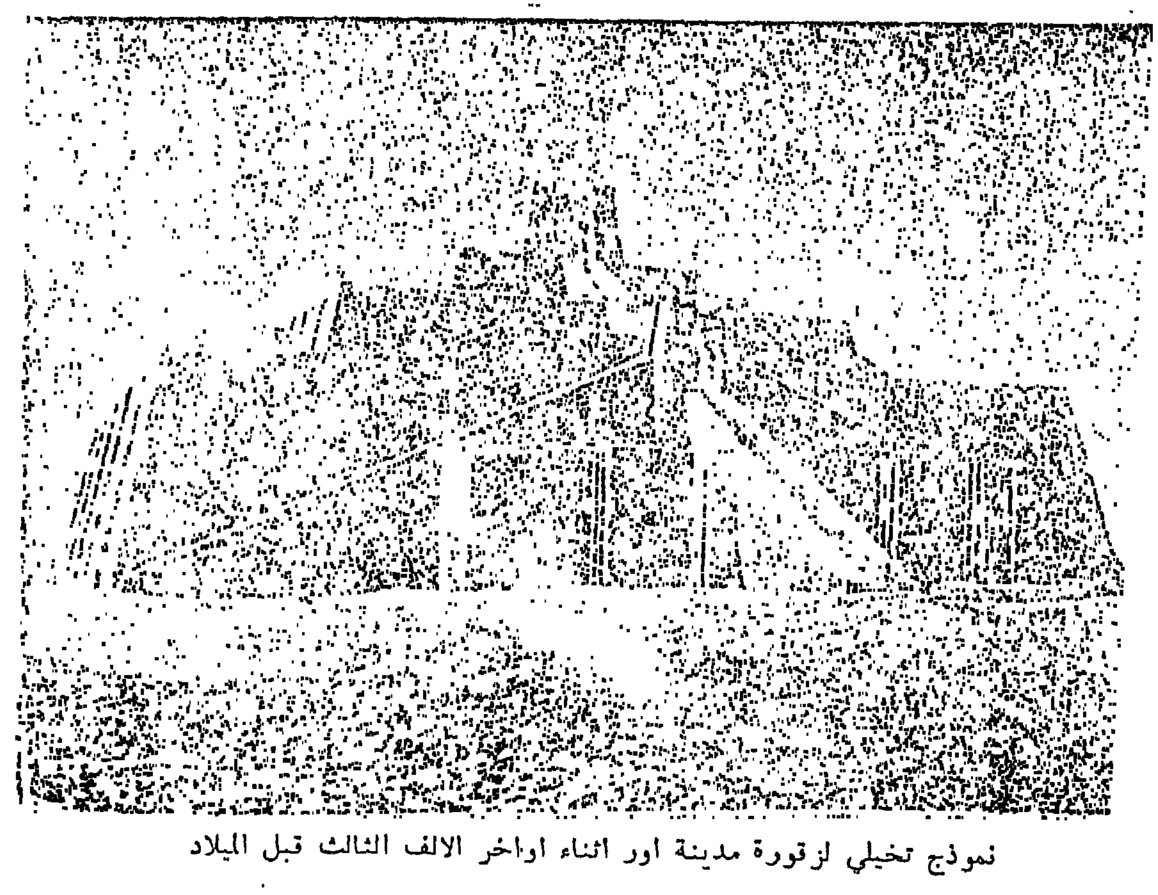
شـــكل (٧)



بالاجو (متحف اللوفر)

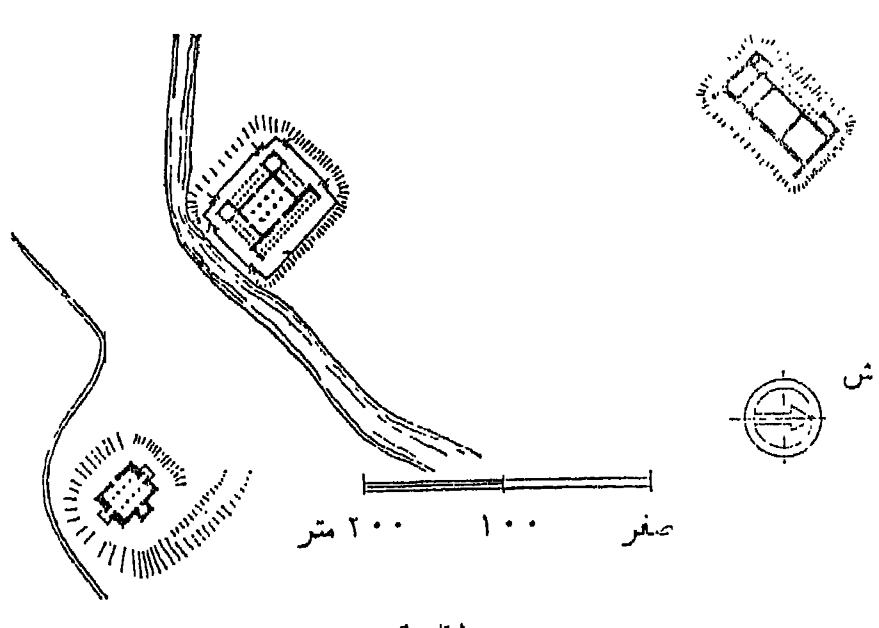
Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شـــكل (٨)



نموذج تخيلي لزقورة مدينة اور اثناء اواخر الالف الثالث قبل الميلاد

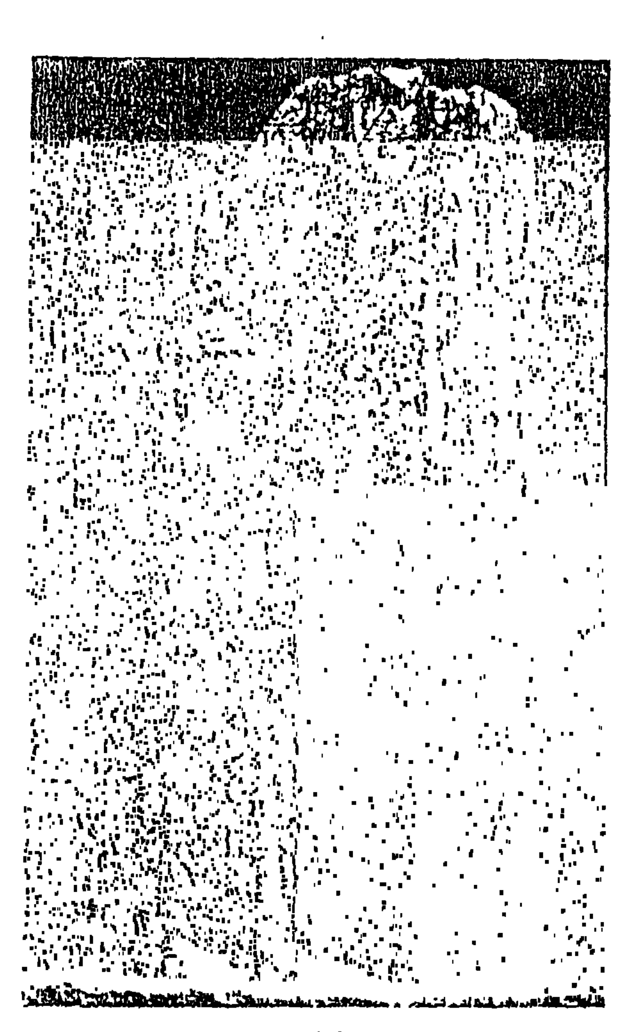
Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



شكل ٩٠

رسم تخطيطي لمجموعة مباني قصر قورش في باسارجادا

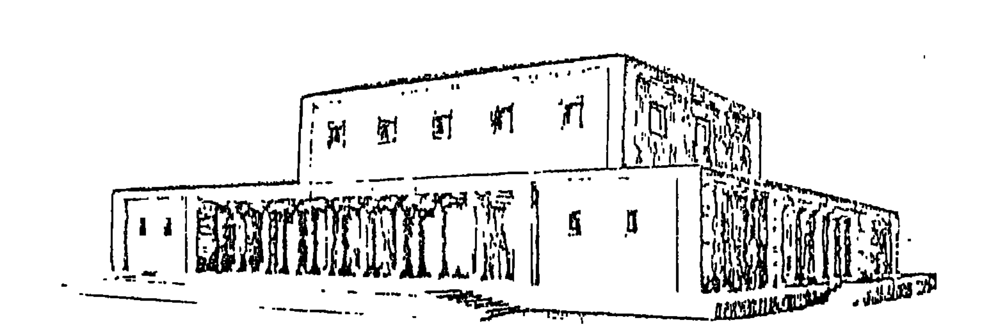
Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



شكل ١٠٠

نقش لحارس بوابة قصر قورش في باسارجادا

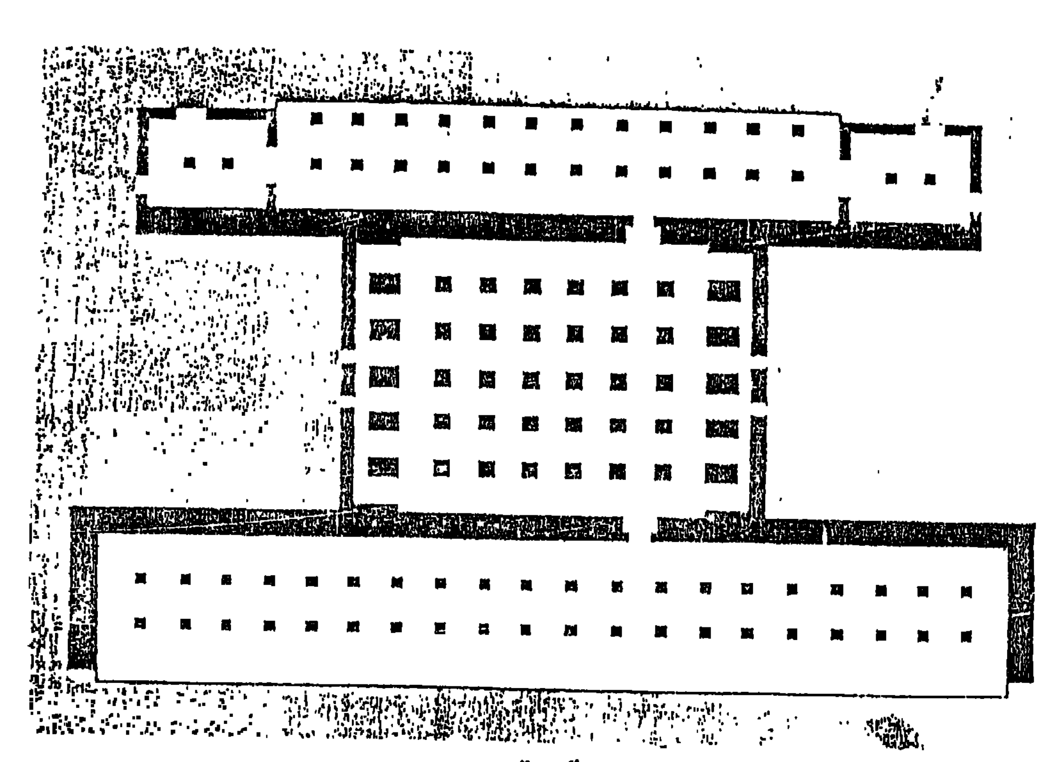
Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



شكل ٠ ١١٠

تصميم معماري لقصر اجتماعات الملك قورش في باسارجادا

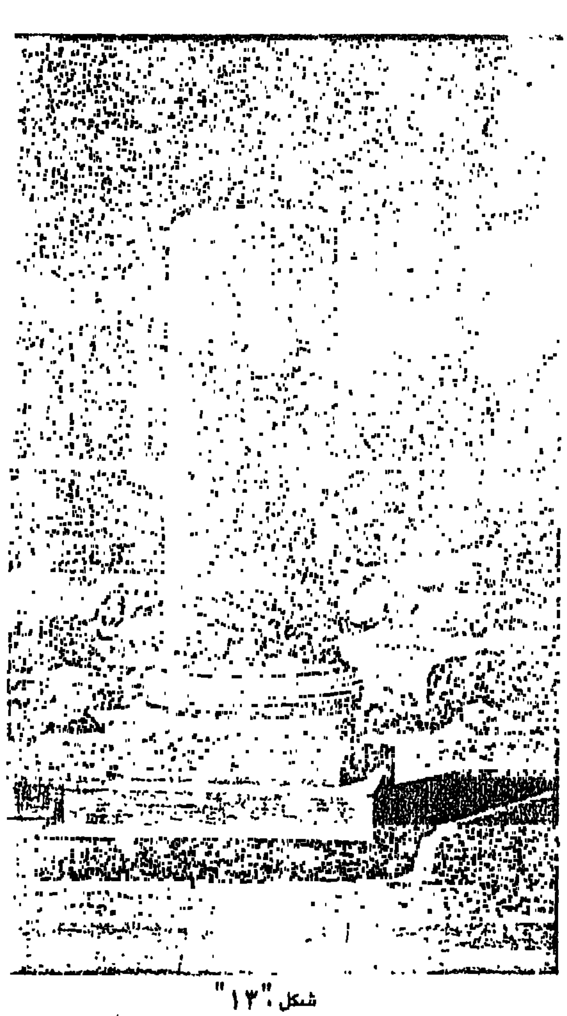
Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



شكل "١٢"

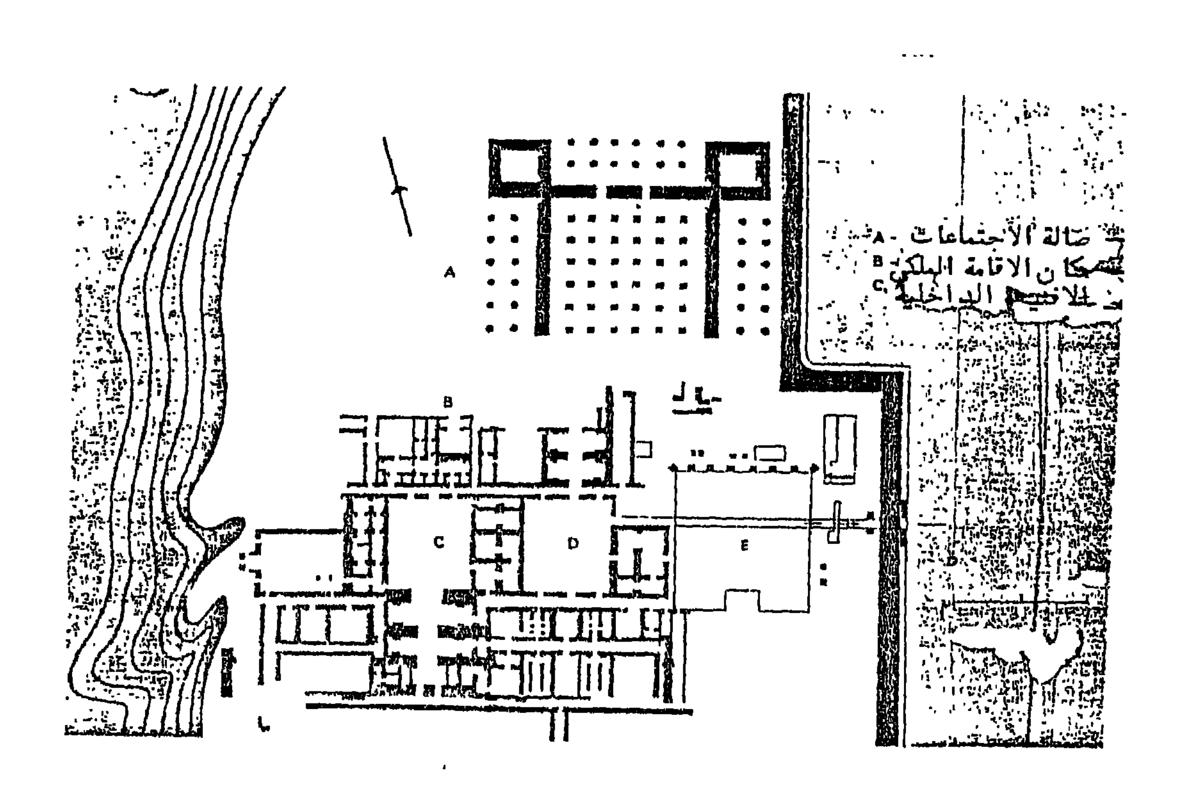
رسم تخطيطي للمقر الملكي في باسارجادا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



شكل "١٣"

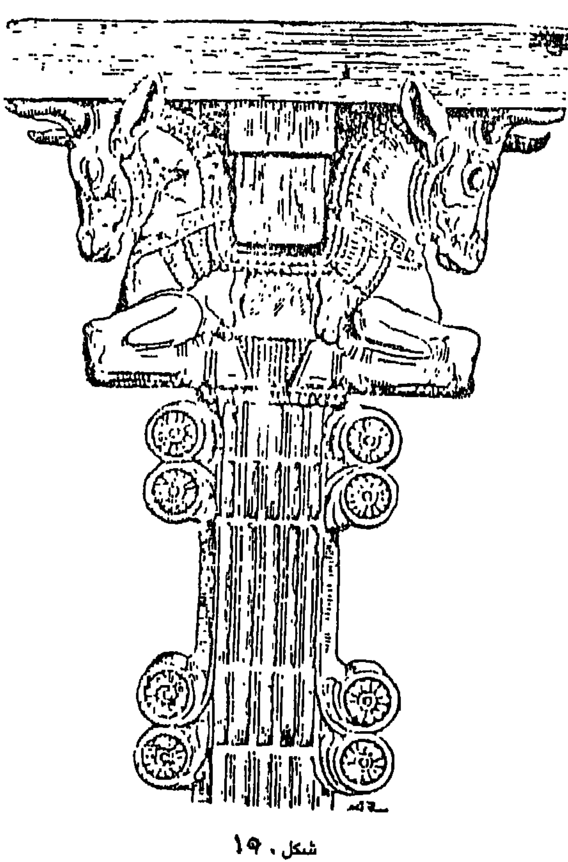
بقايا بعض الاعمدة من قصر قورش في باسارجادا



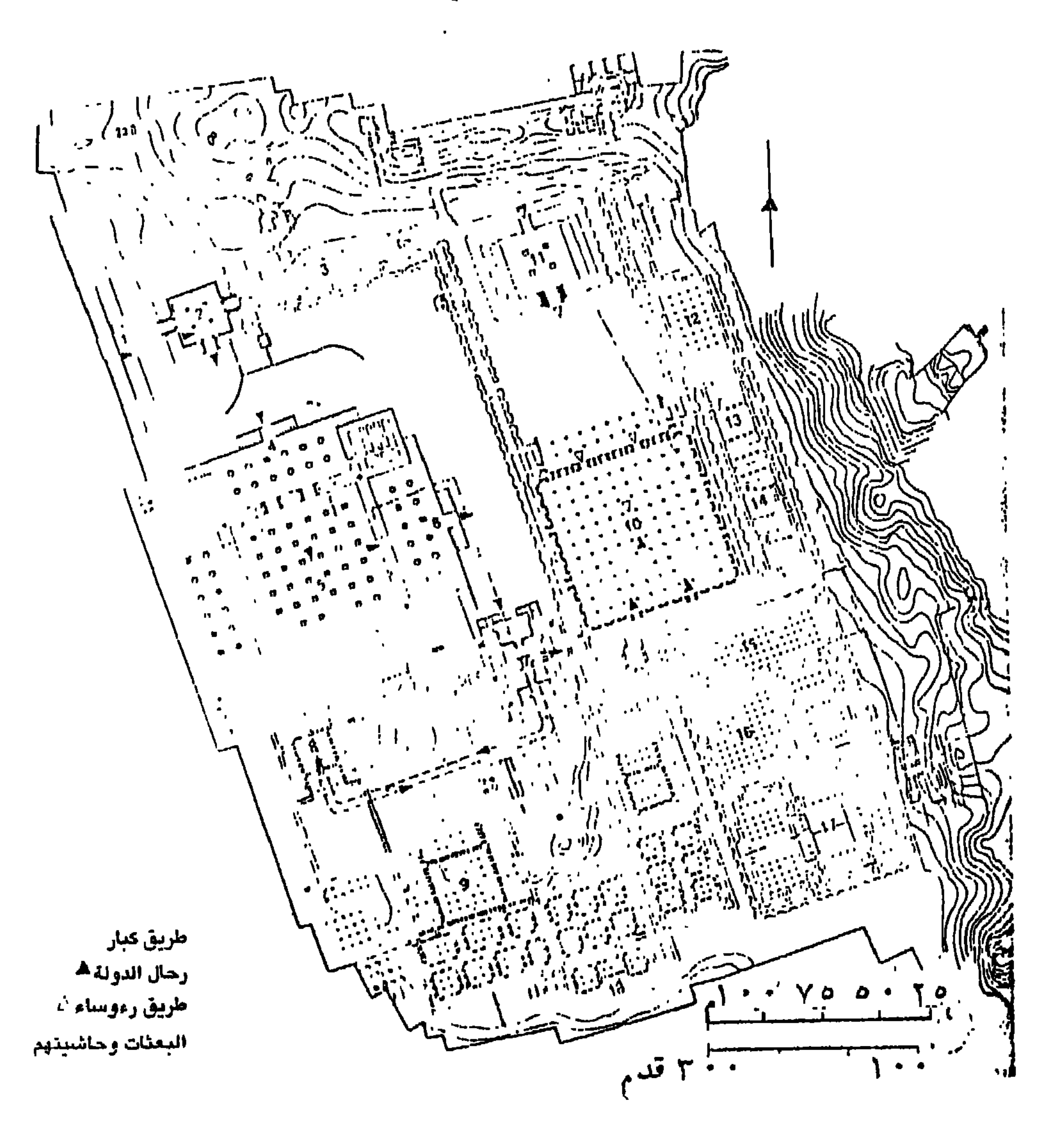
شكل "١٤"

رسم تخطيطي للقصر الملكي في سوسة وصالة الاجتماعات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



شكل ، ١٩
تاج عمود من سوسة

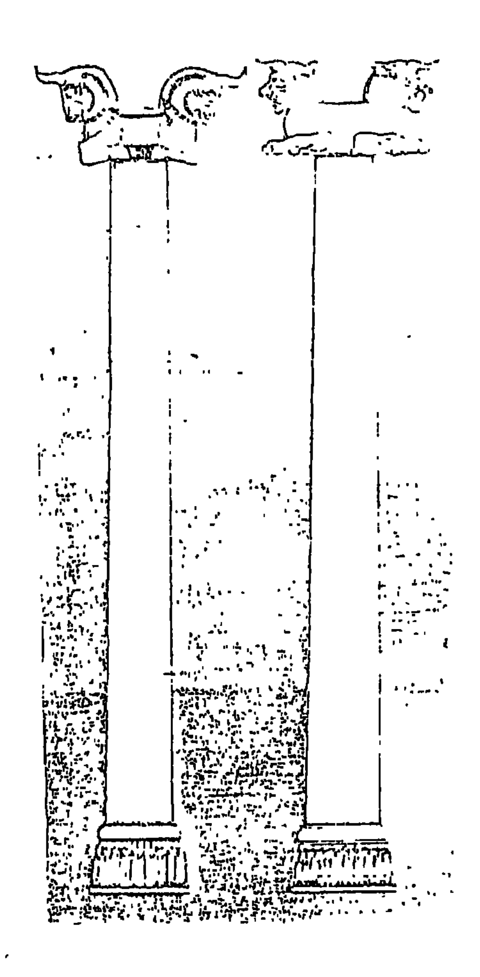


شكل . ١٦٠

رسم تخطيطي لمدينة برسبوليس

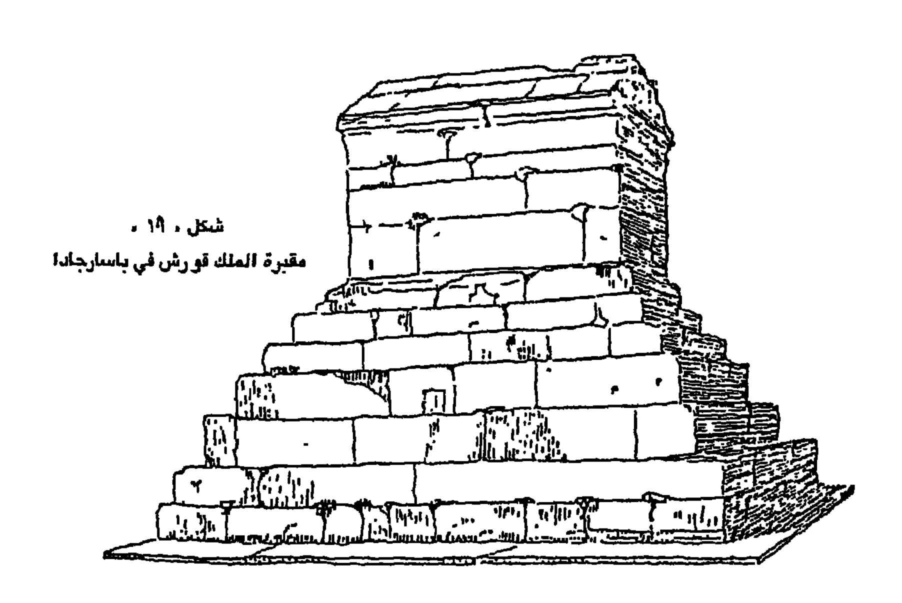

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



شكل ١٨٠ :
تيجان الأعمدة التي على هيئة رؤوس حيوانية

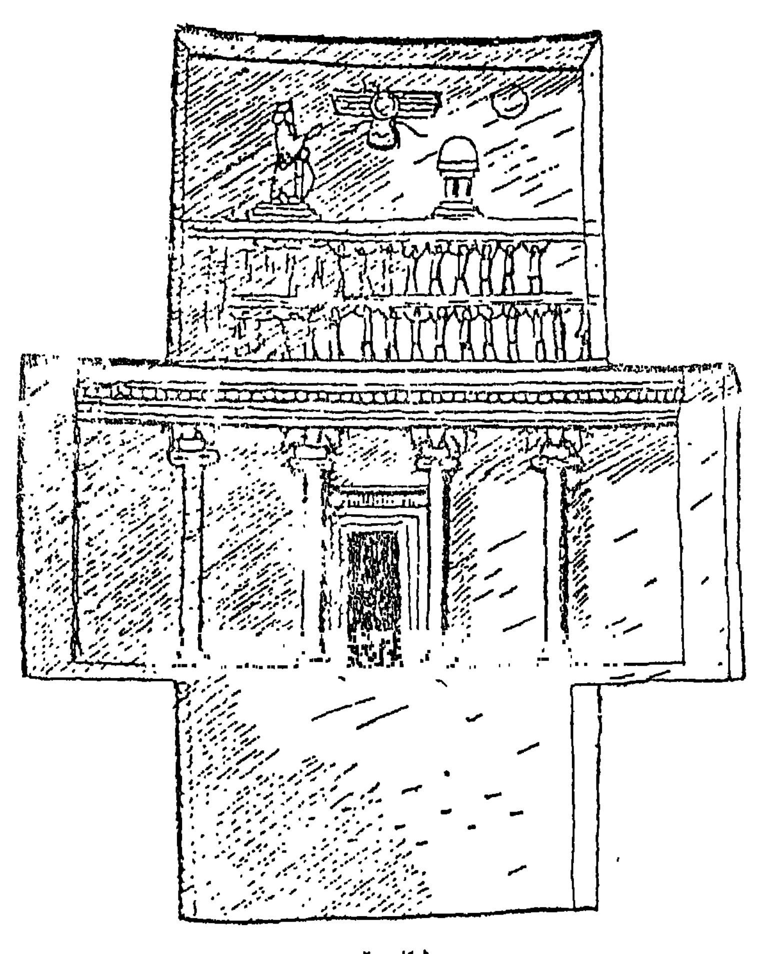
Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



شكل « ١٩ »

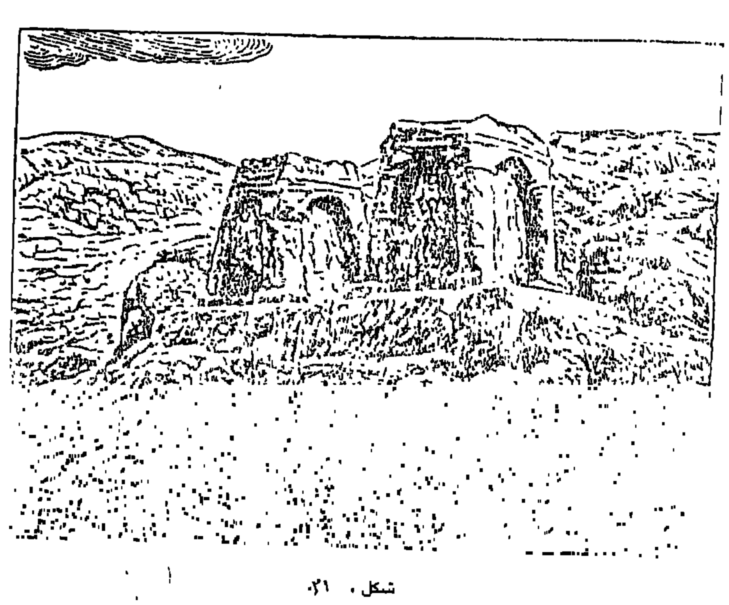
مقبرة الملك قورش في باسارجادا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



شكل ٢٠٠

مقبرة الملك دارا في نقش رستم



شكل ، ٢١٠

مذبحار للنار في منطقة نقش رستم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فهرس الاشكال

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فهرس الموضوعات

الباب الاول

الباب الثانى


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)